

الذخائر الحمدية

للعالم الفاضل

السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر: دار جوامع الكلم ١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى

الدراسة - القاهرة - ت : ٥٨٩٨٠٢٩

الذخائر المحمدية

للسيد محمد بن علوى بن عباس المالكى المكى الحسنى
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

وبهامشه

بحوث هامة وتحقيقات تتعلق بمواضع النقد والاعتراضات

كتبها

جمال فاروق جبريل محمود الدقاق

الناشر: دار جوامع الكلم - ١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى - الدراسة - القاهرة

ت: ٩٢٧٣٦٧

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد: فأقول أنا السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي
الحسني المالكي . بآنتي قد أذنت لدار جوامع الكلم بالقاهرة
بالقيام بطبع جميع كتبي ونشرها وتوزيعها بعد التصحيح والمراجعة
والله ولي التوفيق

بن
السيد محمد بن علوي
المالكي الحسني
علوه

١٤١١/١٢/٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين...

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد:.....

فإن سعادة المؤمن في الدنيا وكرامته في الآخرة تتحقق باقتدائه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصدق الله العظيم حيث يقول في كتابه الكريم : «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا» .

ولا تكون الأسوة إلا بعد معرفة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - المعرفة الحقة ، الشاملة الكاملة ، البينة الواضحة ، في كل ما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ففي عباداته وعاداته أسوة ، وفي حركاته وسكناته أسوة ، وفي أقواله وأفعاله وجميع أحواله أسوة ، وفي خلقه وخلقه أسوة ، وفي مشيه أسوة ، وفي جلوسه أسوة ، وفي قيامه أسوة ، وفي نومه أسوة ، وفي حديثه أسوة ، وفي صمته أسوة . . .

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الأسوة
والقدوة فى كل شىء فلا غنى للمؤمن عن تقصى حقائق
سيرته العطرة وتتبع شمائله الطيبة .

ولقد كتب العلماء الأجلاء فى صحاح كتب السنة والسيرة
كل شاردة وواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ففى كتاب (الشفا) للقاضى عياض و (دلائل النبوة)
لبيهقى و (الشمائل المحمدية) للترمذى و (المواهب
اللدىة) للقسطلانى ، وغيرها من كتب السنة والسيرة أنوار
ساطعة وأضواء لامعة تبرز للمؤمنين جوانب العظمة
ومواطن الأسوة والقدوة فى شخصيته صلوات الله وسلامه
عليه .

ولقد أتى المالكى (عالم الحرمين الشريفين) فى كتابه
(الذخائر المحمدية) بخلاصة ما كتبه سلفنا الصالح فى هذا
المضمار، ولم يترك من ذلك شاذة ولا فاذة، فجزاه الله خير
الجزاء .

وإنه لشرف - لو تعلمون - عظيم أن يأذن عالم الحرمين
الشرفين السيد المكى الحسنى محمد بن علوى بن عباس
المالكى لدار جوامع الكلم بطباعة هذا الكتاب القيم المفيد
الذى ذاع خبره منذ أن أشرقت طبعته الأولى فتلقفته أيدي

المحبة بفرح وسرور، وأصبح سؤال المحبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن (الذخائر المحمدية) متكرراً وملحاً خصوصاً بعد أن أزعج ظهوره أهل الجفوة الذين يجحدون فضل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم منكرين ومعارضين، فثارت ثائرتهم على ما جاء في ذلك الكتاب من حقائق أثبتتها الصحاح من كتب السنة والسيرة.

فهذا الكتاب لِمَا قُرِئَ له، فمن قرأه بعين المحبة ارتاح قلبه، وهدأت نفسه إذ هو نسمة رواحة عطرة فواحة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن قرأه بعين الجحود والنكران اشتعلت في نفسه نيران الحقد والبغض فثارت ثائرتة، وعميت بصيرته، فصار يهرف بالهذيان، ويتكلم بما لا يعقله إنس ولا جان.

ومصداق ذلك تجده في هذه القصة ذات المغزي العميق، وهي قصة رواها ابن عطاء الله السكندري رضى الله عنه في شرحه لقصيدة أبي مدين رضى الله عنه فقال: زار بعض السلاطين ضريح أبي يزيد - رضى الله عنه - وقال: هل هنا أحد ممن اجتمع بأبي يزيد؟ فأشير إلى شيخ كبير في السن كان حاضراً هناك، فقال له: هل سمعت شيئاً من كلام أبي يزيد؟ فقال: نعم. سمعته يقول: (من زراني لا تحرقه النار)،

فاستغرب السلطان ذلك الكلام فقال : كيف يقول أبو يزيد ذلك ، وأبو جهل رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحرقه النار؟! فقال ذلك الشيخ للسلطان : أبو جهل لم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما رأى يتيم أبى طالب ، ولو رآه ﷺ لم تحرقه النار. ففهم السلطان كلامه وأعجبه هذا الجواب منه . ومعنى هذا الكلام أن أبا جهل لم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتعظيم والإكرام والأسوة والاعتقاد بأنه رسول الله ، ولو رآه بهذا المعنى لم تحرقه النار، لكنه رآه بعين الاحتقار واعتقاد أنه يتيم أبى طالب فلم تنفعه تلك الرؤية .

ولقد قال تعالى فى كتابه الحكيم : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى . . » فأفاد أنه ﷺ بشر يوحى إليه ، وما كان الله ليوحى إلى بشر إلا إذا أصبح وكأنه قطعة من النور فى صفاء نفسه وطهارة قلبه وارتقاء روحه .

نسأل الله - تعالى - أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينير به القلوب والأرواح ، ويرقى بها مراقى النجاح والفلاح إنه سميع قريب مجيب .

وها هو الكتاب الآن بين أيدي المحبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ثوبه القشيب وتبويبه الجديد بما وضحه وشرحه وحققه تلميذ من تلاميذ الشيخ المالكي

المخلصين المحبين لرسول الله فضيلة الأستاذ جمال فاروق
جزاه الله خير الجزاء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

عبد ربه الغنى

عبد الغنى صالح الجعفرى

صاحب دار جوامع الكلم

للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة

١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى

الدراسة مركز الجعفرى الإسلامى

ت : ٩٢٧٣٦٧

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اختص رسوله محمداً ﷺ بالآيات والمعجزات وحباه بالفضائل والمزيات ورفع مكانته إلى أعلى الدرجات . فكان ذكره مرفوعاً عند أهل الأرض والسموات ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فإن كتاب الذخائر المحمدية الذى كتبه السيد محمد بن علوى بن عباس المالكى المكى الحسنى ليشهد له بنور العلم وصدق المعرفة ، والشىء من معدنه لا يستغرب فهو من سلالة بيت النبوة البيت الذى جمعت له المكارم والفضائل كلها فأهل هذا البيت هم ينابيع الخير لهذه الأمة وهم سبب نعيمها وسفينه نجاتها ^(١) ، يجب أن نعرف لهم حقهم وأن نودهم لأجل قرابتهم من النبى ﷺ . فهم الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وأنزل فيهم : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » .

(١) إشارة إلى حديث : «إن مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» أخرجه الحاكم فى المستدرک عن أبى ذر، انظر الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٦ .

فإذا عرفت الأمة لأهل هذا البيت قدرهم وسارت على هدى نبيا كان ذلك سبباً في سعادتها وصلاح أحوالها .

وإذا تنكرت لذلك وأهملت هذا الجانب وراحت تعلى من شأن من ليسوا أهلاً للتعظيم والحب والتوقير والتكريم كان ذلك منها انحرافاً عن السلوك الحميد والنهج القويم .

فقد روى مسلم عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتي رسول ربي عز وجل فأجيبه وإنى تارك فيكم الثقلين ، أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به ، وحث فيه ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل فى أهل بيتي (ثلاث مرات) فقليل لزيد : من أهل بيته ، أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده وهم آل على وآل عقيل وآل العباس ، وفى رواية الترمذي : « فانظروا كيف تخلفوني فيهما »^(١) هذا ويرجع سبب اهتمامي بهذا الكتاب

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه ج ٧ م ٤ ص ١٢٢ ورواه الترمذي فى صحيحه «كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ» ج ٥ ص ٦٢١ ورواه الإمام أحمد فى مسنده ج ٣ ص ١٧ .

إلى أننى قرأت فى إحدى الصحف المصرية اعتراضاً على بعض القضايا التى تناولها فضيلة المؤلف وإن شئت فقل على الكتاب بمجموعه فدفعنى ذلك إلى مزيد البحث والمذاكرة مع بعض أهل العلم فاجتمع عندي جملة من التعليقات والبحوث اطلع فضيلة المؤلف على بعضها فأشار عليّ بإثباتها ومزيد تنقيحها فشرح الله صدرى لذلك لاسيما وقد وجدت عند بعض المعترضين ممن قصر باعهم في العلم وضاق نظرهم فى الفهم تحاملاً وانتقاداً بغير هدى ولا برهان .

وإني لأخص بمزيد من الثناء والشكر الأخ / محمد الهادي عبيد التونسي الذى فتح الله عليه بنور العلم والمعرفة ، أشكر له ما تفضل به من المراجعة والبحث فيما يتعلق ببعض ما ورد في هذه التعليقات فجزاه الله خير الجزاء ونفع به بلاده وعباده .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل فى ميزان حسناتنا وأن يجعله هداية وإرشاداً لمن نظر بعين الإنصاف وأراد أن يعرف الذخائر المصطفوية والخصائص المحمدية .

والله الموفق والهادى لما فيه الصواب

كتبه

جمال فاروق الدقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد:

فهذه مباحث لطيفة وفوائد شريفة مختلفة ومتعددة لا يجمعها باب ولا يربطها فصل ولا يتصل بعضها ببعض ، وإنما يربطها شيء واحد ذلكم أنها تتعلق بحضرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فهذه هي النقطة الجامعة بين مباحث هذا الكتاب .

وهو ليس جهد سنة ولا سنتين . بل هي ثمرات مطالعات طويلة ونتائج مدارس قديمة اشتغلت بجمعها وتقييدها منذ عرفت نفسى أن طلاب العلم الشريف غذاؤهم المطالعة بل هي رُوحهم وريحانهم وقرّة أعينهم .

ومنها خواطر فى تفسير بعض الحقائق النبوية أو تحليل ما قد يستشكله بعض الناس فى هذا الباب وردت على قلبى معانيها فأثبتها خشية ضياعها . وما كنت أود إظهار هذه المجموعة المباركة لأننى مشغول بجمعها ولكن أشار على من لاتسعنى مخالفته بإبراز ما يمكن إبرازه ليستفيد منه من يحب ذلك . وما بقى تتكون منه مجموعة أخرى فى إطار آخر ، فانشرح صدرى لهذا

الأمر. أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة
لوجه الكريم آمين . .

السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى

نسبه الشريف:

«صلى الله عليه وآله وسلم»

* هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ^(١) بن هاشم ^(٢)
ابن عبد مناف ^(٣) بن قصي ^(٤) بن كلاب ^(٥) بن مرة بن كعب بن لؤى

* هكذا جرت عادة المتقدمين ممن كتبوا فى سيرة المصطفى وفصائله أن يبدأوا بذكر نسبه الشريف وهذا فى أغلب كتب السير لأن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة .
(١) عبد المطلب اسمه شيبه الحمد ، لأنه ولد وفى رأسه شيبه مع رجاء حمد الناس له ، وإنما قيل عبد المطلب لأن عمه المطلب لما جاء به من عند أخواله بنى النجار بالمدينة صغيراً ، وكان مردفه وراءه أخذ يقول لمن سأله عنه : هذا عبدى . اهـ «مورد الصفا فى سيرة المصطفى» ص ١٧ .

(٢) هاشم ، اسمه عمرو العلاء لعلو رتبته ، ولقب بـ «هاشم» لهشمه الثريد للناس فى مجاعة أصابتهم ، ولذا قال الشاعر :

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف «مورد الصفا»

(٤) قصي ، اسمه زيد ، أو يزيد وسمى بذلك لتقاصيه ، أى بعده عن عشيرته ، وقد حاز قصي من الشرف ما لم يحزه أحد قبله من آبائه فقد اجتمعت له حجابة البيت وسقاية الحج والرفادة (أى طعام الحج) .

والندوة (أى الشورى) فلا يتم أمر إلا فى بيته ، واللواء فلا تعقد راية الحرب إلا بيده ، وعهد بها كلها قبل وفاته إلى ولده عبد الدار ولكن إخوته نازعوه فيها ولم تطب نفوسهم بجعلها فى يده وكادت الحرب تنشب بينهم لولا أن عقلاءهم جعلوا الرفادة والسقاية فى بنى عبد مناف فبقيتا فيهم إلى أن وصلنا إلى العباس بن عبد المطلب ثم لبنيه . أما الحجابة فبقيت فى بنى عبد الدار إلى اليوم ، وبقي فيهم اللواء أيضًا حتى أبطله الإسلام وجعله حقاً للخليفة يضعه فيمن يشاء .

(٥) كلاب . اسمه حكيم ، وقيل عروة ، وسمى بذلك لولوعه بحب الصيد بالكلاب .

غالب بن فهر ^(٦) بن مالك بن النضر ^(٧) بن كنانة بن خزيمة ^(٨) بن مدركة ^(٩) بن إلياس ^(١٠) بن مضر ^(١١) بن نزار ^(١٢) بن معد ^(١٣) بن عدنان ^(١٤) ... إلى الخليل إبراهيم عليه السلام .

(٦) فهر هو مجمع قریش عند الأكثر ، وإليه تنتسب قریش وما كان فوق فهر فليس بقرشى بل هو كنانى على الصحيح ، ولقب فهر بقریش لأنه كان يقرش : أى يفتش عن حاجات الناس فيقضيها لهم . وقيل لأن قومه تفرشوا به أى تجمعوا .
(٧) النضر اسمه قيس ، ولقب بذلك لنضارته وحسنه .
(٨) خزيمة ، تصغير خزمة (واحدة من الخزم) وهو شد الشيء وإصلاحه ، وهذا الاسم موجود فى أسماء الأنصار .

(٩) مدركة ، اسمه عمرو ، وسمى بذلك لأنه أدرك كل عز وفخر كان فى آبائه .
(١٠) وقيل إياس بكسر الهمزة وفتحها : ضد الرجاء سمي بذلك لأنه وُلد وأبوه فى سن الكهولة وإذا كان إياس فهو موافق لاسم إلیاس النبى عليه السلام ومعناه مأخوذ من رجل أليس وهو الشجاع الذى لا يفر ، ويذكر عن النبى أنه قال : لا تسبوا إلیاس فإنه كان مؤمناً ، وذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالحج ، وهو أول من أهدى البُدن للبيت الحرام « الروض الأنف للسهيلى » .

(١١) مضر . بضم الميم وفتح الضاد ، غير مصروف للعلمية والعدل ، وهو من المضيرة أو اللبن الماضر الذى كان يحب شربه ، وهو الحامض ، واسمه عمرو وكنيته أبو إلیاس . وكان عاقلاً حكيماً ومن حكمه : من يزرع شراً يحصد ندامة ، وخير الخير أعجله ، فاحملوا أنفسكم على مكروهاها ، واصرفوا عن هواها فيما أفسدها ، فليس بين الصلاح والفساد إلا فواق (أى شىء قليل) . « السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة » محمد محمد أبو شهبة .

(١٢) نزار بكسر النون وهو من النزر « القليل » وكان أبوه حين ولد ونظر إلى النور بين عينيه - وهو نور النبوة الذى كان ينتقل فى الأصلاب إلى محمد ﷺ - فرحاً شديداً به ، ونحر وأطعم ، وقال إن هذا كله نزر لحق هذا المولود ، فسمى نزاراً لذلك . « السهيلى » .

(١٣) معد بفتح الميم والعين وتشديد الدال وأصله من القوة ومنه اشتقاق المعدة . « السهيلى » .
(١٤) عدنان « فعلان » من العدن وهو الإقامة ، وحكى الزبير : أن عدنان أول من وضع أنصبه الحرم ، وأول من كسا الكعبة . « أبو شهبة » .

(اتفاق علماء الأنساب إلى عدنان واضطراب النسابين بعد ذلك) .

قال الحافظ العراقى فى ألفية السيرة النبوية .

وهو ابن عدنان وأهل النسب قد أجمعوا إلى هنا فى الكتب
وبعده خلق كثير جم أصحه حواه هذا النظم
« مورد الصفا »

=وكره الامام مالك (رحمه الله) رفع النسب إلى آدم ، لما فى ذلك من الاضطراب ،
والاختلاف وأيضاً فهو علم لا ينفع وجهالة لا تضر ، وهذا النسب الزكى (إلى عدنان) متفق
عليه بين علماء الأنساب قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : أجمع العلماء على أن رسول
الله إنما انتسب إلى عدنان ولم يجاوزه ، وروى من طريق ابن عباس (كذا قال السهيلي) أنه
لما بلغ عدنان قال : « كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً » .

وكذلك اتفق النسابون على أن عدنان ينتهى نسبه إلى اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام
فهو جد النبی الأعلى . والنسب فوق إبراهيم لا يصح فيه طريق لما فيه من التخليط وتغيير
الألفاظ وسبب ذلك أنها نقلت من كتب عبرانية وقع فيها التحريف والتبديل .

ولادته...

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

ولد ﷺ يوم الاثنين في شهر ربيع الأول من عام الفيل ، قيل ثانيه وقيل ثالثه ، وقيل ثاني عشره ، وهذا هو المشهور عند الجمهور .
ويوم الاثنين يوم مبارك ، فقد جاء عن الإمام أحمد أنه قال ابن عباس : ولد رسول ﷺ يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين ، وقيل : إنه ولد مختوناً مسروراً أى مقطوع الختان ، ومقطوع السرة (١) .

وليلة مولده عليه الصلاة والسلام وقعت عجائب وغرائب :
فمنها انتكاس كثير من الأصنام ليلتئذ لوجوهها وسقوطها من أماكنها . ومنها ظهور النور معه حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد . ومنها اضطراب إيوان كسرى ، وسقوط الشرفات وخمود النيران ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة (٢) .

(١) (القول فى أنه ﷺ ولد مختوناً) . اختلف العلماء فى مسألة ختانه ﷺ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً وهو قول أبى الفرج بن الجوزى واختاره السيوطى فى الخصائص .

القول الثانى : أنه ﷺ ختن يوم أن شقت الملائكة صدره عند حليلة السعدية [أخرجه الطبرانى فى الأوسط] .

القول الثالث : أن جده عبد المطلب هو الذى ختنه يوم سابعه وهذا الحديث ذكره ابن القيم فى زاد المعاد ج ١ ص ١٨ ، ١٩ وضعفه . =

= وخلاصة القول : الذين ينكرون أن النبي ولد مختوناً لا يستندون إلى خبر صحيح بل العكس فقد وردت عدة أحاديث ساقها السيوطي (رحمه الله) منها ما أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : « من كرامتي على ربي أنى ولدت مختوناً ولم ير أحد سواتي » صححه الضياء في المختارة .

وقال الحاكم في المستدرک : تواترت الأحاديث أنه ولد مختوناً « الخصائص الكبرى ج ١ ص ٩٠ » .

وقد درج البعض في زماننا هذا أن أى حديث فيه فضيلة للنبي ﷺ أو خصوصية له أو كرامة يسارعون إلى إنكاره والظعن فيه دون تثبت أو رجوع إلى كتب العلم وأقوال العلماء .

(٢) هى بحيرة من همذان وقم فى بلاد فارس على جادة حجاج خراسان وهى بحيرة كبيرة أكثر من ستة فراسخ فى الطول والعرض وكانت تركب فيها السفن ويسافر إلى ما حولها من البلدان / انظر تقويم البلدان لأبى الفداء .

حواضنه ومراضعه:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

أول من أرضعه ﷺ أمه السيدة آمنة الزهرية ثم أرضعته ثوية الأسلمية أياماً، وثوية هي جارية أبى لهب أعتقها لما بشرته بولادته ﷺ كما روى ذلك البخاري معلقاً وأنه رأى بعد وفاته فأخبر بأنه يخفف عنه فى كل يوم اثنين لعتقه ثوية فرحاً بولادة رسول الله ﷺ وقد عدها ابن منده فى الصحابة - وفى ذلك خلاف بين أهل العلم ^(١) - وكانت ثوية تدخل على رسول الله ﷺ بعدما تزوج خديجة فيكرمها ﷺ وتكرمها خديجة، وكان ﷺ يبعث إليها بعد الهجرة بالكسوة والصلة حتى ماتت.

ثم أرضعته حليلة بنت أبى ذؤيب السعدية فأخذته معها إلى بلادها وراء الطائف فى بني سعد وأقام عندها فى بنى سعد أربعة أعوام على الصحيح فنالت برضاعته خيراً كثيراً، وأى خير من سعة الرزق ورغد العيش. وكانت الشيماء، وهى بنت حليلة السعدية تحضنه مع أمها، وقد ردت حليلة خوفاً عليه بعد حادث شق الصدر وهو ابن خمس سنين.

ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين، إحداهما بعد تزويجه خديجة جاءت تشكوا إليه الجذب فأعطتها السيدة خديجة عشرين رأساً من غنم وبكرات، والمرة الثانية يوم حنين وحضنته ﷺ أيضاً

(١) وقال ابن الأثير: اختلف فى إسلامها، وقال أبو نعيم: لا أعلم أحداً أثبت إسلامها غير ابن منده، اهـ [أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٧ ص ٤١ دار الشعب].

أم أيمن بركة الحبشية ، وكان ورثها من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها زيد بن حارثة .

نشأته :

« صلى الله عليه وآله وسلم » :

نشأ ﷺ يتيماً إذ مات والده وهو حَمْلٌ ^(١) وكفله جده عبد المطلب ، ولما بلغ ﷺ ست سنين خرجت به أمه إلى المدينة المنورة ومعها أم أيمن بركة الحبشية تحضنه تنزور به أخواله من بنى النجار فأقامت به عندهم شهراً ثم رجعت به فمرضت فى الطريق فماتت ودفنت بالأبواء فرجعت به أم أيمن حاضنته إلى مكة إلى جده عبد المطلب وقيل : إن أمه حُمِلت بعد ذلك إلى مكة فدفنت بها - حكى ذلك ابن الجوزي فى الوفاء - ثم توفى جده وعمره ﷺ ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب بوصية من جده ، وهو شقيق أبيه عبد الله . فصار أبو طالب هو الحامى له من أعدائه ، الشغوف عليه ، وكان أبو طالب فقيراً فأثرى وكثر ماله ببركة كفالته للمصطفى ﷺ ولما بلغ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام ولكن عمه رده خوفاً عليه من اليهود لَمَّا خوفه منهم الراهب بحيرا .

ثم خرج ﷺ مرة ثانية إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها .

(١) هذا هو المشهور وهو الذى رجحه ابن كثير وغيره لأنه قيل : إن أباه مات وله ثمانية وعشرون شهراً ، وقد توفى أبوه عن خمس وعشرين سنة على الصحيح : مالكى (المؤلف) .

أحواله قبل البعثة:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

كان ﷺ قبل البعثة متديناً ومتعبداً، يبغض الأصنام ويكره الحرام وكان يشتغل برعى الغنم ويقول: ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم، ف قيل له: وأنت، قال: نعم. رواه البخارى.

وكان يشتغل بالتجارة، وقد كان السائب بن أبي السائب يشاركه ﷺ فى التجارة حتى إنه قال له يوم الفتح: مرحباً بأخى وشريكى. كان لا يدارى ولا يمارى وقام على تجارة خديجة وسافر لأجل ذلك إلى الشام ورجع بأرباح وفيرة لم تكن فى الحسابان. وكان عمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة.

أسماءه:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

ومن أسمائه ﷺ أنه قال: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب فلا نبى بعدى. وفى رواية: أنا المقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة، وفى صحيح مسلم: ونبى الملحمة. وسماه الله فى كتابه: بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ورؤفاً رحيماً ورحمة للعالمين، ومحمداً وأحمد وطه (١) ويس (٢) ومزملًا

(١) (٢) أما (طه ويس) فالقول المختار فيهما كالقول فى فواتح السور، واختار بعض المفسرين أنها من أسماء النبى ﷺ وروى القاضى عياض فى ذلك اخباراً وأثراً ذكرها فى الشفا، واستدل البعض على أنها اسم للنبي بدلالة عود ضمير الخطاب عليه ﷺ =

ومدثرًا وعبداً في قوله تعالى : «وأنه لما قام عبد الله يدعوه» سماه عبد الله ، ونذيراً مبيناً في قوله جل ثناؤه : ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ ومذكراً في قوله تقديست أسمائه : ﴿إنما أنت مذكر﴾ وقد ذكر غير ذلك وأكثر هذه الأسماء صفات .

من علامات النبوة:

أول علامات النبوة المحسوسة هي : شق صدره الشريف . وهذا الشق قد حصل له ﷺ أول مرة وهو صغير السن عند حليلة وكان في الرابعة من عمره على الصحيح . وأما المرة الثانية فقد شق صدره الشريف ﷺ وهو ابن عشر سنين ^(١) وأما المرة الثالثة فقد شق صدره الشريف عند مجيء جبريل بالوحي حين نبىء ^(٢) وأما المرة الرابعة فهي ليلة الإسراء كما ورد في الصحيحين . واعلم أن جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحيته القدرة

= في قوله تعالى : ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ وفي سورة « يس » ﴿ وإنك لمن المرسلين ﴾ وهذا غير مسلم لهم في بقية الفواتح كما لا يخفى ولا فائدة من النزاع حول هذا فقد قال كثير من أهل العلم : إن فواتح السور فيها أسرار ومعان يفتح الله بها على من يشاء من أهل المعرفة والعلم .

(١) ثبت ذلك في حديث رواه أحمد وابن حبان والحاكم ، وانظره في شرح الزرقاني : مالكي (المؤلف) .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي كذا في شرح المواهب : مالكي (المؤلف) .

فلا يستحيل شيء من ذلك (١) .

(١) يحاول بعض المستشرقين ومن تأثر بهم من المسلمين إنكار شق صدره الشريف متعللاً بأنه ليس لهذا العمل مبرر معقول ، وأن الاستدلال عليه بقوله تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ غير مقبول ، ويحملون ما جاء ، في الآية الكريمة على أنه أمر معنوي ليس معناه الشق المادى وإنما معناه الاتساع والانفساح لتقبل المعارف والحقائق الإيمانية كما جاء فى قوله تعالى حكاية عن الكليم عليه السلام : ﴿ رب اشرح لى صدرى ﴾ وكما جاء فى قوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ .

وللرد على هؤلاء نقول : إن شق الصدر الشريف لم يؤخذ من هذه الآية وإنما من الروايات التى ثبتت صحتها ، وهى رواية ابن اسحق فى السيرة النبوية ورواية الامام مسلم فى صحيحه ورواية أبى يعلى وأبى نعيم وابن عساكر ، بل إن شق الصدر ليلة المعراج مروي فى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث ، وقال بعض العلماء المحققين : إنها متواترة ، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن عرض لذكر الروايات الدالة على شق الصدر وتكرره : « وجميع ما ورد عن شق الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له ، دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصالحية القدرة ، فلا يستحيل شيء من ذلك ، وقال القرطبي فى المفهم : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء والمعراج : لأن روايته ثقات مشاهير ، وطبعى أن من صدق به ليلة الإسراء والمعراج يلزمه التصديق به فى الصغر ، وعند البعثة ما دام الأمر ثابتاً بالروايات التى يحتج بها .

فعلى هذا يكون نقد المنكرين لشق صدره ﷺ من ناحية السند غير مقبول ، وأما كون هذا العمل ليس له مبرر معقول ، فنقول : إنها عملية أجريت بيد القدرة الإلهية لإظهار مزيد الفضل والعناية والمنة والعطاء لحبيبه ومصطفاه ﷺ وقد ذكر المؤلف (أمد الله فى عمره وبارك فيه) فى الحكمة والفائدة من شق صدره ﷺ كلاماً شافياً كافياً فليراجع فى موضعه من هذا الكتاب ص ٢٠٢ - ٢٠٧ .

خاتم النبوة:

ومن علامات النبوة خاتم النبوة ، واختلفت الأقوال فى صفته وأشهرها ما جاء أنه كبيضة الحمامة وأنه بضعة لحم ناشزة «أى مرتفعة» فى ظهره عند ناغض كتفه اليسرى يزهو بالنور وتعلوه المهابة وينفح بالطيب .

الرؤيا الصالحة:

وهى من علامات النبوة فقد كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكان يرى الضوء والنور ويسمع الصوت ، وكانت تسلم عليه الأحجار والأشجار وتظلل الغمامة .

أولاده:

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

أولاده ﷺ أولهم القاسم ، وبه كان ﷺ يكنى ، وعبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب غير الطاهر، وزينب ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة رضى الله عنهم .

مات البنون قبل الإسلام أطفالاً، والبنات أدركن الإسلام وهاجرن معه وكلهن من خديجة رضى الله عنها .

وولده ﷺ بالمدينة إبراهيم من مارية ومات إبراهيم ابن سبعين ليلة ، وقيل سبعة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وكلهم ماتوا فى حياته إلا فاطمة فتأخرت بعده سبعة أشهر. وكانت زينب وهى أكبر بناته رضى الله عنها عند أبى العاص بن الربيع وقد أسلم فولدت له علياً مات صغيراً ، وأمّامة وهى التى جاء أنه حملها فى صلاته ، تزوجها

على بعد فاطمة خالتها بوصية منها، ثم أخلف عليها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فولدت له يحيى ومات عند المغيرة.

وكانت فاطمة رضى الله عنها عند على رضى الله عنه فولدت له حسناً وحسيناً ومحسناً رضى الله عنهم فمات محسن صغيراً، وولدت رقية وزينب، وأم كلثوم، ماتت رقية قبل البلوغ، وتزوجت زينب عبد الله بن جعفر فولدت له علياً ومات وتزوج أم كلثوم رضى الله عنها عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١) فولدت له زيداً وخلف عليها بعده عوف بن جعفر، ثم أخاه عبد الله.

وأما رقية فكانت عند عثمان بن عفان (رضى الله عنه)، فولدت له عبد الله وتوفيت يوم جاء زيد بن حارثة بشيراً بالفتح يوم بدر، فتزوج رضى الله عنه أم كلثوم أختها، وماتت عنده فى شعبان سنة تسع.

زوجاته:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

زوجاته ﷺ: خديجة بنت خويلد رضى الله عنها عاشت معه قبل الوحي خمس عشرة سنة وبعده إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنين وماتت عنده. ثم سودة بنت زمعة رضى الله عنها، كبرت

(١) وقد قال رضى الله عنه فى سبب زواجها: «والله ما بى حاجة إلى النساء ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبى وصهرى» رواه ابن عساکر عن عبد الله بن عمر (رضى الله تعالى عنه).

عنده فأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعائشة رضى الله عنها وقالت :
لا حاجة لى فى الرجال وإنما أريد أن أحشر فى زوجاتك ﷺ .

ومن خصائصها أنها انفردت بالنبي ﷺ بعد موت خديجة ثلاثة
أعوام ، وقد ماتت سنة خمس وخمسين من الهجرة .

ثم عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنها ، تزوجها ﷺ بمكة قبل
الهجرة بستتين ، وقيل : بثلاث وهى بنت ست أو سبع وبنى بها فى
المدينة وهى بنت تسع ، ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة .
وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك ، ولم يتزوج بكراً غيرها
وتكنى بـ «أم عبد الله» (١) .

ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، روى أنه ﷺ
طلقها فنزل جبريل فقال : إن الله تبارك وتعالى يأمر أن تراجع
حفصة فإنها صوامة قوامة ، وفي خبر قال : رحمة لعمر رضى الله
عنه ، وتوفيت سنة خمس وأربعين وقيل غير ذلك .

وتزوج ﷺ أم حبيبة «رملة بنت أبى سفيان» رضى الله عنهما وهى
بالحبشة وأصدقها عنه ﷺ النجاشي أربعمائة دينار وولى نكاحها
عثمان بن عفان رضى الله عنه ، توفيت رضى الله عنها سنة أربع
وأربعين ، وتزوج ﷺ أم سلمة هند بنت أمية رضى الله عنها وماتت
سنة اثنتين وستين وهى آخرهن موتاً ، وقيل ميمونة رضى الله عنها .

(١) كناها رسول الله ﷺ بأم عبد الله ابن أختها أسماء وأبوه الزبير ، وقيل لسقط كان

لها .

وتزوج ﷺ زينب بن جحش رضى الله عنها، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين وهى أولهن وفاة وأول من حمل على نعش . وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث سُبَيْت فى غزوة بنى المصطلق ثم أعتقها ﷺ وتزوجها وتوفيت سنة ست وخمسين . وتزوج ﷺ ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها خالة خالد بن الوليد رضى الله عنه وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهى آخر من تزوج ﷺ وتوفيت سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ست وستين ، فإن ثبت ذلك فهى آخر من مات منهن . - هؤلاء غير خديجة اللاتى مات عنهن - .

وتزوج ﷺ صفية بنت حى بن أخطب رضى الله عنها من ولد هارون عليه الصلاة والسلام . سببت من خير فأعتقها ﷺ وجعل عتقها صداقها ، وتوفيت سنة خمسين . وتزوج ﷺ زينب بنت خزيمة أم المساكين رضى الله عنها سنة ثلاث من الهجرة . ولم تلبث عنده ﷺ إلا شهرين أو ثلاثة وماتت . وهؤلاء ثبت على التحقيق دخوله بهن ومعاشرته لهن وقبورهن معروفة بالبقيع إلا السيدة خديجة رضى الله عنها فإنها بالحجون بمكة والسيدة ميمونة فإنها بواذى سرف (١) ، قبل وادى فاطمة بقرب بمكة .

وتزوج ﷺ فاطمة بنت الضحاك وخيرها ﷺ حين نزلت آية التخيير فاخترت الدنيا ففارقها ﷺ ثم كانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول : أنا الشقية اخترت الدنيا .

(١) سرف : بالسين بالمهمله .

وتزوج ﷺ أساف أخت دحية الكلبي رضى الله عنه : وخولة بنت الهذيل ، وقيل : بنت حكيم ، وهى التى وهبت نفسها له ﷺ وقيل تلك أم شريك .

وأسماء بنت كعب الجونية رضى الله عنها ، وطلقها ﷺ قبل الدخول . وامرأة من غفار فرأى ﷺ بها بياضاً فألحقها بأهلها . وتزوج ﷺ أميمة فلما دخل ﷺ عليها قالت : أعوذ بالله منك فقال : منع الله عائذة ألحقى بأهلك . وعالية بنت ظبيان طلقها ﷺ حين دخلت عليه . وبنت السلط ، وماتت قبل أن يدخل عليها . ومليكة الليثية ، قال بعضهم : وهى التى استعازت فسرحتها ﷺ ، وخطب ﷺ امرأة من أبيها فوصفها له ثم قال : وأزيدك أنها لم تمرض قط ، فقال ﷺ : ما لهذه عند الله من خير فتركها (١) .

وكان صداقه لنسائه ﷺ خمسمائة درهم لكل واحدة . هذا أصح ما قيل إلا صفية وأم حبيبة .

إخوته من الرضاع :

« صلى الله عليه وآله وسلم » :

حمزة وأبو سلمة (عبد الله بن عبد الأسد) أرضعتهما معه ﷺ ثوية (جارية أبى لهب) بلبن ابنها مسروح بن ثوية ، وحمزة وأبو سلمة من السابقين الأولين .

وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (أرضعته ورسول الله ﷺ حليلة السعدية) وقد أسلم .

وعبد الله وآسية والشيءاء (أولاد حليلة من زوجها الحارث بن عبد العزي السعدى) .

(١) روى ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير مرسلاً ، : « لا خير فى مال لا يرزأ فيه وجسد لا ينال منه » وذلك لأن الأمراض والبلايا مكفريات للذنوب والخطايا .

وهؤلاء الثلاثة وأبوهم الحارث ذكرهم فى الإصابة (ابن حجر)
من جملة الصحابة وفى الأخير خلاف بين العلماء :

أخـواله:

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

أما أخواله فالأسود بن وهب جاء إلى النبي ﷺ وعلمه كلمات
ولقنه دعاء نقله (الزرقانى) فى شرح المواهب ، وخاله أيضاً عبد
يغوث بن وهب والد الأسود الذى كان من المستهزئين ، وخالته
فريعة بنت وهب .

مواليه:

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

زيد بن حارثة ، وأعتقه ﷺ وابنه أسامة ، وثوبان ، وأبو
كبشة . سليم [شهد بدرًا] وأعتقه ﷺ وتوفى يوم استخلف عمر ،
وأُنيسة وأعتقه ، وشقران [واسمه صالح] قيل ورثه من أبيه ، وقيل
اشتراه عبد الرحمن بن عوف وأعتقه . ورباح الأسود النوبى وكان
يأذن عليه أحياناً إذا انفرد وهو الذى أذن لعمر بن الخطاب
بالدخول وأعتقه ﷺ . ويسار الراعى النوبى ، [وقته العريون] ،
وأبو رافع أسلم (وهبه له العباس) فأعتقه حين بشره بإسلام العباس
وزوجه سلمى (مولاة له) فولدت له عبيد الله .

وأبو مويهبة وأعتقه ، وفضالة (مات بالشام) ، ورافع
(مولى سعيد بن العاص) وأعتقه ، ومدعم (وهبه له رفاعه)

الجدامي) قتل بوادي القرى . وكركرة (نوبى أهده له هوذة بن على) وأعتقه، وزيد (جد بلال بن يسار)، وعبيد، وطهمان، ومأبور القبطى (من هدية المقوقس)، وواقد، وأبو واقد، وهشام، وأبو ضمرة (من الفىء وأعتقه)، وحنين، وأبو عثيب (واسمه أحمر)، وأبو عبيد، وسفينة (وكان لأم سلمة) فاشتريت عليه أن يخدم النبي ﷺ مدى حياته، فقال لها لو لم تشتري على ما فارقتة . وكان اسمه رباحًا، وقيل مهران، وأبو هند وأعتقه ﷺ، وأنجشة الحادى، وأبو لبانة، وقد عدوا أكثر من ذلك .

ومن النساء سلمى (أم رافع زوج أبى رافع) ورثها من أبيه، ومارية وريحانة وقيصر (أخت مارية) وميمونة بنت سعد، وحضرة، ورضوى .

قال ابن الجوزى : موالى النبي ﷺ ثلاثة وأربعون، وإماؤه إحدى عشرة رضى الله عنهم أجمعين . واعلم أن هؤلاء الموالى لم يكونوا موجودين فى وقت واحد للنبي ﷺ بل فى أوقات مختلفة . وذكر الشيخ صديق حسن خان فى شرحه على بلوغ المرام : أنه ﷺ أعتق ٦٣ نسمة (عدد سنى عمره) .

خدمه ﷺ وبعض أصحاب الوظائف:

أنس بن مالك، وهند وأسماء (ابنا حارثة)، وربيعة بن كعب

الأسلميون، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر، وبلال، وسعد (مولى أبى بكر) ومخرمة بن أبى النجاشي، وكبير بن شداخ، والليثي، وأبو ذر الغفاري، وأيمن بن أم أيمن، وأسلع بن شريك، ومهاجر (مولى أم سلمة)، ونعيم بن ربيعة الأسلمي، وأبو الحمراء (هلال بن الحارث)، وأبو السمح واسمه إياد.

ومن النساء: بركة (أم أيمن الحبشية) والدة أسامة بن زيد، وخولة (جدة حفص)، وسلمى (أم رافع - زوج أبى رافع)، وميمونة بنت سعد (أم عياش) مولاة رقية بنت النبي ﷺ.

وكان يضرب الأعناق بين يديه على بن أبى طالب، والزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، ومحمد بن سلمة، وعاصم بن ثابت، والضحاك بن سفيان، وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه عليه الصلاة والسلام بمنزلة صاحب الشرطة، وكان بلال على نفقاته، ومعيقب بن أبى فاطمة الدوسى على خاتمه، وابن مسعود على سواكه ونعله وطهوره، وأبو رافع (واسمه أسلم) على ثقله، وعقبة ابن عامر الجهنى كان صاحب بغلة رسول الله ﷺ ويقود به فى الأسفار، وكان أسلم بن شريك بن عوف صاحب راحلة النبي ﷺ ينزل الرحل عنها، ويضعه عليها.

وكان خالد بن يسار بن عوف الغفارى هو صاحب بُدن النبي ﷺ هو وحسان الأسلمي، وناجية بنت جندب الأسلمي، وكان ذر بن أبى ذر الغفارى هو راعى لقاح رسول الله ﷺ بالغابة.

وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال، وأنجشة يحدو بالنساء .
 وكان الضحاك بن سفيان بن كعب يقوم على رسول الله ﷺ بسيفه .
 وكان بطلاً يعد بمائة فارس وحده وكان عبد الرحمن بن عوف أمين
 رسول الله ﷺ على نسائه، ولما أراد نساء النبي ﷺ الحج فخرجن
 في الهوداج عليهن الطيالة، وكان أمامهن عبد الرحمن بن
 عوف، ووراءهن عثمان بن عفان، وكانا لا يدعان أحداً يدنو
 منهن، وكان أبو بكر رضى الله عنه يعلم الوفود بنفسه، وأحياناً يأمر
 من يفعل ذلك بتعليمهم كيف يُحيُّون النبي ﷺ وكيف يسلمون
 عليه، وكيف يجلسون بين يديه، كما ذكر ذلك ابن إسحاق في
 قصة وفد ثقيف: «وأن أبا بكر خرج إليهم يعلمهم ذلك»، وكان
 ﷺ يستخدم غلاماً يهودياً في بعض شؤونه المنزلية، وقد عرض
 عليه الإسلام فأسلم ثم مات بعد ذلك .

وكان ﷺ يقوم بنفسه على أشياء ولا يكلها إلى أحد، كالصدقة
 والوضوء بالليل . روى ابن سعد عن زياد (مولى عياش بن أبي
 ربيعة) قال: خصلتان كان لا يكلهما رسول الله ﷺ لأحد (١)
 الوضوء من الليل إذا قام وإعطاء السائل (٢) .

حَرَسَهُ:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

حرسه سعد بن معاذ يوم بدر، وحرسه أبو بكر أيضاً يومئذ

(١) أى غالباً وإلا فقد يقوم بها غيره معه . مالكي (المؤلف) .

(٢) لعل ذلك كان منعاً لإحراج السائل ورعاية لمشاعره .

بالعريش ، وذكوان بن عبد قيس ، ومحمد بن مسلمة بأحد ،
والزبير يوم الخندق ، وعباد بن بشر ، وسعد بن أبى وقاص ، وأيوب
(بخير) ، وبلال (بوادى القرى) ، ولما نزلت : «والله يعصمك من
الناس» ترك ﷺ الحرس .

رسله إلى الملوك :

«صلى الله عليه وآله وسلم» :

عمرو بن أمية الضمري ، وهو أول رسول يبعثه ﷺ إلى النجاشي
(أصحمة) ومعناه عطية ، فوضع كتاب رسول الله ﷺ على عينيه
ونزل من سريره وجلس على الأرض وأسلم ومات فى حياة النبى
ﷺ فى سنة تسع فصلى عليه (١) .

ودحية بن خليفة الكلبى أرسله إلى ملك الروم «قيصر» وهو
هرقل . فثبتت عنده نبوة النبى ﷺ فهم بالإسلام فلم توافقه الروم
فخافهم على ملكه فأمسك .

وعبد الله بن حذافة السهمى أرسله ﷺ إلى كسرى ملك فارس
فمزق الكتاب ، فقال ﷺ : مزق الله ملكه كل ممزق .

وحاطب بن أبى بلتعة أرسله ﷺ إلى المقوقس فقارب الإسلام ،
وأهدى النبى ﷺ مارية وسيرين ، والبغلة الشهباء (دُلْدُل) وألف
دينار وأثوابًا عشرين .

(١) أى صلاة الغائب ، وهى أول صلاة صليت على من غاب من موتى المسلمين .

وقد ذكر أهل السير أنه ﷺ بعث ستة نفر في يوم واحد سنة سبع فأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم^(١).

وعمر بن العاص أرسله ﷺ إلى جيفر وعبد (ابن الجلندی) ملكي عمان، فأسلما وخليا بين عمرو وبين الصدقه والحكم بينهم، فلم يزل حتى توفي النبي ﷺ وسليط بن عمرو العامري أرسله ﷺ إلى هوزة بن على صاحب اليمامة فأكرمه، وبعث للنبي ﷺ: يقول له: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا خطيب قومي وشاعرهم فاجعل لي بعض الأمر فأبى عليه السلام، ولم يسلم هوزة.

وشجاع بن وهب الأسدي أرسله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني (ملك البلقاء بالشام) فرمى بالكتاب، وقال: أنا سائر إليه فمنعه قيصر.

والمهاجر بن أبي أمية المخزومي أرسله ﷺ إلى الحارث الحميري في اليمن.

والعلاء بن الحضرمي أرسله ﷺ إلى المنذر بن ساوى (ملك البحرين) فأسلم.

وأبو موسى الأشعري بعثه إلى اليمن، ومعه معاذ بن جبل، فأسلم عامة اليمن وملوكهم من غير قتال.

(٢) فتح الله عليهم فتعلموا لغة القوم، وهذا من معجزات النبي ﷺ.

كُتِّبَ بِهِ:

«صلى الله عليه وآله وسلم»:

وممن كتب له عليه الصلاة والسلام الخلفاء الأربعة، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبى بن كعب، وثابت بن قيس بن شماس، وخالد بن سعيد، وحنظلة بن الربيع، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبى سفيان، وشرحبيل بن حسنة، والعلاء بن الحضرمي، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن رواحة، وحذيفة ابن اليمان، وكان معاوية وزيد بن ثابت ألزمهم بذلك وأخصهم به (١).

(١) وذكر السيوطي في الإتقان أكثر من أربعين كاتبًا للوحى .

من عجائب مولده

«صلى الله عليه وآله وسلم»

أخرج أبو نُعَيْم عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال : كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حُمِلَ برسول الله ﷺ وربُّ الكعبة ، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً ، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً ، وله في كل شهر من شهور حملته نداء في الأرض ونداء في السماء : أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ﷺ ميموناً مباركاً - الحديث . قلت : ذكر هذه القصة الحافظ القسطلاني وقال : سندها ضعيف (١).

(١) مما ينبغي التنبيه إليه أن كثيراً من المؤلفين في السير والموالد والتاريخ أسرفوا في ذكر المعجائب التي اقترنت بميلاده ﷺ وفيها الكثير مما لم يصح ، وما هو مختلق ، لكن هناك أشياء وأمور ثابتة صدقها التاريخ والواقع منها ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته ، وغيبض بحيرة ساوة وخمود نار الفرس التي لم تخدم من ألف عام / انظر السيرة النبوية للدكتور محمد محمد أبو شُهَيْبَة ص ١٨١ .

من عجائب نشأته

«صلى الله عليه وآله وسلم»

أخرج البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخيهما وابن طغربك السياق في «النطق المفهوم» عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت يارسول الله دعاني للدخول في دينك أمانة لنبوتك ، رأيتك في المهد تناغى القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال ، قال : إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش ، قال البيهقي تفرد به أحمد بن إبراهيم الجيلي وهو مجهول ، وقال الصابوني : هذا حديث غريب الإسناد والمتن ، وهو في المعجزات حسن ، و (المناغة) المحادثة ، وقد ناغت الأم صبيها : لطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة . وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي أنه ﷺ تكلم في أوائل ما ولد ^(١) ، وذكر ابن سبع في الخصائص : أنه في مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة .

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال : كانت حليلة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله ﷺ تكلم فقال : الله أكبر كبيراً

(١) وصل عدد الذين تكلموا في المهد إلى عشرة ذكر ذلك الشنقيطي (رحمه الله) في

زاد المسلم ونظم السيوطي أسماءهم فقال :

ويحيى وعيس والخليل المكرم
وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
يقال لها تزني ولا تتكلم
وفي زمن الهادي المبارك يختم

تكلم في المهد النبي محمد
ومُبرئ جريج ثم شاهد يوسف
وطفل عليه مر بالأمّة التي
وماشطة في عهد فرعون طفلها

والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، فلما ترعرع كان يخرج
فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم — الحديث . كذا في
المواهب :

من عجائب المولد الشريف

ومن عجائب ولادته (عليه السلام) ما أخرجه البيهقي وأبو نعيم
عن حبان بن ثابت، قال : إني لغلام ابن سبع سنين، أو ثمان،
أعقل ما رأيت وسمعت، إذا يهودى يصرخ ذات غداة : يا معشر
يهود، فاجتمعوا إليه، وأنا أسمع، قالوا : ويلك، مالك؟ قال :
طلع نجم أحمد، ولد به في هذه الليلة .

وعن عائشة قالت : كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة
التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال : يا معشر قريش، هل ولد فيكم
الليلة مولود؟ قالوا : لا نعلم، قال : انظروا فإنه ولد في هذه الليلة
نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة، فذهب اليهودى معهم إلى أمه،
فأخرجته لهم، فلما رأى اليهودى العلامة خرّ مغشيًا عليه، وقال :
ذهبت النبوة من بنى إسرائيل، يا معشر قريش أما والله ليسطون
بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب — رواه يعقوب بن
سفيان بإسناد حسن كما قاله في فتح الباري .

(كذا في المواهب : ٢٣) .

ليلة المولد وليلة القدر

اختلف في وقت ميلاده ﷺ قال الحافظ القسطلاني :
والصحيح أن ولادته عليه السلام كانت نهاراً . وقيل : ليلاً . فإن
قلت : إذا قلنا بأنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلاً ، فأيهما أفضل
ليلة القدر ، أو ليلة مولده ﷺ ؟ .

أجيب بأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه
ثلاثة (١) :

(١) ورأيت في نسخة علق عليها المؤلف بخطه : «وفهم بعض الجهال أن المفاضلة بين ليلة
القدر وليلة المولد المتكررة في كل عام وغاب عن عقولهم أن المقصود بليلة المولد : أي التي
مضت وانقضت ووقع فيها الميلاد حقيقة وهي كانت قبل ليلة القدر قطعاً بلا شك» اهـ . هذا ولقد
شنع بعض المعاصرين على ما ذهب إليه المؤلف بأن ليلة الميلاد أفضل من ليلة القدر ، ولم نجد
لهذا التشنيع سبباً مقبولاً إلا أن يكون داء الصدر ومرض القلب !
فأولاً : السيد المؤلف لم يتدع هذا القول ولم يأت به من عند نفسه ويكفى أنه سبقه إليه الإمام
القسطلاني في المواهب ، وذكر الإمام النبهاني في جواهر البحار أن الإمام الطحاوي نقله عن بعض
علماء الشافعية .

ثانياً : القول بأن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر لا يصادم نصاً شرعياً صريحاً أو حتى غير
صريح من كتاب أو سنة ، فليس هناك ما يفيد أن ليلة القدر هي أفضل الليالي على الإطلاق بل
الذي ورد أنها ليلة مباركة وأنها خير من ألف شهر وأنها ليلة نزول القرآن الكريم ، وهذا كله لا يعني
أنه ليس هناك ليلة أفضل منها فقد نقل ابن القيم (رحمه الله) عن شيخه ابن تيمية أنه سئل أيهما
أفضل ليلة الاسراء أم ليلة القدر ؟ فقال : إن ليلة الاسراء - إن قصد بها الليلة التي أسرى فيها برسول
الله ﷺ وحصل له فيها ما لم يحصل في غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا
صحيح . اهـ زاد المعاد حـ ١

فهذا ابن تيمية يذهب إلى تفضيل ليلة الاسراء على ليلة القدر لأنه حدث فيها للنبي ﷺ ما لم
يحدث في غيرها فكيف بالليلة التي كانت سبباً لحدوث كل نعمة وفضيلة لهذه الأمة ومنها حدوث
ليلة القدر ؟ .

ثالثاً : إذا كانت ليلة القدر حازت هذا الشرف كله بنزول القرآن فيها ، فكيف بليلة تجلى فيها
الحق تبارك وتعالى على الوجود بميلاد سيد الكائنات الذي كان القرآن بعض معجزاته المؤيدة له ؟ =

أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ وليلة القدر معطاة له ، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ، ولا نزاع في ذلك ، فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أفضل .

الثاني : أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ فيها ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى فتكون ليلة المولد أفضل .

الثالث : أن ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد ﷺ
وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فهو
الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فعمت به النعمة على
جميع الخلائق ، فكانت ليلة المولد أعم نفعا ، فكانت أفضل
فيا شهرا ما أشرفه وما أوفر حرمة . !

لياليه كأنها لآلىء فى العقود، ويا وجهًا ما أشرفه من مولود
فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعًا وحسنه بديعًا.

يقول لنا لسان الحال منه

وقول الحق يعذب للسميع

= رابعاً : المؤلف (أمد الله في عمره) لم يجعل هذا القول عقيدة واجبة الاتباع بل هو اجتهاد مشكور واعتقاد متروك لمن رزقه الله صفاء الفطرة ونقاء الطوية وشفافية الحس الإيماني .

فوجهى والزمانُ وشهر وضعى

ربيعٌ فى ربيع فى ربيع

(كذا فى المواهب : ٢٧)

من لطائف الميلاد النبوى

وإنما كان مولده فى شهر ربيع على الصحيح ، ولم يكن فى المحرم ولا فى رجب ولا فى رمضان ولا غيرها من الأشهر ذوات الشرف ^(١) ، لأنه عليه السلام لا يتشرف بالزمان وإنما يتشرف الزمان به ، وكذلك المكان ، فلو ولد فى شهر من الشهور المذكورة لتوهم أنه تشرف بها ، فجعل الله تعالى مولده عليه السلام فى غيرها ، ليظهر عنايته به وكرامته عليه ، وإذا كان يوم الجمعة الذى خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، فما بالك بالساعة التى ولد فيها سيد المرسلين ، ولم يجعل الله تعالى فى يوم الاثنين - يوم مولده ﷺ - من التكليف بالعبادات ما جعل فى يوم الجمعة المخلوق فيه آدم من الجمعة ، والخطبة ، وغير ذلك من العبادات إكراماً لنبيه

(١) لابن الحاج فى مدخله فى ذلك رأى جميل : وهو أن الربيع مصدر أنس ومظهر بهجة فى لفظه ودلالته فناسب ذلك ولادته ﷺ ولأن فى شريعة الرسول ﷺ من الاعتدال وموافقة النفوس ما يتناسب ولطف وقت الربيع ، ثم لأنه ﷺ لا يتشرف بالأزمنة أو الأمكنة ، بل تتشرف به الأزمنة والأمكنة ، لعظيم مكانته وجليل فضله ، وقد اتفقوا على أن أشرف بقعة فى الأرض هى البقعة التى ضمت جسده الشريف ﷺ ، فلماذا لا يكون الشهر الذى ولد فيه من أفضل الشهور واليوم الذى تشرف بولادته من أفضل الأيام ؟ [المدخل ج ٢ / ٢٨ ط دار الحديث] .

عليه السلام بالتخفيف عن أمته بسبب عناية وجوده ، قال تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ومن جملة ذلك عدم التكليف (١) .

حول قصة الغرائق

خلاصة هذه القصة أنه ﷺ قرأ : ﴿والنجم إذا هوى﴾ حتى بلغ ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان في أمنيته ، أى فى تلاوته : تلك الغرائق العلاء . وإن شفاعتهن لترجى ، فلما ختم السورة سجد ﷺ وسجد معه المشركون لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير ، وفشا ذلك فى الناس ، وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة ، وكان بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه ، وتحذثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا معه ﷺ وقد آمن المسلمون بمكة ، فأقبلوا سراعاً من الحبشة .

والغرائق فى الأصل : الذكور من طير الماء ، واحداً غرنوق ، وغرنيق سمى به لبياضه ، وقيل هو الكركى ، والغرنوق أيضاً :

(١) كل ما اختص به يوم الجمعة من فضائل جعل المؤلف سبب ذلك هو خلق آدم عليه السلام فى ذلك اليوم وأقول إكمالاً الفائدة : بأن آدم عليه السلام ما استحق هذه الفضائل إلا لأن نور محمد ﷺ كان فى صلبه ، ومن عظيم نعمته سبحانه وتعالى أنه اختص هذه الأمة بهذا اليوم العظيم المبارك وهداها إليه بعد أن ضل عنه اليهود والنصارى فبدل اليهود به يوم السبت والنصارى يوم الأحد .

الشاب الأبيض الناعم ، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع ، ولما تبين للمشركين عدم ذلك ، رجعوا إلى أشد مما كانوا عليه .

وقد تكلم القاضى عياض (رحمه الله) فى الشفا على هذه القصة وتوهين أصلها بما يشفى ويكفى . وقال الإمام فخر الدين الرازي (مما لخصته من تفسيره) هذه القصة باطلة موضوعة لايحوز القول بها - قال الله تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ وقال الله تعالى : ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ وقال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، ثم أخذ يتكلم فى أن رواية هذه القصة مطعونون . وأيضاً فقد روى البخاري فى صحيحه : «أنه ﷺ قرأ سورة النجم وسجد وسجد معه المشركون والإنس والجن ، وليس فيه حديث الغرائيق . بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة ، وليس فيها ألبته حديث الغرائيق ، ولا شك أن من جوز على الرسول الأعظم تعظيم الأوثان فقد كفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان نفى الأوثان ، ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه ، وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك . ويبطل قوله تعالى : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» فإنه لا فرق فى الفعل بين النقصان فى الوحي وبين الزيادة فيه . فهذه الوجوه

عرفنا على سبيل الإجمال : أن هذه القصة موضوعة ، وقد قيل : إن هذه القصة من وضع الزنادقة ولا أصل لها - انتهى .

قلت : وقد ساق الحافظ القسطلاني كلاماً في هذا الموضوع لا طائل تحته . وما نقلناه في هذه المسألة هو الحق إن شاء الله تعالى (١) .

(١) لقد تناول كثير من المستشرقين والمبشرين من أعداء الاسلام ومن تأثر بهم من أديبائه على مقام النبي الأعظم ﷺ بسبب هذه القصة التي ذكرها بعض كتاب السيرة ، وبعض المفسرين - الذين لا تحقيق عندهم للروايات ، ولا يعنون بالتمييز بين الصحيح والضعيف ، والغث من السمين عنايتهم لحشد الروايات والإكثار منها - في سبب رجوع مهاجري الحبشة وأنه نزل بسببها آية الحج ، هذا وقد حكمت الصنعة الحديثة والقواعد الاصولية على بعض علمائنا كالحافظ ابن حجر والامام السيوطي (رحمهما الله) فقالوا : إن للقصة أصلاً تدل عليه كثرة الطرق التي رويت بها لكنهم أولوا هذه القصة بما يتفق مع عصمته ﷺ .

ونبين هنا بطلان هذه القصة سنداً ولغة وعقلاً ، ثم نذكر التأويل الذي ارتضاه ابن حجر وما يلزم منه ونختم بالتفسير الصحيح لآية الحج . وهي قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ والآيات وأخرج البزار وابي مردويه عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأخرجها كذلك ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن شعبة أيضاً عن أبي بشر عن سعيد بن جبير - كما قال الحافظ ابن حجر - وقال البزار لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد ، وبعد أن ذكر الحافظ من خرج هذه القصة ومنهم ابن اسحق في سيرته عن محمد بن كعب وموسى بن عقبه عن ابن شهاب - قال : وكلها ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد ابن جبير الأولى .

هذا وقد طعن في هذه القصة كثير من المحدثين ومن المحققين الذين جمعوا بين المعقول والمنقول ، قال الامام ابن خزيمة : إنها من وضع الزنادقة ، وصنف في ذلك كتاباً ، وقال الإمام البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ، وقال القاضي عياض في الشفا : « إن هذا حديث لم يخرج به أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند متصل . الخ . =

= وكذلك أنكر هذه القصة الامام أبو بكر بن العربي والامام أبو منصور الماتريدي حيث قال : « والصواب أن قوله « تلك الغرانيق العلا » الخ من جملة إيهاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا في صحة الدين » تفسير ابن كثير والبغوى .

ومما يدل على بطلان القصة من ناحية السند اضطراب الرواية فيها اضطراباً فاحشاً ، وليس من شك في أن الاضطراب يذهب الثقة بها كما هو مقرر في علم أصول الحديث .
وأيضاً مما يدل على افتعال القصة ما ذكره الشيخ محمد عبده أن وصف العرب لألهتهم بالغرانيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك كان جارياً على ألسنتهم إلا ما جاء في معجم ياقوت من غير سند ولا شيء من معانيه اللغوية يلائم معنى الإلهية والأصنام حتى يطلق عليها في فصيح الكلام الذى يعرض على أمراء الفصاحة والبيان .

أما دليل بطلان هذه القصة من ناحية العقل فهو :

١ - أجمعت الأمة على أن عصمة الأنبياء أمر واجب من أمور الدين التى لا خلاف فيها والأخذ بهذه القصة هدم لهذا الأمر الواجب المجمع عليه وإذا كان المحققون يقولون : إن الخبر الثابت إذا كان حديث آحاد لا يصلح لإثبات أمر من أمور العقائد فكيف بهدم أمر معلوم من الدين بالضرورة بخبر ضعيف أو مختلق ؟ .

٢ - إن قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ﴾ - وهو ما صدرت به الآية - يدل على أن هذا لم يكن أمراً خاصاً به ﷺ بل كان عاماً فى كل رسول ونبى ، ومع هذا لم يأتنا نص من كتاب ولا سنة يفيد أن نبياً أو رسولاً من الأنبياء والرسل السابقين لسيدنا محمد ﷺ لبس له الشيطان وتكلم على لسانه .

وأما التأويل الذى ارتضاه ابن حجر وتبعه السيوطى فهو أن الشيطان ترصد سكتة من سكتاته ﷺ أثناء قراءته فنطق بهذه الكلمات محاكياً نغمته ﷺ فظنها الناس من قوله ﷺ ١ هـ . [فتح البارى ج ١ ص ٣٥٥] وهذا تأويل ضعيف عند النظر والتأمل يوقع القائل به فيما فر منه وهو تسلط الشيطان على النبى ﷺ فالتسلط عليه بالمحاكاة كالتسلط عليه بالإجراء على لسانه كلاهما لا يجوز فقد أقر رئيس الشياطين بأنه لاسلطان له على عباد الله المخلصين فكيف يسيد الأولين والآخرين ؟ وأيضاً لو كانت القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها من الآيات فقبلها : « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » وبعدها : « ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هى الا أسماء » الخ فيكون النظم على هذا مفككاً والكلام متناقضاً فكيف تقبله عقول السامعين وكيف يسجد له المسلمون والمشركون ؟ .

= وأخيراً نرى الأوفق والأصح فى تفسير آية الحج ما ذكره أهل العلم والمعرفة ومنهم الشيخ الدباغ ونقله عنه ابن المبارك فى كتاب الإبريز وخلاصته : أن الصواب فى هذه القصة مع ابن العربى وعياض ومن وافقهما فى نفى هذه القصة لا مع ابن حجر ، وقط ما وقع للنبي ﷺ شىء من هذا وإلا لارتفعت الثقة بشريعته وبطل حكم العصمة وصار كفره من الناس يتسلط عليه الشيطان ، ومعنى التمنى فى الآية أن أى نبي ورسول يتمنى الإيمان لأمته ويحبه لهم ثم الحال يختلف فى أمته فمن كفر منهم فقد ألقى الشيطان الوسواس القاذحة له فى الرسالة ، ومن آمن منهم ينسخ الله من قلوبهم هذه الوسواس الشيطانية ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة . وما أجمل هذا التفسير الذى يتناسب مع الآية ويكون ما يلقيه الشيطان راجعاً لأفراد الأمة لا إلى نبيها ورسولها بدليل قوله تعالى : ﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد ﴾ وإلى هذا (أى تفسير التمنى) مال الإمام البخارى رضى الله عنه فى صحيحه - كتاب التفسير - سورة الحج ، ونقل ذلك فى كتابه السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة (الدكتور محمد محمد أبو شهبه) .

إظهار حقيقة

إظهار حقيقة ما ينسب إلى الإمام أبي حنيفة «رضى الله تعالى عنه» في حق أبوي المصطفى ﷺ وثبت رجوع الملا على القارى عن رأيه في حقهما، كتب عن ذلك الشيخ مصطفى الحماوى فى النهضة الإصلاحية ما خلاصة: «ظهرت رسالة منسوبة للشيخ «ملاً على القارى» بعنوان: «أدلة معتقد أبى حنيفة الإمام فى أبوى الرسول عليه السلام» تكلم فيها عن والدى رسول الله ﷺ كلاماً كان الواجب ألا يتكلمه لأن هذا الكلام يؤذى حضرة سيد الوجود مولانا رسول الله ﷺ ومنكر عظيم أن يؤذى حضرة الرسول ﷺ.

فقد أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر أن درة ابنة أبى لهب مرت برجل فقال: هذه ابنة عدو الله أبى لهب، فأقبلت عليه فقالت: ذكر الله أبى لنسأبته وشرفه، وترك أباك لجهالتك، ثم ذكرت للنبي ﷺ فخطب الناس فقال: «لا يؤذين مسلم بكافر» معنى هذا لا تذكروا الكفار ذكراً يشتمز منه المؤمن ويتألم به وليس بكثير على المؤمن أن يُكرم حتى لا يتعرض لأقاربه الكفار تعرضاً يؤذيه ويغضبه، وإذا كان هذا فى أى مؤمن بالنسبة لأهله الكافرين فأولى ثم أولى أن يراعى مع رسول الله ﷺ فالأدب الإسلامى أن لا يذكر أهله ﷺ الذين ماتوا على الكفر ذكراً لا يليق بقرابته ﷺ فكيف بأبويه الكريمين العظيمين؟.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر وأبى هريرة، وعمار بن ياسر (رضى الله عنهم) أنهم قالوا: «قدمت دُرّة بنت أبى لهب مهاجرة فقال لها نسوة: أنت دُرّة بنت أبى لهب الذي يقول الله (أى فيه) «تبت يدا أبى لهب» فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فخطب فقال: «أيها الناس مالى أودى فى أهلى، فوالله إن شفاعتى لتنال بقرابتى حتى إن حكماً، وحاء، وصدا وسلبها (أسماء قبائل) تنالها يوم القيامة بقرابتى، وهذا الحديث نص فى الموضوع. فإنه ﷺ اهتم بمسألة ذكر عمه أبى لهب بما ذكر، حتى قام خطيباً بين الناس - ينهاهم عن مثل ذلك بقوله: (أيها الناس: مالى أودى فى أهلى).

وإذا كان هذا غضبه من أجل أبى لهب، وقد مات كافراً قطعاً، فكيف يكون غضبه من أجل أبويه الكريمين العظيمين، وقد ماتا على الفطرة؟ كما سيأتى الكلام عن ذلك. إن شاء الله.

إن غضبه ﷺ لا بد أن يكون عظيماً على من يشير أى إشارة إلى إهانة حضرته هذين الوالدين العزيزين اللذين أكرمهما الله إكراماً لا يضاهى بإكرام بإبراز سيد الوجود وصفوة الخلق ﷺ. ولا شك أن فاعل ذلك إنما تسبب فى لعن نفسه وطردها من رحمة الله، فإن ربنا يقول فى كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾. ولنتقل من هذا إلى الكلام عن هذه المسألة فنقول: «من الافتراء الفاحش على الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان (رضى الله عنه): أن يسند إليه أنه يعتقد أن

أبوى رسول الله ﷺ غير ناجيين يوم القيامة . بل هما مع الكفار فى نار جهنم خالدين فيها أبداً ، نعم ذلك افتراء عظيم على هذا الإمام العظيم ، وإذن من الإفك أن تُعَنُونَ تلك الرسالة بهذا العنوان : (أدلة معتقد أبى حنيفة الإمام فى أبوى الرسول عليه السلام) على أن معتقده فيهما أنهما كافران .

فإن قال القارىء : إن ملا على القارى ، نقل فى صدر هذه الرسالة : أن هذا قاله فى كتابه الفقه الأكبر ، مانصه : «والدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر» وإذا كان هذا قوله فى كتابه المنسوب إليه فكيف تسميه افتراءً عظيماً؟ وأنا أقول : إن الذى قاله الرجل فى الفقه الأكبر ليس ما ذكر . بل الذى قاله ، نصه : «والدا رسول الله ﷺ ماتا على الفطرة وأبو طالب مات كافراً» . هذا الذى رأيته أنا بعينى فى الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة - رضى الله عنه - رأيته فى نسخة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ترجع كتابة تلك النسخة إلى عهد بعيد ، حتى قال لى بعض العارفين هناك إنها كتبت فى زمن العباسيين ، وهذه النسخة ضمن مجموعة رقمها ٣٣٠ من قسم المجاميع بتلك المكتبة ، فمن أراد أن يرى هذه النسخة من الفقه الأكبر بعينه فعليه بتلك المكتبة . وهو يجدها . هناك بهذا النص الذى نقلناه هنا . ولا يظن القارىء أن رؤيتى هذه ترجع إلى عهد بعيد لا يظن هذا وليؤكد أنها كانت فى موسم الحج الفائت (سنة ١٣٥٤ هـ) بينها

وبين وقت كتابة هذا يوم الخميس ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ
خمسة شهور وبضع شهر، لأنى كنت بالمدينة إلى أوائل شهر ذى
الحجة من سنة أربع وخمسين^(١).

ومن تأمل وجد أن النقل الذى بنسخة «ملا على قارى»، به
بليتان:

البلية الأولى، أنه كذب — يخالف النسخة القديمة التى مر
ذكرها.

والبلية الثانية، أن التدليس دخله، فإن الذى يقرأ (وأبو طالب
مات كافراً) بعد النص الذى نقله (ملا على) يقول: معترضاً
حالا: إذا كان والدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر وأبو طالب
كذلك، فكان حق الكلام أن يكون هكذا: «والدا رسول الله ﷺ
وأبو طالب ماتوا كافراً» لا أن يذكر كفر أبويه ﷺ وحده، ويذكر
كفر أبى طالب عقبه وحده.

أما نسختنا هذه فواضح جداً ما بها من أفراد كفر أبى طالب،
فإن الحكمين حينئذ مختلفان فيذكر ما يقيد إيمان أبويه ﷺ ثم
ينص على كفر أبى طالب.

ولعل القارىء يتبادر إلى ذهنه أن لفظ (الكفر) الذى ينقله:
«ملا على»، حُرِّف عن لفظ (الفطرة) الذى بنسختنا التى نبهناك

(١) الكلام للسيد مصطفى الحمamy وليس للسيد محمد علوى المالكى كما يتوهم
وذلك بسبب طول النقل.

عليها . ونقلنا لك هذا منها - فإن اللفظين بينهما قرب ظاهر، وهل ذلك التحريف مقصود؟ إن حذف الحكم على أبى طالب يقول ذلك . نقول هذا ولا ندرى هل هذا الحذف من المؤلف أم من الناشر؟ .

وهذه الرسالة باطلة من أصلها لأن صاحبها رجع عما كتبه بتلك الرسالة بما كتبه فى شرحه على الشفا للقاضى عياض ، وكلامه هذا فى موضعين من هذا الشرح :

الموضوع الأول برقم ٦٠١ والموضع الثانى برقم ٦٤٨ من طبعة استانبول الصادرة ١٣١٦ هـ فأما الموضوع الأول فذكر صاحب الشفا : «أن أبا طالب قال للنبي ﷺ وهو رديفه بذى المجاز عطشت وليس عندى ماء . فنزل النبي ﷺ وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء، فقال : اشرب ، قال بعد هذا «ملا على قارى» ما نصه : «قال الدلجى : الظاهر أن هذا كان قبل البعثة ، يعنى فيكون من الإرهاصات ، ولا يبعد أن يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ، ولعل فيه إيماء إلى أنه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات فى أواخر الزمان قريب الألف من السنوات عين فى عرفات ، تصل إلى مكة وحواليها من آثار تلك البركات ، هذا وأبو طالب لم يصح إسلامه ، وأما إسلام أبويه ففيه أقوال . والأصح إسلامهما على ما اتفق عليه الأجلة من علماء الأمة كما بينه السيوطى فى رسائله الثلاث المؤلفة» .

وأما الموضع الثانى ، فقال فيه الشيخ (رحمه الله) ما نصه : «وأما ما ذكرنا من إحيائه عليه الصلاة والسلام ، أبويه ، فالأصح أنه وقع على ما عليه الثقات من الجمهور كما قال السيوطى فى رسائله الثلاثة المؤلفة ، اهـ .

وبهذا فقد كفانا مؤلف الرسالة نفسها وهو الشيخ «ملا على القارى» مؤنة الرد عليها برجوعه إلى الحق والصواب ، وهكذا كان العلماء الأكابر لا ينتظر منهم إلا الرجوع إلى الصواب إن أخطأوا ، والإنابة إلى ربهم إن عصوا ، والمبادرة إلى الكمال إن عرجوا إلى نقص ، والنهوض إلى الذروة إن سقطوا فيما هو أحط من ذلك المقام الأسمى .

وليس هذا فقط ما يدل على نجاته أبويه ﷺ بل هناك طريق آخر يدل على نجاتهما - رضى الله عنهما - وهو أنهما ماتا فى فترة لم يكن فيها رسول الله ينذر أهلها ، ويعلمهم ما هو الواجب عليهم نحو ربهم ، ولا نحو بعضهم بعضاً ، وطال عليهم الأمد ، وهو بتلك الحالة ، فإنهم من عهد سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ - لم يرسل إليهم رسول . وإذن هما معذوران عند ربهما ، كسائر العرب الذين كانوا فى تلك الفترة . وأحب أن تطيل النظر فى قوله تعالى : ﴿يس والقبرآن الحكيم ﴾ * إنك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم لتندر قومًا

ما أنذر آبائهم فهم غافلون ﴿ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿لَتَنْذِرُ قَوْمًا
 ما أنذر آبائهم فهم غافلون﴾ يعتذر عن غفلتهم وبعدهم عن
 الواجب لمولاهم أصولاً وفروعاً ، بأن آبائهم لم يأتهم نذير بإنذاره ،
 فيعلموا أن لخالقهم عليهم حقوقاً يجب أن تراعى فى باطنهم
 وظاهرهم ، فلما كان آبائهم هكذا نشأوا على ما كان عليه آبائهم
 من ترك الواجبات .

ولعلك فهمت من الآية فرقاً عظيماً بين الولد ينشأ بين والدين
 صالحين أو بين والدين فاسقين ، فإن الأول ينشأ عارفاً الدين
 حريصاً على اتباعه كوالديه ، والثانى بالعكس . ومن هذا ما يحكيه
 ربنا عن قوم السيدة مريم - رضى الله عنها - إذ يقولون لها قبل أن
 تبين لهم الحقيقة : «يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت
 أمك بغياً» . أى عجيب فعلك هذا المنكر ، وأبواك ما كانا من
 أهلنا ، ويصرح بنفى العذاب عن أولئك العرب - أهل تلك الفترة -
 قوله تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً» . يقول ربنا : أنا لا
 أعذب أحداً من عبادى على تركه أى أصل أو أى فرع ، إذا كان
 بعيداً عن عهد الرسول ، وبدلت الشرائع المتقدمة ، ولم أبعث إليه
 رسولاً ينبهه ويفهمه أن ما تركه لا يجوز تركه ، فإن تعذبه حيثئذ
 يكون على غير جريمة فى نظره ، وربنا الحكم العدل لا يعذب ،
 على غير جريمة أبداً ، وأبواه ﷺ ككل معاصريهما لم يكن فى
 زمنهم شرائع غير مبدلة ، ولا كان رسول ، بل بعث ﷺ بشريعته

بعد موتهما بزمان طويل ، فإن والده توفي وهو ﷺ في بطن أمه ،
وأما أمه فماتت وهو في نصف العقد الأول من حياته الكريمة أو
يزيد قليلاً ، وإذن هما ناجيان لا يعذبهما الله تعالى ، كإخوانهم
أهل هذه الفترة ، وأكثر علماء الأمة رضى الله عنهم على هذا .

ولعلك تقول : قد وردت أحاديث تدل على أن بعض أهل تلك
الفترة معذبون ، فيقاس الباقي على ذلك البعض .

وإننا نقول : إن تلك الأحاديث لم ترتفع عن درجة الآحاد من
الأحاديث ، وهل تقف تلك الآحاد أمام كتاب الله تعالى ؟ لعلك
تبادر إلى قولك : لا ثم لا ، ويمكنك أن تقول : على فرض صورة
التعارض ، لا تعارض ، وتقف تلك الأحاديث عند الأشخاص
الذين ذكرتهم لمعان فيهم وحدهم يستحقون بها النار ، وإذن كيف
يصح القياس على أنه لا قياس في مثل هذا ؟ . ولعلك تقول : إن
والديه ﷺ ورد ما يمسهما في إيمانهما .

وإننا نقول لعل الذى ورد كان قبل أن يحييهما الله تعالى للإيمان
به ﷺ فإن هذا الإحياء كان ولا شك [على ما عليه الأجلاء من الأمة
وهم الجمهور الثقات - كما يصفهم «ملا على قارى»] وكيف إذن
يمس إيمانهما بعد هذا الإحياء ؟ ولا تغفل عما قلناه قبلاً من أن
الآيات القطعية دلت على نجاتهما ، فلا يعارضها ذلك الذى ورد
آحاداً . على أن ذلك الوارد تكلم على قيمته العلماء كلاماً يجعلك
لا تلتفت إليه . كيف لا وللحافظ السيوطى وحده رسائل ثلاثة فى

هذا الموضوع كما قال مولانا الشيخ ملا على قارى . بقى أن يقال :
على رجوع ملا على قارى عن رسالته . نحن لا ندرى أى الأمرين
المتأخر ليكون عليه المعول ، أهى الرسالة ؟ وإذن ملا على قارى
يكون قد رجع عن القول بنجاة الوالدين (رضى الله عنهم) أم ما قاله
فى شرح الشفا ؟ وإذن يكون قد رجع عن القول بأنهما من الكفار
وصمم على القول بإيمانهما ، وإذ نتكلم عن هذه النقطة نقول :

الأمر ظاهر على تقدير أن المتأخر كلامه على الشفا ، أما على
تقدير أن الرسالة هى المتأخرة فالأمر يبدو فى بادىء النظر صعباً ،
والذى يعطى الموضوع حظه من النظر والتأمل يراه فى غاية
السهولة ، فإن الشيخ صرح فى شرحه على الشفا أن القول بإسلام
الوالدين متفق عليه بين الأجلة من الأمة ، وهو ما عليه الجمهور من
الثقات ، وإذن لو رجع عن هذا إلى القول الثانى الذى تتضمنه
الرسالة يكون مخالفاً لما اتفق عليه الأجلة ، والذى عليه الجمهور
من الثقات ، وأى قيمة لقول يخالف فيه قائله ما اتفق عليه الأجلة
من الأمة ؟ إنه قول فى ناحية وجمهور الثقات من الأمة فى ناحية
أخرى . إنه إذن يكون قد رجع عن الحق ، وقال ما بطلانه من
أوضح الواضحات ، فإذا أضفت إلى هذا أن أبا حنيفة - رضى الله
عنه - يقول : إن الوالدين ماتا على الفطرة (أى الإسلام) بطل قول
ملا على قارى وأين ملا على من الإمام الأعظم ؟ وإن ملا على لم
يكتب رسالته إلا بعد أن رأى تلك الكلمة المحرفة منسوبة إلى

الإمام - رضى الله عنه - فلما رآها كتب ما كتب متكئا على أبى حنيفة ، ومستندًا إليه ، وقد تقدم الجواب عنها ، وأنها محرفة الأصل لها ، وقد ذكر الألوسى وهو أحد أئمة السلف الثقات - فى تفسيره عند قوله تعالى : «وتقلبك فى الساجدين» أن القول بإيمان أبويه عليه السلام قول كثير من أجلة أهل السنة ، ثم قال ما نصه : «وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما - رضى الله عنهما - على رغم أنف على القارى وأضرابه بضد ذلك .

وبعد فإن الله تعالى جعل نبيه عليه السلام رحمة للعالمين ، ولقد كان والله رحمة حتى لعميه أبى طالب وأبى لهب اللذين رأياه بأعينهما وسمعا دعوته بأذنيهما وصمما على الكفر به حتى ماتا .

إن هذين لقربتهما منه عليه السلام جاءت السنة النبوية تخبر أن الله يُخفف عن الأول العذاب دائماً ، ويقال : إنه يخفف عن الثاني فى بعض الأوقات . بل كان والله رحمة لكل الكفار الذين جاهدوه بالكذب ، فإن الله تعالى يقول فيهم : «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» إذن كيف لا يكون عليه السلام رحمة لوالديه وقد ماتا على الفطرة كما يعتقد الإمام الأعظم (رضى الله عنه) وجمهور الأمة الثقات (١) ؟ .

(١) (خلاصة الكلام فيما يجب نحو والدى المصطفى عليه الصلاة والسلام) .
لقد أحسن المؤلف (أكرمه الله) فيما ذهب إليه وقرره بشأن الأبوين الكريمين اللذين خرج منهما منبع الأنوار كلها وأصل الرحمت جميعها . =

= لكن بقيت عدة نقاط يجب التنبيه إليها حتى نخلص إلى الأدب والتوقير لحرمة النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم .

أولاً : أرى أن الخوض في الحكم على أبيه ﷺ بعدم النجاة يعد تطاولاً على مقام النبوة وإيذاء لحضرته ﷺ — بل كان ينبغي أن يكون العلم بنجاتهما مسلماً ومعلوماً عند أهل الإيمان فلا يحتاج إلى بحث وما دفع المؤلف إلى الكتابة عن هذه المسألة إلا أننا نعيش في عصر كثر فيه الجفاء وتطاول فيه الأدعياء فكان لزاماً علينا جميعاً أن نزيل الشبهة التي تعلق بها هؤلاء الناس .

ثانياً : الأدلة القطعية تثبت نجاتهما فكيف نلجأ إلى معارضتها بأخبار شاذة وأحاديث آحاد؟

هل بعد قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ نص أو خبر يتمسك به أحد؟ اللهم إلا من كان متعامياً عن الحقائق أو في نفسه شيء يحجبه عن رؤيتها . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ ثم تعالوا نتساءل !! إذا كان الله لا يعذب المشركين والكفار الذين اتخذوا آلهة من دونه وسجدوا للأصنام وشربوا الخمر واقتربوا ظاهر الإثم وباطنه ، حتى يبعث إليهم رسولا ؟ مع أنه ثبت شركهم وكفرهم وسوء فعالهم فهم ليسوا بمعذبين إلا إذا أتاهم رسول يقيم عليهم الحجة وصدق الله إذ يقول : « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فالسؤال الذي نتحدث به من يقول بأن أبيه ﷺ في النار ، بأي ذنب استحق أن يكونا في النار ؟ هل يستطيع أن يثبت أنهما كانا مشركين أو كافرين ؟ هل يستطيع أحد أن يثبت أنهما عبدا الأصنام أو سجدوا لها أو شربا الخمر أو اقترفا الزنا ؟ .

بل الذي يطالع كتب السير يجد ما يدل على مكارم صفاتهما وطيب فعالهما وطهارة أصلهما ورجاحة عقلهما . ولم ينقل عنهما تعظيمٌ لوثن أو سجدٌ لحجر مما يجعلنا نقطع بأنهما كانا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي توحيد الخالق جل جلاله .

إذا فلم يثبت عليهما شيء يستحقان به دخول النار ولا الخلود مع الكفار ، هل ذنبهما هو خروج الرحمة المهداة من بينهما ؟ اعتبروا يا أولى الأبصار ! .

هذا وقد قسم الشيخ محيى الدين بن عربى أهل الفترة في الباب العاشر من الفتوحات إلى ثلاثة عشر قسماً ، حكم لسته أقسام بالسعادة وأربعة بالشقاء وثلاثة بأنهم تحت المشيئة ، وقال الشيخ الشعراني في اليواقيت والجواهر (ج ٢ ص ٥٨ — ٥٩) ما رأيت هذا التقسيم لأحد غيره . =

= فأما السعداء . ١ - قسم وحد الله بنور وجده في قلبه - ويدخل في هذا القسم والدا المصطفى ﷺ - كقس بن ساعدة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فإن قساً كان إذا سئل هل لهذا العالم إله ؟ يقول : البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام على المسير الخ وأما سعيد بن زيد فكان يسجد ويقول : إلهي إله إبراهيم ودينى دين إبراهيم كما فى صحيح البخارى ... وقال الشيخ محيى الدين : يسمى من وحد الله تعالى مثل قس صاحب دليل ممتزج بفكر وذلك لأنه ذكر المخلوقات واعتبر فيها ، ولذلك يبعث أمة وحده كما ورد لا تابعاً ولا متبوعاً .

٢ - قسم وحد الله بما تجلى فى قلبه من النور الذى لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال . فهذا على نور من ربه .

٣ - قسم ألقى فى نفسه واطلع من شدة نوره وصفاء سره على منزلة سيدنا محمد ﷺ وسيادته وعموم رسالته باطنياً من زمن آدم الى زمانه (أى الذى ألقى فى نفسه) فآمن به (أى بمحمد ﷺ) فى عالم الغيب على شهادة منه وبينه من ربه وهو قوله تعالى : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه (أى يشهد له فى قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيامة فى ضياء من خلفه وفى باطنية محمد ﷺ) .

٤ - قسم اتبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود أو تنصر أو اتبع ملة إبراهيم ... وإن كان ذلك ليس بواجب عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثاً إليه ، فهذا يحشر مع تبع ذلك النبى يوم القيامة .

٥ - قسم طالع فى كتب الأنبياء فعرف شرف سيدنا محمد ﷺ فآمن به وصدق وإن لم يكن دخل فى شرع نبى قط ممن تقدم لاسيما إن كان قد أتى بمكارم الأخلاق كحكيم بن حزام وأضرابه فهذا يحشر مع المؤمنين بسيدنا محمد ﷺ لا مع العاملين بشريعة .

٦ - قسم آمن بنبيه (الذى أرسل إليه) وأدرك رسالة محمد ﷺ وآمن به فله أجران . وأما الأشقياء .

١ - قسم عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقى مطلق .

٢ - قسم أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقى .

٣ - قسم عطل بعد ما أثبت لا عن استقصاء نظر أو تقليد فذلك شقى .

٤ - قسم أشرك عن تقليد محض فذلك شقى .

وأما من هو تحت المشيئة . =

= ١ - قسم أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذى تعطيه قوته .
 ٢ - قسم عطل بعد ما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التى هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه .

٣ - قسم عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر إليه لضعف مزاجه عن قوة غيره . فهذه أقسام الفترات بين إدريس ونوح وبين عيسى ومحمد ﷺ . اهـ .
 هذا ومما يدل على أن الأبوين الشريفيين بل وجده عبد المطلب (رضى الله عنهم) كانوا على التوحيد ما جاء عنهم فى كتب السير فقد قال عبد المطلب عندما جاء أبرهة بجيشه لهدم الكعبة : أما الإبل فإنها لى وأما البيت فإن له رباً سيحيمه . فهل مثل هذا القول يصدر عن مشرك عابد وثن ؟ وإلا كان قد توجه إلى الأصنام والآلهة التى كانت حول الكعبة . وجاء عن عبد الله والد النبي ﷺ لما راودته امرأة عن نفسها على أن تعطيه مائة من الإبل وذلك لما رأت نور النبوة فى وجهه ﷺ فقال .

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فأستبينه
 يحمى الكريم عرضه ودينه فكيف بالأمر الذى تبغيه ؟
 فمثل هذا الخلق الرفيع لا يمكن أن يصدر عن المشركين عبدة الأصنام الذين يفعلون كل منكر وقبيح ولا يترفعون عن شيء من هذا .
 وما جاء عن أمه آمنة (رضى الله عنها) من الأخبار فى شأن حمله ﷺ وولادته الكثير مما نقلته كتب السير أنها رأت كأن نوراً خرج منها أضواء له قصور الشام .
 وما أخرجه ابن سعد عن الواقدي بسنده أنها آتتها آت بين النائم واليقظان فقال لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبىها ، فقولى : « أعيذه بالواحد من شر كل حاسد » الخصائص للسيوطى ج ١ أليس هذا كله كافياً فى أنها رضى الله عنها كانت مؤمنة موحدة ؟
 فهل بعد هذا كله لمجرد حديث حكم العلماء بشذوذه ومنهم من تأوله فى أبى طالب ترك الأدلة القطعية ونلغى عقولنا ؟

ثالثاً : ينحصر استدلال القائلين بأن والدى الحبيب ﷺ فى النار فى حديثين من الأحاد الشاذ :

(أولهما) : حديث مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً : « استأذنت ربي أن أستغفر لأمى فلم يأذن لى ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى » .

ولا يستدل بهذا الحديث على أن والدته ﷺ فى النار لأمر . =

١ - إذنه تعالى لرسوله ﷺ بزيارة قبرها يدل على أنها ليست كافرة لأنه نهاه عن أن يقوم على قبور الكفار والمنافقين بقوله تعالى : « ولا تقم على قبره » الآية .

٢ - ليس في هذا الحديث الظنى الشاذ تصريح بأن أمه ﷺ في النار وإنما هو استنباط سقيم مبعثه مرض في القلوب .

٣ - لا يدل عدم الإذن له ﷺ بالاستغفار لأمه على شركها أو كفرها لأنه يحتمل أنه لم يؤذن له في ذلك الوقت ثم أُذن له بعد ذلك كقوله تعالى : ﴿ أُوْذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيُؤْذِنُوا لِيَوْمِ ذَٰلِكَ الْأَيَّامِ ۚ أُولَٰئِكَ يُسَمُّوْنَ بِاللَّهِ كُفْرًا كَبِيرًا ۚ ﴾ . الآية مع أنه قبل ذلك كان يطلب من النبي ﷺ قتال الكفار فيقول : لم يؤذن لي بعد ، أو أن النهي عن الاستغفار يكون لرفع توهم أن أمه (رضى الله عنها) ممن أخطأ وأذنب فاستحق العذاب فيحتاج إلى استغفار ، قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

(ثانيتها) : حديث : أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : (في النار) فلما قفى دعاه فقال : (إن أبي وأباك في النار) رواه مسلم . والجواب على هذا الحديث من وجوه .

١ - يحتمل أن النبي ﷺ أراد بقوله : (أبي) عمه أبا طالب ، وهذا من الشائع في لغة العرب تسمية العم أبا ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ۚ ﴾ الآية ، فإسماعيل عم يعقوب (عليهما السلام) .

هذا الحديث قال عنه الشيخ السيوطي في مسالك الحنفيا في والدى المصطفى : قوله ، « إن أبي وأباك في النار » لم يتفق عليه الرواة ، وإنما ذكره حماد بن سلمة عن ثابت ، وقد خالفه معمر عن ثابت ، فلم يذكر : إن أبي وأباك في النار ولكن قال له : إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، وهذه اللفظة لا دلالة فيها على والده ﷺ بأمر ألبنة ، وهو أثبت من حيث الرواية ، فإن معمرأ أثبت من حماد ، وإن حماداً تكلم في حفظه ، ووقع له أحاديث منكرين ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه ، وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئاً ، ولا أخرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت .

وقد قال الحاكم في المدخل : ما خرج مسلم لحماد في الأصول إلا من حديثه عن ثابت وقد أخرج له في الشواهد عن طائفة ، وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل رواية معمر عن ثابت عن أنس ، فروى البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري ، عن عامر بن سعد عن أبيه : أن أعرابياً ، قال لرسول الله ﷺ أين أبي ؟ قال : في النار قال : فأين أبوك ؟ قال : حيثما مررت بقبر كافر . الخ =

= وهذا الإسناد على شرط الشيخين ، فتعين الاعتماد . على هذا اللفظ وتقديمه على غيره
أهـ «مسالك الحنفيا» هذا وقد عرف العلماء الحديث الشاذ بأنه ما خالف فيه الثقة من هو
أوثق منه وهذا ينطبق على الحديث المتقدم فى صحيح مسلم . وبهذا يرتفع الإشكال الذى
أوقع الكثيرين فى الحكم بأن والدى المصطفى ﷺ فى النار، نعوذ بالله سبحانه وتعالى من
هذا القول الشنيع ونستغفره سبحانه وتعالى ونتوب إليه .
رابعاً : علينا أن نسلك فى مثل هذه الأمور ما سلكه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم
بإحسان إلى يوم الدين وأن نكف عن لغو القول وسوء الخصام وأن نحفظ أنفسنا من الوقوع
فى الزلل والبهتان .

يا والدی المصطفی

قال العلامة السيد محمد أمين كتبي ، فى الأبوين الكريمين :

يا والد المصطفى نلت الكمالات

وجئت بالخير للماضى وللات

ما مثل ما نلت من فضل وقد جمعت

لك المفاخر بابن كامل الذات

لقد سموت على الأبناء منقبة

كبرى وذكرأ جميلاً فى السموات

يا بعل أمنة من خُصِّصَتْ شرفاً

حماكما الله عن كل الخطيئات

آمنتما برسول الله معجزة

وأنتما الآن فى فردوس جنات

وقد رأيت السيوطى الإمام بنى

بيتاً من العلم من أقوى الروايات

وقال : إن نجاة الوالدين غدت

حقاً بتحقيق سادات وإثبات

فانظر رسائله إن شئت تلف بها

نور اليقين على تلك الرسائل

وذاك معتقدي حقاً ومستندي
 مدعماً بأحاديث وآيات
 والمصطفى مع برّ الوالدين له
 أعلى المناصب في كل المقامات
 يابعل آمنة وهي التي نظرت
 نور الشّام على بعد المسافات
 من كان أهدي إلى الأديان مكرمة
 فأنت أهديتهم أسنى الهديات
 أبشر فإن عطاء الله ليس له
 حد ويأتى بأنواع المسرات
 وأنت أولى بفضل الله من بشر
 لم يبلغوا بعض هاتيك المزيات
 وهكذا أم خير الخلق فهي لها
 حق التّقدم في كل الفضيلات
 يابنت وهب ملكت الخير أجمعه
 بوضع من جاء بالسبع القرّاءات
 وجاء بالمعجزات الجُمّ أيسرها
 نبع الميَاه وتسلم الجمادات

وطاف كل سماء وارتقى فرأى
وكلم الله فى ليل المناجات
هذا هو الحق ما للشك فيه إذا
من ملجأ عاصم أو من مغارات
يامن رأى ليلة الإثنين رافلة
من وضعه فى ثياب سندسيات
يامن رأى ليله الإثنين حالية
من ذكره بعقود جوهريات
يامن رأى ليلة الإثنين خالدة
بيمن طالعها بين البريات
يا أشرف الخلق قد فقت الورى نسباً
أباً وأماً وأجداداً وجَدَّات
لَبَّيت فى صلب إلياس وكان له
بذاك ذكر جميل فى السیادات
أهدى إلى البيت بُدْنا وهو أول من
أهدى ففاز بفضل الأسبقیات

حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحفظ جسمه من الآفات الأرضية ونحوها

كتب فى هذا البحث الإمام الحافظ الفقيه ابن حجر الهيثمى ،
قصيدة غراء ، وشرحها العلامة محمد حبيب الله الشنقيطى . شرحاً
موجزاً^(١) ، ذكرنا أكثره بعد القصيدة .

أما القصيدة فهى :

تواترت الأدلة والنقول	فما يُحصى المصنّف ما يقول
بأن المصطفى حىٌّ طَرِيٌّ	هلال ليس يَطْرُقُه أفولٌ
وأن الجسم منه بقاع لحدٍ	كوردٍ لا يدنّسه الذُّبول
وأنّ الهاشمي بكل وصفٍ	جميل لا يغيّره الحلول
وأن الدود لا يأتى إليه	كذا الآفاتُ ليس لها وصول
ولم تأكل له الغبراء لحمًا	ولا عظمًا ، وأُثِبَتْ ما أقول
وتأتيه الملائك كل وقت	تحية ، وتسمع ما يقول
وتأتيه بأرزاق حسانٍ	وبرٍّ حيث يأمرها الجليل
وصومٌ ثم حجٌّ كل عام	يجوز عليه بل لا يستحيل
ويظهر للصلاة بماء غيب	ويقضيها بذا ورد الدليل
يصلى فى الضريح صلاة خمس	دوامًا لا يَمَلُّ ولا يميلُ
كذا الأعمال تعرض كل يوم	عليه كى يُسرَّ بها الرسول

(١) قامت مكتبة دار جوامع الكلم بطباعة هذه الرسالة تحت عنوان دافعة الشقاق والخلاف فى
حياة الأنبياء فى قبورهم .

فإن كانت صلاحاً قام يدعو
والأ غير ذلك فهو يدعو
وبقعه التي ضمته حقاً
كذا اللحد الذي ضم الطّوايا
وأفضل من سموات وأرض
ومن عرش ومن جنات عدن
وفي القبر الشريف تراه حياً
وكل الأنبياء كذاك حقاً
ولم تعلم مقابرهم بأرض
وفي حَبْرُون أيضاً ثم غار
ولولا أنه حي حَرِيٌّ
لما سعت الشموس إليه حقاً
وما كان الحجيج إليه يسعى
كذاك النوق في الوادي ينادي
تمد رقابها شوقاً إليه
ويلقاهم إذا وفدوا عليه
ويسمعهم إذا صلوا عليه
ومن لم يعتقد هذا بطّه

إلى المولى ليقبل ما يقول
ليغفرها وقد صفح الجليل
رياض من جنان تستطيل
تشرف حين حل به النزيل
وأمالك بأفلاك تجول
وفردوس بها خير جزيل
إلى كل البقاع له وصول
بأجداث لهم ظل ظليل
يقيناً غير ما سكن الرسول
به رسل كرام والخليل
بإدراك كما نقل الفحول
تسلم حين تطلع أو تزول
ويرجو أن يكون له قبول
لها الحادي وطاب لها المقيـل
وأدمعها كسيل إذ يسيل
وينظرهم إذا ازدحم القُفول
بأذنيه فقصر يا ملول
يقيناً فهو زنديق جهول

عُبِيْدُ هَيْتَمِي مُسْتَجِيرٌ بِمَنْ حُطِّتْ بِسَاحَتِهِ الْحُمُولُ
عَلَيْهِ اللَّهُ صَلَّى كُلَّ وَقْتٍ مَدَى الْأَيَّامِ مَا شُدَّتْ حُمُولُ
وَالِ وَالصَّحَابَةُ مَا تَدَانِي مِنَ الْأَقْطَارِ سِيلٌ إِذْ يَسِيلُ

شرح قصيدة ابن حجر الهيتمي

فى إثبات حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

شرح هذه القصيدة العلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ،
وقد قرأت شرحه هذا ، واستفدت منه هذه الفوائد الآتية :

قوله : (الذُّبُول) أى الجفاف واليبس على طول الزمان . وقوله
(وَأُثِّبَ مَا أَقُول) أى ثبت قولى بالأحاديث الصحاح . كما أخرجه
النسائي فى سننه فى «كتاب الجمعة» ، فقد روى النسائي هنا ،
عن أوس بن أوس أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : (إن الله
عز وجل قد حرم على الأرض أن تَأْكُل أجساد الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام) .

وأخرجه ابن ماجه فى سننه فى باب ذكر وفاة النبي عليه الصلاة
والسلام ورواه أيضاً فى كتاب الجمعة عن شداد بن أوس عنه عليه
الصلاة والسلام ، ورواه غيرهما كأبى داود .

وقد جاء فى حياة الأنبياء أحاديث كثيرة من جملتها أنه ﷺ رأى
موسى يصلى فى قبره ، وغير ذلك .

قوله : (وتأتيه بأرزاق) أى لأنه جمع له بين الشهادة والنبوة لأنه ثبت عنه أن أكلة خيبر كانت سبباً لشهادته ﷺ مع كون حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى قبورهم أعلى من حياة الشهداء ، وقد قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » والرزق ليس مقصوراً على رزق الحياة الدنيا ، وإلى كونه مقتولاً بالسم يشير قوله تعالى : « أفإن مات أو قتل : الآية » ففيها إشارة إلى أنه إن كان مات على فراشه بحسب الظاهر فهو مقتول بحسب الواقع فى نفس الأمر .

قوله : « وصوم ثم حج : البيت » أى لما ثبت من حياته هو وغيره من الأنبياء فى قبورهم حياة حقيقية بأبدانهم ^(١) ، ولا يلزم من ذلك أن تكون أبدانهم محتاجة إلى الطعام والشراب الدنيويين ، لأن

الكلام على الحياة البرزخية وحياة الأنبياء فى قبورهم

يخطئ كثير من الناس فى فهم المراد بحياة الأنبياء فى قبورهم فيظنون أنها كحياتنا التى نعيشها فى هذه الدنيا ومن هنا يأتى اللبس والإنكار والاعتراض . وإنا إذ نقرر هذه المسألة نقول :

أولاً : ما معنى الموت ؟

يظن الكثيرون أن معنى الموت هو عدم الحياة وأن الميت معدوم أو عدم قد بلى ولا وجود له ومن هنا جاء التخليط والتخبط وسوء الفهم ، والحقيقة أن هذا الفهم من الناحية الشرعية الثابتة بالنص القاطع خطأ محض ... !!

فمفهوم الموت شرعاً أمر وجودى لا عدمى لقوله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ... » الآية فالموت مخلوق وهو أمر وجودى لا عدمى ، وحقيقة الموت هى انتقال من عالم إلى عالم ومن حياة إلى حياة ، وتبدل نشأة بنشأة كما قال تعالى : ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾ . =

= وقد تكون الحياة بعد الموت أكمل وأتم وإلى هذا يشير ما يروى عن الإمام على (كرم الله وجهه) بقوله :

« الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » .

ثانيا : وهذه الحياة التى بعد الموت هى ما يسمى بالحياة البرزخية ، وهى عامة لكل الناس مسلمهم وكافرهم ، طائعهم وعاصيهم وإن بليت أجسامهم وفنيت أجسادهم .
وعلى هذا فهي تكون :

للأنبياء ، كما أشار إلى ذلك حديث مسلم الذى رواه أبو هريرة وذكره المؤلف وحديث مسلم كذلك الذى رواه أنس بن مالك فى حياة سيدنا موسى عليه السلام وأنه قائم يصلى فى قبره وغير ذلك من الأحاديث .

وللشهداء ، كما صرح قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أَمْواتا بَلْ أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ وإذا كان هذا فى الشهداء فالأنبياء أعلى منزلة وأكمل حياة من الشهداء ، وللكفار : يحدثنا القرآن الكريم عن قوم فرعون يقول : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ، وللعصاة والمذنبين : فقد أخرج البخارى (رضى الله عنه) : أن النبى ﷺ مر بقيرين فأخبر أنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير « الحديث . وهل يعذب من ليس فيه حياة ؟ .

ثالثاً : تعلق الروح بالبدن فى البرزخ نوع آخر من التعلق مغاير للتعلق الدنيوى مغايرة كلية يكون من قبل الروح لا من قبل البدن ، أى أن البدن فى هذا الموطن لا يقتضيه كما اقتضاه فى الدنيا ، ولذا كان غير مشروط بالبنية والتأليف ولا بتلك الآلات والقوى وما يتبعه من الحياة كذلك ، ومن تأمل كيف أنشأ الله الجنين فى بطن أمه وكيف أعده لتعلق النفس به . . الخ عرف أن التعلق البرزخى وآثاره مغاير للتعلق الدنيوى وأن هذه النشأة على عكس النشأة الأولى ، فهو تعلق روحانى محض مهما كان البدن بقى أو تفرق ، قرب أو بعد فعند اتصال الروح به يحيا حياة برزخية يشعر بواسطتها بنعيمه أو بعذابه ، فالنعيم والعذاب لا بد أن يقعا على حى شاعر حياة وشعوراً لاثنين به وبموطنه الخاص . (راجع المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية) محمد حسنين مخلوف . =

= رابعاً : إذا كانت الحياة البرزخية عامة لكل الناس مسلمهم وكافرهم ، طائعتهم وعاصيتهم ، فإن حياة كل نوع تغاير النوع الآخر فهي حياة متفاوتة ففي الأنبياء أتم منها في الشهداء وفي الشهداء أتم منها في غيرهم على تفاوت في ذلك الغير لكنهم جميعاً يشتركون في وصف الحياة ، وهذه الحياة حياة حقيقية في كل نوع وإن كنا لا نحس بها لأن البرزخ شيء آخر بمعزل عن أذهاننا وإدراكنا ، وقد جعل الله أمر الآخرة وما يتصل بها غيباً ، يتضح هذا عند قراءة قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حيثئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ فالملك ينزع الروح من الميت ويخاطبه والحاضرون لا يرون ولا يسمعون .

خامساً : ما يمتاز به الأنبياء في حياتهم البرزخية

- ١ - لا تأكل الأرض أجسادهم (كما ورد في الأحاديث الذي ذكرها المؤلف) .
- ٢ - حياتهم أكمل وأفضل وأقوى من حياة غيرهم وأن موتهم إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندرკهم ، وإن كانوا موجودين أحياء .
- سادساً : قد يكشف الله لمن يشاء من عباده عن بعض أسرار هذه الحياة البرزخية ، فقد ذكر ابن تيمية الحراني : أن سعيد بن السيب كان يسمع الأذان لكل وقت بأذنيه من القبر الشريف زمن وقعة الحرة ، لأنه مكث في المسجد ثلاثه أيام لا يستطيع الخروج . إلى غير ذلك مما راه وسمعه الأولياء الصالحون وقد ذكر العلماء من ذلك الكثير والكثير . [راجع الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية] .

ذلك عادى لا عقلى، فالملائكة عليهم السلام أحياء ولا يحتاجون إلى الطعام والشراب وليسوا مقصورين أيضاً على طعام الدنيا وشرابها.

قوله: «ويقيضها» أى الصلاة، أى يؤديها تلذذاً بها لا وجوباً عليه. وقوله: «يصلى فى الضريح صلاة خمس» وليست الصلوات الصادرة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد موتهم على سبيل التكليف، بل على سبيل التلذذ بها، فيصير ذلك من جملة النعيم لهم، وفى صحيح مسلم مرفوعاً: «إن أهل الجنة يلهمون التسييح والتحميد كما يلهمون النفس».

قوله: «كذا الأعمال تعرض كل يوم: البيت» يشير به إلى أحاديث وردت فى ذلك منها: ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته عن بكر بن عبد الله المزنى مرسلاً: «حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنت مت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم» (١) اهـ.

(١) حديث عرض الأعمال على النبي ﷺ

قال الحافظ ابن حجر الهيئى فى مجمع الزوائد ٩/ ٢٤ عن هذا الحديث رجاله رجال الصحيح، وهذا الحديث رواه البزار فى مسنده كما فى كشف الاستار ١/ ٣٩٧ بإسناد رجاله رجال الصحيح، وقال السيوطى فى الخصائص ٢/ ٢٨١ سنده صحيح وقال الحافظان العراقيان - الزين وابنه ولى الدين - فى طرح التثريب (٣/ ٢٩٧) إسناد جيد، ورواه ابن سعد بإسناد حسن مرسل (كما ذكر المؤلف) وصنف الشيخ عبد الله الغمارى رسالة فى بيان صحته، لكن ادعى بعض المعاصرين ضعف هذا الحديث لأنه يعارض حديثاً آخر فى الصحيح وهو: «يزاد عن الحوض أقوام يوم القيامة فأقول يارب أمتى، فيقال لى: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك: فأقول: سحقاً لمن بدل بعمدى» رواه البخارى . أجاب عن هذا التعارض المزعوم الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ١١/ ٣٨٥، فقال: إن الذين يذادون هم المنافقون والمرتدون فهؤلاء لا تعرض أعمالهم عليه فى الدنيا لخروجهم من أمتة حقيقة فبهذا يجمع بين الحديثين ويتنfy التعارض .

قال العزيزى فى شرح الجامع الصغير، وذلك فى كل يوم كما ذكره المؤلف، وعده من خصوصياته، وتعرض عليه أيضاً مع الأنبياء والآباء يوم الاثنين والخميس اهـ بلفظه.

قال الحفنى فى حاشية الجامع الصغير فى معنى: تحدثون إلخ أى تذكرون لى ما يشكل عليكم، ويحدث لكم أى يذكر لكم من قبلى ما يزيل عنكم، اهـ المراد منه.

قوله: (رياض) لما صحَّ عنه (القبر روضة من رياض الجنة) الحديث، وإذا كان كذلك فبقعته التى ضمت جسده الشريف رياض من جنات إلخ كما قال الناظم (رحمه الله تعالى).

قوله (وأفضل من سموات وأرض . . . البيت).

قال القسطلانى فى المواهب اللدنية: «وأجمعوا على أن الموضع الذى ضم أعضاء الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض، حتى موضع الكعبة، كما قاله ابن عساكر والباجى والقاضى عياض، بل نقل التاج السبكى كما ذكره (السيد السمهودى فى «فضائل المدينة») عن ابن عقيل الحنبلى أنها (أى البقعة التى قُبر فيها رسول الله ﷺ) أفضل من العرش، وصرح الفاكهانى بتفضيلها على السموات، ولفظه، وأقول (أنا): وأفضل من بقاع السموات ثم قال: ولا أرى من تعرض لذلك، والذى أعتقد أنه لو عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه وقد جاء أن السموات شرفت

بمواطىء قدميه ، بل لو قال قائل : إن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السموات لتشرفها بكونه ﷺ حالاً فيها لم يبعد ، بل هو عندى الظاهر المتعين « اهـ وحكاه بعضهم عن الأكثرين لخلق الأنبياء منها ، ودفنهم فيها ، ثم قال بعد ذكر الخلاف فى ذلك ، أى (ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة) . قال شارحه (الزرقانى) : فإنه أفضل إجماعاً ، وإلى ما ذكره أشار بقوله :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما

قد حاط ذات المصطفى وحواهـا

ونعم لقد صدقوا بساكنها علت

كالنفس حين زكت زكى مأواها (١)

(١) أفضلية البقعة التى ضمت أعضاء الشريفة ﷺ على ما عداها من البقاع .
أولاً يجب التنبيه إلى أن أفضلية هذه البقعة باعتبار الساكن فيها ﷺ لا لذاتها حتى يفهم المعترض مساقه المؤلف من نقول أكابر العلماء بشأن أفضليتها على جميع البقاع حتى موضع الكعبة والسموات ، والعرش وغير ذلك ، وما نقله ابن القيم فى بدائع الفوائد يوضح هذا ، فقد نقل عن ابن عقيل من كبار أئمة الحنابلة أنه سئل أيهما أفضل حجرة النبى ﷺ أو الكعبة ؟ فقال : ان أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وإن أردت وهو فيها فلا والله لا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح . [أنظر بدائع الفوائد جـ ٣ ص ١٦٨ ط القاهرة] .

ثانياً : جاء فى كتاب عدة الأتابة فى أماكن الإجابة [مخطوط - بمكتبه الأزهر] للعارف بالله عبد الله بن إبراهيم ميرغنى الحسينى .

أن الإمام الشافعى رضى الله عنه والدارقطنى قالوا عن حديث أصحاب السنن : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » هذا الحديث يدل على فضل مكة على سائر البقاع إلا ما ضم أعضاء الشريفة ﷺ فإنه أعظم منها بالإجماع بل ذلك أفضل من العرش وما حواه بلا نزاع .

هذا وقد نقل القاض عياض فى الشفا الإجماع على ذلك .

قوله : « وفي القبر الشريف تراه حياً » فمن جملة أدلة ذلك ما رواه البيهقي في كتاب « الأنبياء » وصححه من حديث أنس رضي الله عنه أنه عليه السلام قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » كذا رواه أبو يعلى والبزار وابن عدى وقد ألف البيهقي كتاباً عظيماً في حياة الأنبياء ، جمع فيه أدلة كثيرة صريحة فيما أشار له العلامة ابن حجر في هذه القصيدة من « حياة الأنبياء » وسائر تصرفاتهم في قبورهم ، وللجلال السيوطي رسالة في ذلك سماها « إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء » وقد طبعت بمطبعة هندية وهي في خزانتى حرسها الله (١) .

قال القسطلاني في المواهب اللدنية : ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة ، ونبينا عليه السلام أفضلهم (أى بالنصوص والإجماع) وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته أكمل وأنعم من حياة سائرهم اهـ قلت : ولا سيما إن نظرنا إلى كونه قتل بسم اليهودية . كما صح عنه عليه الصلاة والسلام .
قوله : (وكل الأنبياء كذاك حقاً) .

التشبيه في كونهم أحياء يصلون في قبورهم مثل نبينا محمد عليه السلام لأنهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم ، ففي

(١) وهذه الرسالة أيضاً طبعت في مصر بـ مكتبة عالم الفكر ميدان سيدنا الحسين بتحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود .

صحيح مسلم عن النبي ﷺ من رواية أبي هريرة رضى الله عنه قال : «وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى ، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس به شهباً عروة بن مسعود الثقفى ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم» [يعنى نفسه] فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل يا محمد : هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فنادانى بالسلام اهـ .

وأخرج مسلم فى باب فضائل موسى عليه السلام من رواية أنس ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : مررت على موسى ليلة أسرى بى عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره . وفى رواية لمسلم عن أنس أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : «مررت على موسى وهو يصلى فى قبره» اهـ . . إلى غير ذلك .

قوله : «وفى حَبْرُون» بفتح الحاء المهملة ثم موحدة ساكنة وهى بلدة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وكونه عليه الصلاة والسلام هو وابنه إسحاق وابنه يعقوب وابنه يوسف عليه وعليهم الصلاة والسلام فى داخل الدائر الذى بناه عليهم سليمان عليه الصلاة والسلام فى الغار الذى فى وسط مسجد الخليل الآن وهو محقق كما جزم به ابن الحاج فى المدخل وجزم به غيره أيضاً .

قوله : «لما سعت الشموس» أى العلماء بشد رحالهم لزيارته عليه الصلاة والسلام، فالعلماء هم الشموس الساعية إليه بعد موته ﷺ .

قوله (وينظرهم إذا ازدحم القفول) .

وذلك كما قاله القسطلانى وغيره : «عبارة عن إقبال خاص والتفات روحانى يحصل من الحضرة النبوية إلى عالم الدنيا، وقوالب الأجساد الترايبية، وتَنَزُّلُ إلى دائرة البشرية، حتى يحصل عند ذلك رد السلام، وهذا الإقبال يكون عاماً شاملاً حتى لو كان المسلمون فى كل لمحة أكثر من ألف ألف لوسعهم ذلك الإقبال النبوى والالتفات الروحانى، ولقد رأيت من ذلك ما لا أستطيع أن أعبر عنه أهـ بلفظه .

«مس الشباك النبوى والتمسح به»

ينبغى للزائر أن لا يقبل القبر الشريف ولا يمسحه بيديه ، ولا يلصق بطنه وظهره بجداره أو بالحاجز المستور بالكسوة أو الشباك ، فإن كل ذلك مكروه ، لما فيه من استعمال خلاف الأدب فى حضرته ﷺ ، وقصد التبرك لاينفى الكراهة ، لأنه جهل بما يليق من الأدب ، ولا اغترار بما يفعله أكثر العوام ، فإن الصواب الذى قاله العلماء وأطبقوا عليه خلافه ، كما صرح به النووى فى إيضاحه .

وأطال ابن حجر فى المنح والجوهر ، فى ترجيحه ، قال فى الإحياء : «مس المشاهد وتقبيلها عادة اليهود والنصارى» اهـ وذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى ما يوافق ذلك .

وعن الزعفرانى : أن ذلك من البدع التى تنكر شرعاً ، فحينئذ يكون الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر فى حياته ﷺ وهذا هو الصواب المعتمد كما تقدم ، فلا تغتر بالجهلة العوام الذين يفعلون خلاف ما ذكرناه ، بل اتبع الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ، والأدب فيما وافق الشرع لا فيما أحدثه الإنسان من غير أن يشمله دليل شرعى ، هذا وكالقبر الشريف فى جميع ذلك مشاهد الأنبياء والأولياء .

نعم . إن غلبه حال صحيح أو وجد صادق فلا كراهة فى جميع ما يصدر عنه اعتراض عليه ، فمن كان له فى ذلك قصد صالح ، وحمله عليه فرط الشوق والحب الطافح ، جاز له ذلك ، سيما لمن هو على قدم الوقوف فى مقام الخضوع والإنكسار ، ورفع الأكف بالذل والافتقار ، إذ كما يطلب الخضوع بالقلب يطلب كذلك بالجوارح .

وإن تمرىغ الخد والوجه واللحية بتراب الحجرة الشريفة وأعتابها فى زمن الخلوة المأمون فيها توهم عامى محذوراً شرعياً يسببه أمر محبوب حسن ، فلا اعتراض على فاعله فقد تغلب المحبة والشوق على بعض الناس فترفع الحجب عن نظره وبصره فيكون كالمشاهد لوجهه المكرم ﷺ المماس لحبيبه حتى يخرج ذلك عن قياس العادات إلى حقائق النازلات ، أذاقنا الله سبحانه وتعالى ذلك والمحسنين إلينا وذرائعنا بمنه وجوده وكرمه آمين .

وعلى ذلك يحمل ما جاء عن بلال (رضى الله عنه) من أنه لما زار النبي ﷺ قادماً من الشام جعل يبكى ويمرغ وجهه على القبر المعظم .

وعن ابن عمر (رضى الله عنه) أنه وضع يده اليمنى عليه ، وعن أبى أيوب الأنصارى (رضى الله عنه) أنه التزمه ووضع وجهه عليه .

وعن فاطمة (رضى الله عنها) أنه ﷺ لما دفن أخذت قبضة من تراب قبره الشريف وجعلتها على عينها وبكت وقال منشدة هذين البيتين :

ماذا على من شم تربة أحمدٍ أن لا يشم مدى الزمان غواليها
صبت على مصائب لو أنها صُبَّت على الأيام عدن لياليا
وقد وضع الشيخ الإمام السبكي وجهه على بساط دار الحديث
التي مستها قدم الإمام النووي (رحمه الله تعالى) كما أشار إلى ذلك بقوله :

وفي دار الحديث لطيف معنى إلى بسط لها أصبو وآوى
لعلى أن أنال بحرّ وجهي مكاناً مسه قدم النواوى

وكان سيدى العارف بالله «الحسن البكرى» يمرغ وجهه ولحيته على البيت الحرام، وبحجر إسماعيل، ونحو ذلك. قال بعض العلماء : وجواز هذا بحسب حال الفاعل - كما رأيت - فإن أهل الأدب يعرفون الأدب، وغيرهم ينبغي لهم الزجر عن هذا.

لكن قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله) : استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل ما يستحق التعظيم من آدمى وغيره. فأما تقبيل الآدمى فمعلوم من «كتاب الأدب» وأما غيره فقد سئل أحمد بن حنبل (رحمه الله) عن تقبيل منبر النبي ﷺ

المنيف وقبره الشريف ، فلم ير فى ذلك بأساً ، وذكر الخطيب ابن جملة : أن عبد الله بن أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) قال : سألت أبى عن الرجل يمس منبر النبى ﷺ ويفعل بالقبر مثل ذلك ، يريد بذلك التقرب إلى الله تعالى ، فقال : لا بأس بذلك .

ونقل عن أبى الصيف اليمنى (أحد علماء مكة المشرفة) من علماء الشافعية : جواز تقبيل المصحف ، وكتب الحديث ، وقبور الصالحين ، وقول هؤلاء كلهم أعنى الحافظ ومن بعده صريح فى جواز هذا من كل أحد .

نعم قولهم المذكور بالجواز ، لا ينافى الكراهة فإنه يجوز فعل الشئ وهو مكروه ^(١) ، وقصد التبرك والاستشفاء لاينفى الكراهة لأنه جهل بما يليق من الأدب كما علمت .

فلا عبرة بذلك القصد فى نفي الكراهة زجراً لهم عن التهجم على مقامه ﷺ بما لم يؤذن لهم فيه . فثبت بهذا أن قول هؤلاء المذكورين محمول أيضاً على من به استغراق فى المحبة وشدة الشوق فى الذى يحمله على ذلك ، فإن الشغف الذى يحصل

(١) يقصد المؤلف (أكرمه الله) بهذا أن القائلين بالكراهة ليس لذات الأمر فى نفسه وإنما لما يقع بسببه من سوء الأدب وما لا يليق من الجهلة والعوام فإذا أمن هذا انتفت الكراهة وعاد الأمر إلى الجواز .

حتى للمحب قد يستغرقه يكون ما يفعله لا يلام عليه ، فإنه قد
تعتبره حالات لا يطبق دفعها ، إلا بأن يحدث منه فعل ذلك .
ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك ،
والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم ، والناس تختلف
مراتبهم في ذلك ، كما تختلف في حياته ﷺ فأناس حين يرونه ﷺ
لا يملكون أنفسهم ، بل يبادرون إليه ، وأناس فيهم أناة يتأخرون ،
والكل على خير .

أفاد هذا كله السيد السمهودي في «ذروة الوفا بما يجب لحضرة
المصطفى» وابن حجر في «الجواهر» والفاكهي في «حسن
التوسل» .

«زيارة النبي ﷺ من أفضل الأعمال (١)»

في رأى الحافظ ابن القيم

قال الإمام الحافظ ابن القيم في قصيدته المشهورة بالنونية :
فإذا أتينا المسجد النبوى صلّ ———— فينا التحية أولاً ثنتان

(١) قال القاضى عياض « رحمه الله » : زيارة قبر النبي ﷺ سنة مجمع عليها وفضيله مرغوب فيها . وقال بعض المالكية : إنها واجبة ، لحديث ابن عمر (رضى الله عنه) أن النبي ﷺ قال : من حج ولم يزرني فقد جفاني « قالوا : جفاء النبي ﷺ محرم ، وترك المحرم واجب ، اهـ وإلى هذا أميل رعاية لحق المصطفى ﷺ وتعظيماً لحرمة ، وإذا كان ﷺ شرع ومن لنا زيارة الأموات عموماً ، فما بالك بزيارة سيد الوجود ﷺ الذى هو سبب كل خير وجود ؟ وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد حثنا على المجيء إليه فى قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ فينبغى ألا ينزع أحدٌ فى شأن الزيارة بعد هذا ، وقد اعترض البعض بأن قوله تعالى ﴿ جاءوك ﴾ خاص بحياته ﷺ لأن العرب لا تقول : جاءك إلا فى حياتك ، فنقول لهم لقد ثبت حياة الأنبياء فى قبورهم وتكلمنا عن ذلك فيما سبق ، فعلى هذا فالآية تشمل المجيء إليه حياً وميتاً ﷺ فإنه ﷺ يستغفر لأمته وهو فى برزخه وتعرض عليه أعمالها - كما سبق بيانه . . ص ٧٢ - وقد حكى ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية قصة العتيبي أنه رأى اعرابياً أمام قبر النبي ﷺ يخاطب النبي ﷺ ويتلو ويستشهد للمجىء إليه بهذه الآية الكريمة ثم يتوسل به ﷺ ويستشفع لذنبه : القصه

هذا : وإذا كانت الزيارة مشروعة ومستونة وهى لا تتأتى لمن بعدت مسافته إلا بشد الرحال فما توقف عليه الأمر المشروع والمسنون فهو مشروع ومسنون أيضاً وهؤلاء الذين يحتجون بمنع الزيارة بحديث : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . . » الحديث احتجاجهم باطل وفهمهم سقيم فالحديث لا يتكلم عن القبور وإنما يتكلم عن المساجد ، وقد كان النبي ﷺ يركب ناقته إلى مسجد قباء وهو ليس من المساجد الثلاثة مما يدل على ان الحديث ورد لبيان أفضلية المساجد الثلاثة ، لا للنهي عن شد الرحال إلى المساجد الأخرى ، وأيضاً لو أخذنا بعموم الحديث اللفظى ، كما يفهم من يعترض على شد الرحال لزيارته ﷺ لوجب أن نتوقف سائر المواصلات عن العمل فى العالم كله إلا إلى المساجد الثلاثة ولا يقول بهذا إلا من فقد عقله . ويؤيد هذا ما أخرجه الإمام أحمد فى المسند عن شهر بن حوشب قال : سمعت أبا سعيد وذكرته عنده الصلاة والسلام فى الطور فقال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينبغى للمطى أن يشد رحاله إلى مسجد تبغى الصلاة فيه غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى » قال الحافظ ابن حجر : وشهر حسن الحديث وإن كان فيه بعض ضعف [انظر لمزيد الفائدة كتاب المفاهيم للمؤلف ص ٢٥٩ - ٢٦٢ ط الرابعة] .

بتمام أركان لها وخشوعها
ثم انشياً للزيارة نقصد الـ
فنقوم دون القبر وقفة خاضع
فكأنه ^(١) في القبر حتى ناطق
ملكتهُم تلك المهابة فاعترت
وتفجرت تلك العيون بمائها
وأتى المسلم بالسلام بهيبة
لم يرفع الأصوات حول ضريحه
كلا ولم ير طائفاً بالقبر أسـ
ثم انشئ بدعائه متوجهاً
هذه زيارة من غدا متمسكاً
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا

وحضور قلب فعل ذى الإحسان
قبر الشريف ولو على الأجفان
متذلل فى السر والإعلان
فالواقفون نواكس الأذقان
تلك القوائم كثرة الرّجفان
ولطا لما غاضت على الأزمان
ووقار ذى علم وذى إيمان
كلا ولم يسجد على الأذقان
بوعاً كأن القبر بيت ثان
لله نحو البيت ذى الأركان
بشرعية الإسلام والإيمان
رة وهى يوم الحشر فى الميزان

«القصيدة النونية لابن القيم ص : ١٨١»

من آداب الزيارة النبوية

أن لا يرفع صوته بمسجد رسول الله ﷺ فقد ثبت أن المنصور
أمير المؤمنين، ناظر مالكا فيه، فقال له : «يا أمير المؤمنين :
لا ترفع صوتك فى هذا المسجد النبوى ، فإن الله تعالى أدب قوماً ،
فقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ الآية ، وذم قوماً فقال تعالى :

(١) كان الأولى أن يقول : « فلأنه » لثبوت حياته ﷺ في قبره كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة .

﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾
 الآية . وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً . فاستكان لذلك
 المنصور (١) .

فانظر يا أخى هذا الأدب العظيم من الإمام مالك والمنصور
 رحمهما الله تعالى : وفى البخاري عن عمر بن الخطاب - رضى
 الله عنه أنه قال لرجلين من أهل الطائف : لو كتما من أهل البلد
 لأوجعتكما ضرباً ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ .

وفى ذروة الوفا للسمهودى ، روى عن أبى بكر الصديق (رضى
 الله عنه) أنه قال : لا ينبغى رفع الصوت على النبى ﷺ لا حياً ولا
 ميتاً . وأن عائشة - رضى الله عنها - كانت إذا وتد الوتد أو ضرب
 المسمار فى بعض الدور المطيفة بالمسجد النبوى الشريف ترسل
 إليهم أن لا تؤذوا رسول الله - ﷺ - قلت : وإنما فعلت عائشة رضى
 الله عنها ذلك طلباً للاقتصار على قدر الحاجة فى ذلك لأن فعل
 ما زاد عليه فى تلك الحضرة الشريفة ليس من الأدب وهو ﷺ
 يتأذى ممن لا يرفع كمال الأدب معه لأنه حى فى الدارين .

(١) وبقيّة الحوار كما رواه القاضي عياض (فى الشفا) : «وقال يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعوا أم استقبل رسول
 الله ﷺ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله
 واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا
 الله تواباً رحيماً﴾ الآية [الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢ ص ٣٥ ط دار التراث] وهذه القصة ذكرها أيضاً الإمام
 السبكي فى شفاء السقام والسيد السمهودى فى خلاصة الوفا والمحدث القسطلانى فى المواهب اللدنية وابن حجر
 الهيثمى فى الجواهر المنظم وقال : «رواية ذلك عن مالك جاءت بالسند الصحيح الذى لا مطعن فيه . وقال الخفاجى فى
 نسيم الرياض : «فى هذا رد على ابن تيمية فى قوله : «إن استقبال القبر الشريف فى الدعاء أمر منكر لم يقل به أحد ولم
 يرو إلا فى حكاية مفتراة على مالك [يعنى هذه القصة] وأنها كذب محض مجازفة من ترهاته وقوله : «لم ينقل ولم يرو
 باطل فإن مذهب مالك وأحمد والشافعى (رضى الله عنه) استحباب استقبال القبر الشريف فى السلام والدعاء وهو
 مسطر فى كتبهم وصرح به النووى فى أذكاره وإيضاحه [نسيم الرياض جـ ٣ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ط المشهد الحسينى] .

تخصيص الزائرين بشفاعة خاصة

«من زار قبري وجبت له شفاعتي» رواه ابن عدى والبيهقي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) وروى البيهقي عن أنس (رضي الله عنه) «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

معنى وجبت له شفاعتي : أى حَقَّتْ وثبتت ولزمت له شفاعتي ، أى سؤالى الله تعالى أن يتجاوز عنه . قال السبكي : يحتمل كون المراد بخصوصه بمعنى أن الزائرين يخصون بشفاعة لا تحصل لغيرهم عموماً ولا خصوصاً ، أو المراد : يفردون بشفاعة عمّا يحصل لغيرهم ، ويكون أفرادهم بذلك تشريفاً وتنوياً بهم ، أو المراد : ببركة الزيارة يجب دخولهم فى عموم من تنالهم الشفاعة ، وفائدة البشرى أن يموت مسلماً .

والحاصل أن فائدة الزيارة : إما الموت على الإسلام مطلقاً لكل زائر .

وإما : شفاعة تخص الزائر أكثر من العامة .

وقوله : شفاعتي ، بالإضافة إليه تشریف له ﷺ إذ الملائكة وخواص البشر يشفعون ، وللزائر نسبة خاصة فيشفع ﷺ فيه بنفسه . وقوله ﷺ فى الحديث الآخر : «من زارني بالمدينة محتسباً» - أى فى حياتي وبعد وفاتي متحسباً أى ناوياً بزيارته وجه

الله وثوابه - كنت له شهيداً وشفيعاً - أى شهيداً للمطيع ، شفيعاً للعاصي ، وهذه خصوصية زائدة على شهادته ﷺ على جميع الأمم ، وعلى شفاعته العامة ، قال العلماء : زيارة قبره الشريف ﷺ من كمالات الحج ، بل زيارته عند الصوفية فرض ^(١) ، وعندهم الهجرة إلى قبره ﷺ ميتاً كهى إليه حياً .

قال الحكيم الترمذي : زيارة قبر المصطفى ﷺ هجرة ، فحقيق ألا يخيب زائريه ، بل يوجب لهم شفاعة تقيم حرمة زيارتهم .

(١) لأن ترك الزيارة عندهم جفاء والجفاء له ﷺ محرم وترك المحرم فرض ، وهذا ليس بحاجة إلى نص من كتاب أو سنة كما يريد أهل الجفاء ويرحم الله القائل :
إليك وإلا لاتشد الركائب * وعنك وإلا فالمحدث كاذب
هذا وقد ذهب بعض الفقهاء المالكية إلى وجوب الزيارة له ﷺ كما هو مبين فى بعض كتب المناسك المطولة وقد أشار القاضى عياض إلى ذلك فى الشفا .

خصائص المدينة المنورة ومزاياها

عقد لذلك الإمام الزركشى فصلاً خاصاً، وقد اختصرته وذكرت منه المهم الأقرب إلى الموضوع والصحة فى هذه المسائل :

الأول : أنه أنشأ أصل مسجدھا على يد سيد المرسلین المهاجرون الأولون والأنصار المتقدمون خيار هذه الأمة ، وفى ذلك من مزيد الشرف على غيره ما لا يخفى .

واشتمالها على بقعة ھى أفضل بقاع الأرض بالإجماع ، وھى الموضع الذى ضم أعضاء النبى ﷺ ، حكى الإجماع القاضى عیاض وغيره ، وفى ذلك قال بعضهم :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحواءها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكى مأواها

الثانى : تحريم صيدها وشجرھا على الحلال والمحرم كمكة ، خلافاً لأبى حنيفة لقوله : ﷺ : إن إبراهيم حرم مكة ، وإنى حرمت المدينة . (ما بین لابتیھا لا یقطع عضاھا ، ولا یصاد صیدھا) زواه مسلم .

الثالث : یحرم نقل تراب حرم المدينة أو أحجاره إلى الخارج عن حرم المدينة ، وهذا مبنى على عموم تحريم ما بین لابتیھا .

الرابع : يستحب المجاورة بالمدينة لما يحصل فى ذلك من نيل الدرجات ، ومزيد الكرامات .

الخامس : أن الصلاة فى مسجد النبي ﷺ تربو على الصلاة فى غيره بألف صلاة على ما سبق تفصيله ، ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » قال النووى : وهذا التفضيل يعم الفرض والنفل كمكة .

هكذا قال فى شرح مسلم ، وذكر فى شرح المذهب : والتحقيق أن صلاة النفل فى بيته أفضل من المسجد ، وأن حرم المدينة ليس كمسجدها فى المضاعفة .

السادس : أن الله سبحانه عوض قاصده عن الحج والعمرة بأمرين وعد عليهما ذلك الثواب ، أما الحج ، فذكر ابن الجوزى بإسناده عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه ، كان بمنزلة حجة ، وأما العمرة فزيارة مسجد قباء ، ففى الصحيح : « صلاة فى مسجد قباء كعمرة » .

وفى الصحيح عن ابن عباس (رضى الله عنهما) كان رسول الله ﷺ يأتى مسجد قباء راكباً ، وماشياً فيصلّى فيه ركعتين [وفى رواية كان يأتيه كل سبت] ويستحب ذلك .

السابع: يستحب الانقطاع بها، ليحصل له الموت بها، وقد كان المهاجرون إلى المدينة يكرهون أن يموتوا بغيرها، ويسألون الله عز وجل أن يتوفاهم بها. وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتى في بلد رسولك».

وبوّب عليه النووي في الأذكار: باب استحباب دعاء الإنسان أن يكون موته في البلد الشريف. وعن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإنني أشفع لمن يموت بها» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه وفي الباب عن سبيعة بنت الحارث الأسلمية، وسئل عنه الدارقطني في العلل الكبير فقرر صحته بما يطول ذكره.

الثامن: اختصاص أهلها بمزيد الشفاعة والإكرام على غيرهم من الأمم.

ففي معجم الطبراني من حديث القاسم بن حبيب عن عبد الملك بن عباد عن عبد الله بن جعفر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف» وأخرجه البزار في مسنده بالواو^(١) ثم قال:

(١) أي أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف، فالعطف بالواو لا بثم اهـ مالكي (المؤلف).

وعبد الملك بن عباد لا نعلمه روى عن النبي ﷺ إلا هذا الحديث بهذا الإسناد.

وفى الصحيحين عن أبى هريرة وغيره: «من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له شهيداً، (أو شفيعاً) يوم القيامة».

التاسع: وجود البركة فى صاعهم، ومدهم، ومكيالهم، لأن النبي ﷺ دعا لهم بالبركة فيه.

العاشر: تخصيصها بالبقة التى بين القبر والمنبر - ففى الصحيح: «ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة».

الحادى عشر: أن الدجال لا يدخلها كما لا يدخل مكة، ففى الصحيحين من حديث أنس مرفوعاً: «إن الدجال لا يطأ مكة ولا المدينة، وأنه يجىء حتى ينزل فى ناحية المدينة، فترجف ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق» وفى رواية البخاري عن أبي بكر عن النبي ﷺ: «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب، على كل باب ملكان» وفى رواية مسلم عن أبى هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: «يأتى المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك»، وفى الصحيحين أيضاً: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة».

الثاني عشر: أن الطاعون لا يدخل المدينة، وهذا من خصائصها ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» وفي رواية للبخاري من حديثه «لا يقربها الدجال، ولا الطاعون إن شاء الله». والأنقاب جمع نقب (بكسر النون وضمها) وهو الطريق على رأس الجبل، وقال الأخفش أنقاب المدينة: طرقها وفجاجها.

الثالث عشر: أنها تأكل القرى، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة.

الرابع عشر: أنها كالكير في إزالة الخبث عنها، ففي الصحيحين من حديث جابر: أن أعرابياً بايع النبي ﷺ على الإسلام فأصابه وعك بالمدينة فقال: يا محمد أقلني بيعتي، فأبى رسول الله ﷺ فخرج الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها.

الخامس عشر: أنه لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، كما ثبت في الصحيح، وفي معناه قولان أحدهما:

أنه مخصوص بمدة حياته ﷺ، الثاني دائم أبداً: ومعنى قوله راغباً عنها أى زاهداً فيها.

السادس عشر: أنه لا يريد أحد أهلها بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص وذوب الملح فى الماء، كما ثبت فى الصحيح، قال القرطبي: ظاهره أن الله يعاقبه بذلك فى النار، ويحتمل أن يكون ذلك كناية عن إهلاكه فى الدنيا، أو توهين أمره، وطمس كلمته، كما قد فعل الله ذلك بمن غزاها، وقاتل أهلها، كمسلم بن عقبة، إذ أهلكه الله وصرفه عنها، وكإهلاك يزيد بن معاوية إثر إيذائه أهل المدينة، إلى غير ذلك.

السابع عشر: يستحب الصيام بالمدينة والصدقة على سكانها، وبرهم فهم جيران رسول الله ﷺ خاصة أهل المدينة. وقد روى الطبرانى بإسناد ضعيف أنه ﷺ قال: «رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان».

الثامن عشر: روى عن مالك (رضى الله عنه) أنه كان لا يركب بالمدينة بغلة، ف قيل له فى ذلك؟ فقال: لا أطأ راكباً مكاناً وطئه رسول الله ﷺ ماشياً، وكان لا يرفع صوته فى مسجد رسول الله ﷺ ويقول: حرمة الرسول حياً وميتاً سواء، وقد قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾.

التاسع عشر: لا يجتهد فى محراب رسول الله ﷺ لأنه صواب قطعاً. إذ لا يقر على خطأ، فلا مجال للاجتهاد فيه، حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة، بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلاه، فإنه لم يكن فى زمنه عليه السلام محراب.

تمام العشرين: يستحب الغسل لدخول المدينة، قاله أبو بكر الخفاف (من الشافعية) وصرح به النووى فى مناسكه أيضاً.

الحادى والعشرون: روى البخاري: «من تصبّح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» قاله أبو بكر البرقاني فى مستخرجه على الصحيحين فى رواية مكى بن إبراهيم، قال هاشم: لا أعلم إلا أن عامراً ذكر من عجوة العالية. قال الحميدى: وهو من أفراد مسلم عن أبى طوالة، عن عامر بن سعد عن أبيه، أنه سمع رسول الله ﷺ قال: (من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سُم حتى يمسي، وفى لفظ للحاكم: «من التمر البرنى» وفى العلل الكبير للدارقطنى: «من أكل مما بين لابتي المدينة سبع تمرات على الريق» وفى لفظ من عجوة العالية». وفى كتاب الأطعمة لعثمان بن سعيد الدارمى من حديث شريك بن عبد الله بن أبى عتيق عن عائشة مرفوعاً: فى عجوة العالية شفاء أو ترياق أول البكر على الريق» ومن حديث

شهر بن حوشب عن أبي سعيد وأبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «العجوة من الجنة ، وفيها شفاء من السم» قال الخطابي : كونها عوذة من السحر والسم إنما هو من طريق التبرك لدعوة رسول الله ﷺ التي سبقت فيها ، لا لأن طبع التمر أن يفعل شيئاً من ذلك ، والعجوة من أجود تمر المدينة .

الثاني والعشرون : روى بن أبي خيثمة عن يعقوب بن حميد حدثنا كثير بن جعفر بن أبي كثير عن زياد بن زيد عن سهل بن سعد : أن رسول الله ﷺ قال : «من كان له بالمدينة أصل فليمسك ، ومن لم يكن فليجعل له بها أصلاً ولو قصرة» قال الخطابي : القصرة النخلة ، وقرأ الحسن : «إنها ترمى بشرر كالقصر» وفسروه بأعناق النخل .

الثالث والعشرون : ظاهر كلام الأصحاب استحباب صلاة العيد في مسجد المدينة ، لكن روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال : «أصابنا مطر في يوم عيد ، فصلى بنا رسول الله ﷺ في المسجد» أخرجه الحاكم في المستدرک ، وقال : صحيح الإسناد وظاهره أنه كان يفعلها في المصلّى وكأنه لضيق المكان عليهم .

الرابع والعشرون : روى ابن أبي خيثمة في تاريخه الكبير ، عن مالك : أن المدائن كلها افتتحت بالسيف ، والمدينة افتتحت

بالإيمان ، ثم ساق بسنده إلى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : « كل البلاد افتتحت بالسيف والرمح ، وافتتحت المدينة بالقرآن » .

الخامس والعشرون : نقل عن مالك : أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم .

السادس والعشرون : قال ابن كج : لو نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء بها ، وجهاً واحداً ، وحكى فيما إذا نذر زيارة قبر غيره وجهان في لزوم الوفاء ، وأقره الرافعي وغيره .

السابع والعشرون : ينبغي للزائر الغريب أن يسلم على النبي ﷺ كلما دخل المسجد أو خرج ، وأما أهل المدينة فقد كره لهم ذلك مالك وغيره ، إلا إذا سافر أحدهم أو قدم من سفر ، قال : وإنما ذلك للغرباء - يعنى السلام عند كل دخول وخروج .

قال الباجي : « لأن الغرباء قصدوا لذلك ، وأهل المدينة مقيمون فيها ، والصواب ، استحباب دخول القريب والغريب ، فإنه ﷺ استحب السلام لكل وارد عليه قريباً وغريباً ، ومن الأدب معاملته بذلك بعد وفاته .

الثامن والعشرون : يكره الخروج من مسجد النبي ﷺ بعد الأذان ، وهذا وإن كان عاماً في كل مسجد ، إلا أنه يتأكد ههنا . ففي معجم الطبراني الأوسط من حديث عبد العزيز بن أبي حاتم ،

حدثني أبي وصفوان بن سليم عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يسمع النداء في مسجدى هذا ثم يخرج منه إلا لحاجة ثم لا يرجع إليه إلا منافق » .

التاسع والعشرون : ليعلم المقيم بها عظم محلها ، ويعتقد فيها غاية الإجلال والتعظيم ، ويحذر من إحداث حادث بها ولو يسيراً ، كما روى أن عبد الرحمن بن مهدي كلما قدم المدينة ، ودخل المسجد ، وضع شيئاً كان عليه بين الصفوف ، فأمر به مالك فأخذ فقبل له : إنه فلان ، فعاتبه . وقال : أتفعل مثل هذا؟ أو ما علمت أن النبي ﷺ قال : « من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فانظر كيف جعل مالك رحمه الله هذا الفعل اليسير ، داخلاً في عموم الحديث .

وجاء أنه استفتى مالك (رحمه الله) في رجل قال : تربة المدينة غير طيبة ، أنه أفتى بضربه .

الثلاثون : ينبغي قصد المدينة للتعلم أو التعليم ، ففي سنن ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن حميد بن صخر عن المقبري عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من جاء مسجدى هذا لم يأت إلا لخير يتعلمه أو

يُعَلِّمُهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَنْ جَاءَهُ لَغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ
بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعٍ غَيْرِهِ» .

الحادى والثلاثون : ذكر صاحب المباحج : أن العطر والبخور
يوجد لهما من التذوق والرائحة الطيبة بطيبة أضعاف ما يوجد في
سائر البلاد ، وهى فى نفسها طيبة وإن لم يكن فيها شيء من
الطيب ، والله در القائل :

ماذا على من شم تربة أحمد

ألا يشم مدى الزمان غواليـ

هذا آخر ما اخترناه ولخصناه من خصائص المدينة المنورة مما
فصله الإمام الزركشى فى كتابه «إعلام الساجد» .

فضل المنبر الشريف

مما يدل على فضل منبر رسول الله ﷺ تغليظ اليمين عنده ، وقد ورد ذلك في الحديث عن جابر مرفوعاً : « لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار » أخرجه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهم ، وروى أبو أمامة بن ثعلبة مرفوعاً : « من حلف عند منبري هذا بيمين كاذبة يستحل بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ^(١) . الفتح ٣٨٥ / ٥ .

استحباب زيارة قبر النبي ﷺ عند الحنابلة

قال الإمام ابن قدامة الحنبلي : ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » .

وفي رواية : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » رواه باللفظ الأول سعيد : حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر ، وقال أحمد في رواية عبد الله عن يزيد بن قسيط عن

(١) يؤخذ من هذا مضاعفة الإثم وتغليظ الذنب عند الأماكن المعظمة والبقاع المقدسة كما أن أجر الحسنات وجزاء الطاعات يضاعف بمكة والمدينة وبيت المقدس ووردت بذلك أحاديث وأخبار صحاح .

أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من أحد يسلم علىَّ عند قبري إلا ردَّ الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام » .

وإذا حج الذى لم يحج قط - يعنى من غير طريق الشام - لا يأخذ على طريق المدينة ، لأنى أخاف أن يحدث به حدث ، فينبغى أن يقصد مكة من أقصر طريق ، ولا يتشاغل بغيره ، ويروى عن العتبي . قال : كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابى فقال : السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » وقد جئتك مستغفراً من ذنبى مستشفعاً بك إلى ربى ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابى فغلبتنى عينى فنمت فرأيت النبي ﷺ فى النوم . فقال : يا عتبي ألحق بالأعرابى فبشره أن الله قد غفر له (ج ٣ ص ٥٥٧) .

فضل الركائب التى تحمل الزائرين

قال القاضى عياض فى الشفا :

حكى عن بعض المريدين أنه لما أشرف على المدينة المنورة
أنشأ يقول متمثلاً :

رفع الحجاب لنا فلاح لناظرى قمر تقطّع دونه الأوهام
وإذا المطىّ بلغن أرض محمد فظهورهن على الرجال حرام
قربنا من خير من وطىء الثرى فلها علينا حرمة وذمام

الحرمة « الاحترام » والذمام العهد .

قال الشيخ النبهائى فى المجموعة جـ ٤ ص ٨٣ : البيتان
الأخيران هما من كلام أبى نواس فى مدح الأمين بن هارون الرشيد
، وقد أصاب هذا الشيخ الذى نقلهما إلى مدح النبى فإنه هو
المستحق للمدح بهما عليه الصلاة والسلام .

كرامات لزائر قبر رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

قال بعضهم لزائر قبر الرسول ﷺ عشر كرامات^(١) :

إحداهن : يعطى أرفع المراتب .

الثانية : يبلغ أسنى المطالب .

الثالثة : قضاء المآرب .

الرابعة : بذل المواهب .

الخامسة : الأمن من المعاطب .

السادسة : التطهير من المعايب .

السابعة : تسهيل المصائب .

الثامنة : كفاية النوائب .

التاسعة : حسن العواقب .

العاشرة : رحمة ربّ المشارق والمغارب .

ولقد أجاد من قال :

هنيئًا لمن زار خير الورى وحط عن النفس أوزارها
فإن السعادة مضمونة لمن حلّ طيبة أوزارها

(١) يخصص هذا الفضل بمن زاره صادقًا محتسبًا ، وعليه فيكون الأجر على قدر نية الزائر فلا مفهوم لهذا العدد بل ما عند الله لا يحصر ولا يعد لمن كمل عنده الاستعداد في طلب المدد وهذا مقصود المؤلف .

هيئة الروضة النبوية وتحديدھا

اختلفوا فى هيئة الروضة وتحديدھا على أقوال :
(الأول) : أنها ما سامت كلاً من طرفى المنبر والحجرة ،
فتؤخذ مستوية فيدخل فيها محاذاة الحجرة من جهة الشمال وإن
لم يسامت المنبر ، ومحاذاة طرف المنبر من جهة القبلة وإن لم
يسامت الحجرة لتقدمه فى جهة القبلة ، فتكون الروضة مربعة وهى
الثلاثة الأروقة ، رواق المصلّى الشريف ، والرواقان بعده إلى
صف اسطوانة الوفود ، وهى التى خلف اسطوانة الحرس ، وذلك
هو مسقف مقدم المسجد فى زمنه ﷺ .

ويدخل فيها حينئذ موقف الصف الأول مما يلى الحجرة وجميع
المصلّى الشريف ، وهذا هو الأولى بالاعتماد .

وظاهر ما عليه غالب العلماء وعامة الناس كما فى المنح
ورجحه السمهودى فى الخلاصة وأصلها ، وتبعه جمع ممن بعده
من أثمتنا وغيرهم .

(وعلاوة حد الروضة) الآن كما جاء فى النزهة على هذا القول
الراجع الأساطين المرخمة بالرخام الأبيض والأحمر المذهبة إلى
حد النصف منها وعلى أطرافها قصيدة باللغة التركية مكتوبة بالنقر
فى حد الرخام من أعلاه محيطة بها كالطراز مطلية بماء الذهب ،
يقال أنشأها السلطان سليم خان ، ودليل هذا القول قوله ﷺ : « ما

بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وهو حديث صحيح متفق عليه .

(الثانى) : أنها ما سامت الحجرة الشريفة والقبر المنيف فقط فتؤخذ غير مستوية فتكون متسعة من جهة الحجرة ضيقه من جهة المنبر ، فتكون منحرفة الأضلاع لتقدم المنبر الشريف فى جهة القبر وتأخر الحجرة الشريفة فى جهة الشام ، فتكون كشكل مثلث ينطبق ضلعاه على قدر امتداد المنبر النبوى الشريف ، وهو خمسة أشبار ، كما حرره السمهودى ودليل هذا القول التمسك بظاهر لفظ البينة الحقيقية من الحديث المار ، وحينئذ يخرج عنها موقف الصف الأول مما يلى الحجرة ، فيكون ليس من الروضة .

(الثالث) : أنها تعم جميع المسجد الموجود فى زمنه وهو الذى جزم به السمعانى وغيره . ونقله الريمى عن الخطيب بن جملة ، واستدل له بقوله ﷺ : « ما بين بيتى ، وهو مفرد مضاف يفيد العموم فى سائر بيوته ﷺ ويفسر هذا (وإن لم يستدل به) رواية صحيحة لأحمد : ما بين هذه البيوت » يعنى بيوته ﷺ « إلى محل منبرى » .

(الرابع) : أنها تعم جميع المسجد فى زمنه وبعده ، ونقل رده السمهودى .

وقد يجمع بين الروايات السابقة بأن الروضة تطلق على أماكن متفاوتة في الفضل ، فأفضلهما ما بين القبر والمنبر ، ثم ما بين بيوته ﷺ كلها والمنبر ، ثم بقية المسجد في زمنه ﷺ ثم ما زيد عليه بعده ، ثم ما كان خارجه إلى المصلى .

(وانظر الذخائر القدسية لعبد الحميد قدسى) ص ١٢٧ .

معنى كون الروضة النبوية من الجنة

اعلم وفقك الله أنه قد اختلف في المراد بقوله ﷺ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » هل هو على الحقيقة أو على المجاز ، فالذي عليه مالك هو الأول ، فقال : إنها روضة من رياض الجنة تنقل إليها وليست كسائر الأرض تذهب وتنفى « ووافقه على ذلك جماعة من العلماء ، وصححه ابن الحاج ، وقال ابن أبي جمرة : « ويحتمل أن تلك البقعة نفسها الآن من الجنة ، كما أن الحجر الأسود منها ، وتعود روضة فيها .

وقيل : مجاز ، بمعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة أو هي كروضة من الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بملازمة العبادة فيها سيما في عهده ﷺ .

وقد رجح الحافظ ابن حجر العسقلاني القول الأول في موضع من الفتح . ونظر في الثاني وقال : إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة ، والخبر مسوق لشرف تلك البقعة على غيرها . اهـ .

فالأول هو الأرجح لوجوه ، وذلك لأن الأصل عدم المجاز إذ لا مقتضى لصرف اللفظ عن ظاهره ولعلو منزلة ﷺ وليكون بينه وبين الأبوة الإبراهيمية في هذا شبه ، فالخليل خص بالحجر من الجنة والحبيب ﷺ بالروضة منها ، وأيضاً المخبر بأن الروضة من الجنة هو المخبر بأن الحجر والمقام منها .

ولا ينافى كون الروضة من الجنة حقيقة حصول الجوع والعرى
فيها لاتصافها بصفة دار الدنيا ، كما أن الحجر الأسود ومقام
إبراهيم من الجنة لكنهما لما نزلا بهذه الدار اتصفا بصفاتها ، فلا
يلزم من انتفاء الجوع والعرى عمن حل فى الجنة انتفاؤهما فيما
نقل منها ، وإلا لنفى كون الحجر والمقام من الجنة حقيقة ولا
قائل به والله سبحانه وتعالى أعلم .

(الذخائر القدسية)

المسجد النبوى الشريف

المدرسة الأولى فى الإسلام

المسجد النبوى الشريف هو مهبط الوحي ، وتاج التاريخ الرائع وفجر الحضارة الإسلامية ، والمدرسة الأولى فى الإسلام التى تخرج منها بدور العلماء والأبطال المجاهدون والقواد الفاتحون .

كم جلس فيه الرسول الأكرم يفقه ويعلّم ويسوس ويهيب
الرجال الذين اصطفاهم الله العليم لدينه وغذاهم القرآن الكريم
بهديه وربّاهم المعلم الأعظم بتزكّيته وسنته فى حجر التقوى
ومنبت الإيمان فنشأوا رجالاً « صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم
من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » ، هؤلاء الأحرار
الذين فطموا أنفسهم عن الشهوات ، فانطلقت تسبح فى ملكوت
الله تدعن للحق وتصدع بالتوحيد ، وتنادى بمكارم الأخلاق ،
أولئك الأبطال الذين كانوا السبب فى هداية الأمم وبنوا مجداً
شامخاً ونصروا الأخلاق الفاضلة فنهضت بعد كبوتها وسمت إلى
أفق الفخار والخلود .

هذا المسجد النبوى : انظر إليه تغشاه الروعة والهيبة ويحوطه
الجمال والجلال ، هل انقطع عنه دوى القرآن منذ نزل فيه أو
توقف فيه ذكر الله تعالى بعد أن نشأ به ؟ إنه لم يزل ولن يزال مأزراً
للإيمان ومعقلاً للفضيلة وداراً للعلم ومشهداً دينياً يأخذ بالنفوس

فلا تملك حين تراه إلا أنها تأنس تارة وترهب أخرى ، تفرح طوراً وتبكي حيناً ، وتقدم وتحجم تتمثل لها مواكب الذكر والفكر فتمر بها سراعاً ، وتظهر لها أحداث التاريخ فتمتلىء عظة وعبرة ، هنا مجلس الرسول ﷺ مع أصحابه فى روضته التى هى من رياض الجنة حيث كان يبلغ رسالات ربه وهذا مصلاه الذى كان يقف فيه لمناجاة مولاه فتقر بذلك عيناه .

وهذا منبره الذى كان يخطب عليه ، كأنه منذر جيش ، يقول : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ فتوجل القلوب وتذرف العيون وترتعد الفرائض ، وهذه حجراته التى كان يأوى إليها فتستقبله أمهات المؤمنين فيتلو فيهن من آيات الله والحكمة ، « رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » .

وهذا مصلى تهجده الذى يصلى فيه نافلة من الليل ، يسأل من ربه المقام المحمود ، والهداية للأمة وإظهار الدين ، يدعو ليلاً ونهاراً ، ويتضرع سرّاً وجهاً ، وهذه سارية السيدة عائشة (رضى الله عنها) وتلك سارية أبى لبابة (رضى الله عنه) وهذه دار ابن عم الرسول ، ومأوى البتول ، حيث نشأ السبطان سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا رسول الله ﷺ من الدنيا .

وهذه خوخة الصديق الذى سعد هو والفاروق بصحبته وجواره فى الدنيا والبرزخ والأخرى (رضى الله عنهما) هذه دار الإيمان فيها

مساكن الصحابة هي - غيل الأسد - ^(١) ، وذلك البقيع الذي دفن فيه ألوف من أصحاب الشفيع عليه الصلاة والسلام ، وهذا أحد جبل أهل الإيمان يشرق منه نور التوحيد ، وبقربه كان صراع الحق والباطل ، فنكص الباطل مدبراً زهوقاً وثبت الإيمان مؤيداً محفوظاً .

وهذا العقيق (الوادي المبارك) منزل الرسول ﷺ ومصلاه .
أجل . هذا مسجد بناه نبي التوحيد وبنته أيدي أهل اليقين .

الله أكبر هذا المسجد العطر وهذه طيبة الفيحاء تزدهر
وهذه الروضة الغناء قد ظهرت من جنة الخلد : لا هم ولا كدر
هذا العقيق وذا سلع وذا أحد يزهو بإيمانه والخلد ينتظر
هذه الربوع التي كان الحبيب بها يرعى القلوب وترعاه فتذكر

لقد حظيت بصيام رمضان عدة سنين في هذا البلد
الطيب ، فأقول : هنا فرض الله علينا الصيام والزكاة ، وهذا باب
جبريل حيث تردد بالتنزيل على السيد الأعظم الجليل ، مجالس
أنس ، ومرباع قدس ، ومنازل قرآن ، ومواقف ذكرى ، ما أجل
هذه البشرية وما أعظم تلك الذكرى !! أيام وصل ووصال ، هي
أشرف سني عمرى وواسطة عقد فخرى في ضيافة أهل طيبة جيران
المصطفى ، وأهل الصدق والكمال والوفا .

(١) أي موضع الأسد ، لأنهم حماة الدين وحراس الشريعة .

فيا ساكنى أكناف طيبة كلکم

إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

هناؤكمويا أهل طيبة قد حقًا

فبالقرب من خير الورى نلتمس السبقا

فيا راحلاً عنها لأمر تريده

أتطلب ما يفنى ، وتترك ما يبقى

بناء المسجد الشريف

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كان يصلي حيث أدركته الصلاة ، فأراد بناء مسجد للصلاة فيه ، وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يصلي بالناس ، يجمع بهم في مسجد بناه في مريد سهل وسهيل ابني رافع بن أبي عمرو ، فسأل ﷺ أبا أمامة أن يبيعه أرضاً متصلة كانت في يده ليتيمين ، فعرض عليه أسعد أن يأخذها ويغرم عنه ثمنها لليتيمين ، فأبى ﷺ ذلك ، وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال الصديق (رضى الله عنه) .

وكان موضع المسجد نخلاً وخرباً وقبور المشركين ، فأمر عليه السلام بالقبور فغيبت وبالعظام فنبتت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطعت ، وجعلت عمداً للمسجد ، وأمر بعد ذلك باتخاذ اللبن فاتخذ ، وبنى به المسجد ورفع أساسه بالحجارة ، وسقفه بالجريد ، وجعلت عمده جزوعاً (لما شكوا الحر) ، فلما وكف عليهم طينوه بالطين ، وجعلوا وسطه رحبة ، وقد عمل فيه المسلمون فكانوا يحملون لبنة ، وكان عمار بن ياسر يحمل لبنتين : لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ ، وكان عليه السلام يحمل معهم اللبن ويقول :

هذا الحمال لا حمال خبير هذا أبرُّ ربُّنا وأطهر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة
«رواه البخارى» .

ووضع الرسول ﷺ رداءه وهو ينقل فقالوا :

لئن قعدنا والنبي يعمل فذاك منا العمل المضلل

واستمر المسجد على ما هو عليه فى زمن الصديق رضى الله عنه لاشتغاله بحروب الردة ، وأما الفاروق رضى الله عنه فوسعه ، وزاد فيه دار العباس رضى الله عنه وبناه سيدنا عثمان رضى الله عنه فى خلافته بالحجارة والقصة^(١) ، وجعل عمده حجارة ، وسقفه بالسَّاج^(٢) ، ونقل إليه الحصباء ، من العقيق ، ولم ينزل الخلفاء والملوك يهتمون بعمارة المسجد النبوى الشريف ويبدلون نفائس الأموال فى ذلك .

(١) القصة بالفتح الجص وهو لغة حجازية .

(٢) نوع من الشجر .

المدينة المنورة تحتفل بمقدم النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

روى البيهقي «فى دلائل النبوة» بسنده إلى البراء بن عازب ، قال : «أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، وكانا يقرآن القرآن ، وفى رواية : «فجعلنا يقرئان الناس القرآن ، ثم جاء عمار بن ياسر وسعد وبلال ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين ، ثم جاء رسول الله ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء قط فرحتهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يسعون فى الطرق ويقولون : جاء رسول الله ﷺ .

وفى رواية أخرى قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطريق ، وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : «جاء رسول الله ﷺ جاء محمد ، الله أكبر ، جاء محمد ، جاء رسول الله ﷺ» فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمر . رواه البخارى عن عبد الله بن رجاء ، وأخرجه مسلم من وجه آخر عن إسرائيل : أنبأنا أبو عمرو الأديب ، قال : أنبأنا أبو بكر الإسماعيلي قال : سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة جعل النساء والصبيان يقلن :

طلع البدر علينا *** من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا *** ما دعا لله داع

وفى رواية عن أنس قال : « إني لأسعى فى الغلمان وهم يقولون : جاء محمد ، فأسعى ولا أرى شيئاً ثم يقولون : جاء محمد ، فأسعى ولا أرى شيئاً ، حتى جاء النبی ﷺ وصاحبه أبو بكر فكنا فى بعض جدر المدينة ثم بعثنا رجلاً من بعض البادية ليؤذن بهما الأنصار ، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار ، حتى انتهوا إليهما ، فقالت الأنصار : انطلقا آمنين مطاعين ، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوق البيوت ترائينه ، يقلن : أيهم هو ؟ أيهم هو ؟ قال : فما رأينا منظرًا شبيهاً به يومئذ ! قال أنس : « فلقد رأيت يوم دخل علينا ويوم قبض ، فلم أر يومين شبيهاً بهما » .

وفى رواية أخرى قال أنس : « شهدت يوم دخل النبی ﷺ المدينة فلم أر يوماً أحسن ولا أضوأ منه » .

وفى رواية عن أنس قال : « قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما دخل المدينة جاءت الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلينا يا رسول الله فقال : دعوا الناقة فإنها مأمورة ، فبركت على باب أبى أيوب ، قال : فخرجت جوارى بنى النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن :

نحن جوارٍ من بنى النجار يا حبذا محمدٍ من جار

فخرج إليهن رسول الله ﷺ فقال أتعجبونني ، فقالوا : إى والله
يا رسول الله . فقال : أنا والله أحبكم أنا والله أحبكم ، أنا والله
أحبكم . (ثلاث مرات) .

من آداب الزيارة النبوية

ينبغي لمن وفقه الله تعالى ، ووصل إلى المدينة المنورة أن يتمسك بالآداب الشرعية في تلك الرحاب الطاهرة والمنازل المباركة ، فيستشعر شرف المكان بالفضل الثابت بالعيان .

فإذا دخل المسجد النبوي ، يدخل بسكينة ووقار واحترام وهدوء تام ، ولا يرفع صوته ، لأن رفع الصوت في المسجد منهي عنه ، وهو في مسجد النبي ﷺ أشد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد ثبت أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رأى رجلين يرفعان أصواتهما في المسجد ، فقال : لو أعلم أنكما من أهل البلد لأوجعتكما ضرباً ، إن الأصوات لا ترفع في مسجده ﷺ ، فما يفعله بعض جهال العامة من رفع الصوت من أقبح المنكرات ، اهـ .

وليست هناك صيغة مخصوصة للزيارة يسن التزامها ، أو التقيد بها ، بل لو صلى على النبي ﷺ بأي صيغة أو أسلوب كفى ، ويكفيه أن يقتصر على قوله : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك يا أبا حفص عمر ، كلما دخل المسجد ، فقد كان ابن عمر إذا دخل المسجد يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إذا قال فى سلامه :
السلام عليك يا رسول الله يا خيرة الله من خلقه ، يا أكرم
الخلق على ربه ، يا إمام المتقين ، فهذا كله من صفاته ،
بأبى هو وأمى ﷺ » .

وينبغى أن يحترس ممّا يفعله بعض الجهال أمام الحجرة من
تمسح ونحوه ، فلا يتسلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ، وألاًّ
يتصنع وجداً أو حالاً أو شوقاً كاذباً ليفعل ذلك ، فإن المتشبع بما
ليس عنده كلابس ثوب زور .

وقد حفظ الله تلك الرحاب من كل ما ينافى التوحيد ، ولا يوجد
بين الأمة المسلمة - بحمد الله - من يعتقد فيه ، أو فى قبره ﷺ
اعتقاداً باطلاً ، استجابة لدعائه ﷺ حين قال : اللهم لا تجعل
قبرى وثناً يعبد » وتحقيقاً لما أخبر به أنه : « لا يجتمع دينان
بجزيرة العرب ، وأن الشيطان قد أيس أن يعبد بالجزيرة إلهاً » .

ولا تظن أن ما يفعله بعض الناس مما ظاهره ينافى التوحيد إلا
صادراً عن جهل يحتاج إلى تعليم وتنبية .

قال الشيخ ابن القيم :

ولقد نهانا أن نصير قبره	عيداً حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر ، الذى	قد ضمه وثناً من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه	وأحاطه بثلاثة جدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه	فى عزة وحماية وصيان

وينبغي للمسلم أن يتأدب في تلك الحضرة ملاحظاً أنه ﷺ يشعر به ويعرفه ، ويرد عليه السلام ، ويعلم موقفه ، وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً .

قال الشيخ ابن القيم :

فإذا أتينا المسجد النبوى صلّ ثم انشينا للزيارة نقصد القـ
بر الشريف ولو على الأجفان فنقوم دون القبر وقفة خاضع
متذل في السر والإعلان فكأنه في القبر حتى ناطق
فالواقفون نواكس الأذقان ملكتهم تلك الهابة فاعترت
تلك القوائم كثرة الرّجفان وتفجرت تلك العيون بمائها
ولطالما غاضت على الأزمان وإني المسلّم بالسلام بهيبة
ووقار ذى علم وذى إيمان لم ترفع الأصوات حول ضريحه
كلا ولم يسجد على الأذقان إلى آخر القصيدة :

وينبغي لمن وصل إلى المدينة المنورة أن يجتهد في المحافظة على الصلاة بالمسجد النبوى المشرف ، فقد ثبت في الصحيحين عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » (١) .

(١) متفق عليه ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والبيهقى فى شعب الإيمان ، وللحديث روايات مختلفة ومعناها جميعاً واحد .

قال النووي : وهذا التفضيل يعم الفرض والنفل . ويعم المسجد القديم وما أضيف إليه من جديد الآن وقبل الآن ، فقد روى عنه رحمته الله أنه قال : « لو بنى هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي » وهذا الحديث إن صح فهو من أعلام نبوته رحمته الله .

وينبغي أيضًا أن لا ينسى روضة الجنة في الدنيا ، ففي الصحيح مرفوعًا : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » وفي لفظ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » وأن يجتهد في الصلاة فيها ، لكن بشرط ألا يؤذى أحدًا بالمزاحمة والمدافعة ولا يتأخر في الحضور إلى المسجد ، ثم يتوجه إلى الروضة للصلاة فيها فيؤذى المصلين ، ويتخطى الرقاب ، ويقطع الصفوف ، ويشوش على الذاكرين ، ويسبب المخاصمة والمجادلة التي قد تخرج إلى المشاتمة والقول القبيح ، فهو بهذا قد ارتكب الحرام للوصول إلى السنة ، فوقع في الشر من حيث أراد الخير .

دار الإيمان والتوحيد

المدينة المنورة ، الدار الطيبة والبقعة المحببة المطيبة ، دار السنة والهجرة ، ومدخل الصدق والإيمان . سماها الله تعالى : «طابة» فى الصحيح وسماها رسول الله ﷺ : «طيبة» وكان يطلق عليها من قبل : يثرب ، وسميت فى القرآن كذلك ، حكاية عن قول من قالها من المنافقين ، والذين فى قلوبهم مرض ، وقد جاء النهى عن تسميتها بذلك ، لأنه مأخوذ من «الثرب» وهو الفساد أو من «التثريب» وهو التوبيخ والملامة ، وكان رسول الله ﷺ يكره الاسم الخبيث .

روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث البراء بن عازب (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «من سعى المدينة يثرب فليستغفر الله ، هى طابة» .

وجاء أن من قال : يثرب فكفارته أن يقول : «المدينة» عشر مرات .

والمدينة حرم مقدس مشرف ، ثبت تحريم صورها وشجرها على الحلال ، والمحرم لله ، كما هو مذهب الجمهور لقوله ﷺ فى الصحيح (كما عند مسلم) : «إن إبراهيم حرم مكة وإنى

حرمت المدينة ، ما بين لا بيتها حرام لا يقطع عضائها^(١) ولا يصاد صيدها « ا . هـ . لكن مكة يضمن صيدها وشجرها ، وفي ضمان صيد المدينة وشجرها خلاف .

والمدينة المنورة بلدة مباركة الطعام والشراب ، لأن النبي ﷺ دعا لأهلها بالبركة في صاعهم ومدهم ومكيالهم ، والمدينة المنورة محفوظة لا يدخلها الدجال ، ففي الصحيحين قال رسول الله ﷺ : «إن الدجال لا يطأ مكة ولا المدينة وأنه يجيء ينزل في ناحية المدينة ، فترجف ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق » .

وفي رواية : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة » .

والمدينة المنورة محفوظة لا يدخلها الطاعون ، ففي الصحيحين قال ﷺ : « على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » والأنقاب جمع نقب ، وهو الطريق على رأس الجبل ، وأنقاب المدينة طرقها وفجاحها .

والسر في ذلك الطاعون وباء عند الأطباء ، وقد صح أنهم لما قدموا المدينة وأصابتهم أمراض عظيمة وحمى شديدة دعا لهم

(١) كل شجر يَنْظُم وله شوك .

النبي ﷺ فكشف ذلك عنهم ، وقال : « اللهم انقل وباءها إلى خم » وخم مكان على ثلاثة أميال من الجحفة التى هى جهة رابع .

قال القرطبي : الطاعون هو الموت العام الفاشى ، نعى بذلك أنه لا يكون بالمدينة من الطاعون مثل ما يكون فى غيرها من البلاد ، كالذى وقع فى عمواس ، وقد أظهر الله صدق رسول الله ﷺ فإنه لم يسمع من النقلة ولا من غيرهم من يقول : إنه وقع فيها طاعون عام ، وذلك ببركة دعائه ﷺ حيث قال : « اللهم صححها لنا » .

والمدينة المنورة لا تقبل خبثًا ، فهى كالكير فى إزالة الخبث عنها ، كما فى الصحيحين : أن أعرابيًا بايع النبي ﷺ فأصابه وعك بالمدينة ، فقال : يا محمد أقلنى بيعتى ، أى أعفى من مبايعتك ، فأبى رسول الله ﷺ ، فخرج الأعرابى ، فقال ﷺ : « إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها ، أى يخلص وتشتد رائحته ، قال بعضهم : هذا خاص بزمن حياته ﷺ وصحح النووى أنه عام يشمل كل زمان .

فقد جاء فى الحديث الصحيح : « لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها ، كما ينفى الكير خبث الحديد » قال الزركشى : هذا والله أعلم : زمن الدجال .

والمدينة المنورة لا يدعُها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من

هو خير منه ، ومعنى ذلك أن الذى يخرج عن المدينة راغبًا زاهدًا فيها ، إنما هو جاهل بفضلها ، وفضل القيام بها ، أو كافر بذلك ، وكل واحد من هذين إذا خرج منها ، فمن بقى من المسلمين خير منه وأفضل منه على كل حال . وقد قضى الله تعالى بأن مكة والمدينة لا تخلوان من أهل العلم . والفضل والدين ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى المدينة المنورة المسجد الذى أسس على التقوى مسجد قباء الذى جاءت الإشارة إليه فى قوله تعالى : ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ .

وقد سأل أبو سعيد (رضى الله عنه) رسول الله ﷺ عن المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال : « هو مسجدكم هذا » وجاء فى رواية أخرى : أنه المسجد النبوى .

والحق أن كلا منهما أسس على التقوى . وقد أخرج الترمذى أن النبى ﷺ قال : « الصلاة فى مسجد قباء كعمرة » .

وأخرج ابن ماجة بسند جيد عن سهل قال : قال رسول الله ﷺ : « من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له أجر عمرة » ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وقد كان ﷺ يأتى مسجد قباء راكبًا وماشيًا كل سبت ، وتارة يوم الاثنين ، وصبيحة اليوم السابع عشر من رمضان فيصلى فيه .

وقد حث ﷺ على الإقامة بها ، ووعد من صبر على لأوائها
وشدتها أن يكون له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة . ودعا على من
أحدث بها وأساء وأتى إثماً ، أو أعان على ذلك فقال : « من
أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً » أى لا يقبل
منه فرضاً ولا نفلاً .

ودعا على من آذى أهلها وأرادهم بسوء بأن يذبيح الله فى النار
ذوب الرصاص ، أو ذوب الملح فى الماء » قال : « اللهم اكفهم
من دهمهم ببأس » رواه البزار بإسناد حسن .

رأى ابن الجوزى فى الاحتفال بالمولد النبوى

قال العلامة الجردانى فى « فتح العلام بشرح مرشد الأنام » :
ومن أجل ما ابتدع بل من أجل القربات والطاعات ما جرت به
العادة من العناية بالمولد الشريف ، والفرح فيه بسيد السادات ،
وإطعام الطعام ، ومواساة المحاويج وقراءة قصة المولد
الشريف .

قال ابن الجوزى : ومما جرب : « أن من عمل المولد كان أماناً
له فى ذلك العام ، وبشرى عاجلة بنيل المرام » . وقد جاء أنه ﷺ
لما ولد ذهبت ثوية ، (جارية أبى لهب) فبشرت مولاهم أبا لهب
بمولادته ﷺ فأعتقها وأمرها برضاوته ، فجوزى بأن يخفف عنه فى
النار . كل ليلة اثنين ، فإذا كان هذا حال من صرح القرآن بذمه ،
فما ظنك بالمسلم الذى يفرح بمولده ﷺ ، ويبدى ما تصل إليه
قدرته فى محبته ، لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم ، أن
يدخله بفضل جنات النعيم .

ومن أجل ما ابتدع أيضاً ما جرت به العادة من قيام الناس ،
حين ذكر مولده ﷺ فيستحب ذلك ، لما فيه من تعظيمه ،
وإظهار الفرح به ، والسرور ، بل وأفى بعض الحنفية بكفر من
يتركه ، حين يقوم الناس ، ولعمري إذا لم يُقَمِّمَ لقدمه ، ولو عند
ذكر مولده ، فلمن يقام ، لكن ذكر العلامة الحلوانى فى مواكبه :
« أنه ينبغي أو يجب تركه إذا ذكر الخطيب ذلك ، أو أدى القيام
إلى التشويش وعدم الإنصات . ١ . هـ .

من أحسن الصيغ للسلام على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

ومن أحسن ما يقول الزائر : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله ، سمعت الله يقول : [أو يا خير الرسل . إن الله أنزل عليك كتابًا صادقًا] قال فيه ، « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا » وقد جئتكَ مستغفرًا من ذنبى ، مستشفعًا بك إلى ربى ، وفى رواية أخرى : « إني جئتكَ مستغفرًا ربك عز وجل من ذنوبى » .

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فقد جاء عن محمد العتبي (شيخ إمامنا) (رضى الله عنهما) أنه سمع أعرابيًا قال ذلك عند القبر المكرم ، وانصرف ، فرأى العتبي رسول الله ﷺ فى المنام ، يقول : يا عتبي ألحق بالأعرابى ، وبشره بأن الله قد غفر له .

وروى بعض الحفاظ عن أبى سعيد السمعانى ، أنه روى عن على كرم الله وجهه : أنه بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم أعرابى ،

فرمى نفسه على القبر الشريف (على ساكنه الصلاة والسلام) ،
وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت : فسمعنا
قولك ، ووعيت عن الله تعالى كما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل
عليك قوله تعالى : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا» وقد ظلمت
نفسى وجئتك تستغفر لى إلى ربى ، فنودى من القبر الشريف أنه
قد غفر لك .

ذكر هذه القصة شارح الإقناع ، وتقى الدين بن تيمية وابن القيم
وابن عساكر وابن الجوزى ، وأقرها الحافظ ابن كثير ، ويتأكد
تجديد التوبة فى هذا الموقف الشريف ، وسؤال الله تعالى أن
يجعلها توبة نصوحًا ، والاستشفاع به ﷺ فى قبولها ، والإكثار من
الاستغفار والتضرع بتلاوة الآية المذكورة . وأن يقول بعدها : وقد
ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا ، وأتيت بجهلى وغفلتى أمرًا كبيرًا ، وقد
وفدت عليك زائرًا وبك مستجيرًا ، وجئتك مستغفرًا من ذنبى ،
سائلًا أن تشفع لى إلى ربى ، وأنت شفيع المذنبين ، المقبول
الوجه عند رب العالمين ، وها أنا ذا معترف بخطيئى مقر بذنبى ،
متوسل بك إلى ربى ، وأسأل الله البر الرحيم بك ، أن يغفر لى ،
ويميتنى على سبتك ومحبتك ، ويحشرنى فى زمرك ، ويوردنى
وأحبائى حوضك ، غير خزايا ولا نادمين ، واشفع لى يا رسول الله
رب العالمين ، وشفيع المذنبين ، فها أنا ذا فى حضرك

وجوارك، ونزيل بابك ، وعلقت بكرم ربى الرجاء ، لعله يرحم عبده وإن أساء ، ويعفو عما جنى ، ويعصمه فى ما بقى من الدنيا ، ببركتك وشفاعتك يا خاتم النبیین ، وشفیع المذنبین .

أنت الشفیع وآمالی معلقة

وقد رجوتك یا ذا الفضل تشفع لى

هذا نزيلك أضحى لا ملاذ له

إلا جنابك یا سؤلى ویا أملی

وقال غيره :

ضیف ضعيف غريب قد أناخ بكم

ومستجير بكم یا سادة العرب

یا مكرمى الضيف یا عون الزمان ویا

غوث الفقير ومرمى القصد والطلب

هذا مقام الذى ضاقت مذاهبه

وأنتم فى الرجا من أعظم السبب

أو يقول بعد الآية المذكورة أيضًا : نحن وفدك یا رسول الله ﷺ وزوارك ، جئناك لقضاء حقك ، والتبرك بزيارتك ، والاستشفاع

بك ، مما أثقل ظهورنا ، وأظلم قلوبنا ، فليس لنا يا رسول الله
شفيع غيرك نؤمله ، ولا رجاء غير بابك نصله ، فاستغفر لنا واشفع
لنا عند ربك ، واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا ، ويحشرنا في
زمرة عباده الصالحين ، والعلماء العاملين .

فضائل نبوية قرآنية

قال بعضهم :

ألم يُرضك الرحمن في سورة الضحى
وحاشاك أن ترضى وفينا مُعَذَّبُ
أترضى مع الجاه المنيع ضياعنا
ونحن إلى أعتاب بابك نُنسب
أفضها علينا نفحة نبوية
تلم شتات المسلمين وتُرأبُ

وقال غيره :

قرأنا في الضحى ولسوف يعطى
فَسَرَّ قُلُوبَنَا ذَاكَ الْعِطَاءِ
وحاشا يا رسول الله ترضى
وفينا من يعذَّب أو يساء

وقال غيره :

كيف السبيل إلى تقصى مدح من
قال إلاله له - وحسبك جاها - :

إن الذين يبايعونك إنما

— فيما يقول — : « يبايعون الله »

وقال الشيخ القلقشندي الأديب الكبير المصري :

إنى أوئل ما أرجو بطلعته

فوجهه النير المأمون مأمول

ماذا أقول وما فى زخرف الشعرا

من بعد ما فُصِّلَتْ حَمَ تنزيلُ

« كيف كانت عبادة رسول الله ﷺ قبل البعثة »

إن العلماء اختلفوا : هل كان ﷺ قبل بعثته متعبداً بشرع من قبله
أولاً ؟ . فقال الجمهور : لم يكن متعبداً بشيء ، واحتجوا بأن
ذلك لو وقع لنقل ، ولما أمكن كتمه ، ولا ستره فى العادة ،
ولا فتخر أهل تلك الشريعة ، واحتجوا به عليه ﷺ فلما لم يقع
شئ من ذلك علمنا أنه لم يكن متعبداً بشرع نبي قبله ، وذهبت
طائفة : إلى امتناع ذلك عقلاً ، قالوا : لأنه يبعد أن يكون متبوعاً ،
وقد عرف تابعاً . وذهب آخرون إلى التوقف فى أمره ﷺ وترك قطع
الحكم عليه بشئ فى ذلك لأنه لا قاطع من الجانبين وإلى هذا
ذهب إمام الحرمين .

وقال آخرون : كان عاملاً بشرع من قبله ، ثم اختلفوا ، فتوقف

بعضهم عن التعيين وأحجم ، وجسر عليه بعضهم . ثم اختلف المعينون ، ف قيل : نوح ، وقيل : إبراهيم ، وقيل : موسى ، وقيل عيسى ، وقيل : آدم عليهم الصلاة والسلام ، فهذه جملة المذاهب فى هذه المسألة ، وأظهرها الأول ، وهو الذى عليه الجمهور ، وأبعدها مذهب المعينين ، إذا لو كان شىء لنقل كما مر .

وزعم بعض من لا تحقيق عنده ولا اطلاع على حقائق الكتاب والسنة : أن نبينا ﷺ كان على شريعة إبراهيم ﷺ وليس له شرع منفرد به ، وإنما المقصود من بعثته ، إحياء شرع إبراهيم تمسكاً بظاهر قوله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ فزعمه بالغلط بل بالخرافة أشبه ، ومن ثم قالوا : إن مثله لا يصدر إلا من سخييف العقل ، كثيف الطبع ، وإنما المراد بهذه الآية : الاتباع فى التوحيد الخاص بمقام الخلعة الذى هو مقام إبراهيم المشار إليه بصيغة : « حنيفاً وما كان من المشركين » والمتسبب عن تفويضه المطلق لما ألقى فى النار ، وجاء إليه جبريل عليهما السلام قائلاً له : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، فوصل غاية من التفويض لم يصل إليها أحد قبله ولا بعده إلا نبينا محمد ﷺ فإنه وصل إليها وارتقى بغايات لا يعلمها إلا خالقه وبارئ المنعم عليه بما لم يؤته لغيره .

ومن ثمَّ يقول إبراهيم «عليه الصلاة والسلام» عند مجيء الناس إليه في ذلك الموقف العظيم للشفاعة العظمى في فصل القضاء قائلين له : إن الله اصطفاك بالخلة : «إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، فأعلمهم أنه وإن كان خليلاً لكنه متأخر الرتبة عن غيره ، المنحصرة في نبينا ﷺ ونظير تلك الآية السابقة : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » فالمراد الأمر بالاقتداء في التوحيد وما يليق به من المقامات العلية التي ترجع إلى الأصول لا إلى الفروع ، إذ كان منهم من ليس رسولاً أصلاً كيوسف «عليه السلام» على قول ، والباقون كانت فروع شرائعهم مختلفة ، فاستحال حمل الأمر على الاقتداء بهم على ذلك .

وقال شيخ الإسلام «السراج البلقيني» في شرح البخاري : «ولم يجيء في الأحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبدته ﷺ قبل البعثة ، لكن روى ابن اسحق وغيره أنه ﷺ كان يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه ، وكان من نسك قريش في الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين ، حتى إذا انصرف من بيته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة .

وحمل بعضهم التعبد على التفكير ، قال : وعندى أن هذا التعبد يشتمل على أنواع ، وهي الاعتزال عن الناس - كما صنع إبراهيم ﷺ باعتزال قومه ، والانقطاع إلى الله تعالى - فإن انتظار

الفرج عباده ، كما رواه على بن أبي طالب (كرم الله وجهه)
مرفوعاً ، وينضم إلى ذلك التفكير ، ومن ثمَّ قال بعضهم : كانت
عبادته ﷺ في حراء التفكير .

(انظر فتاوى ابن حجر الهيتمي) .

صلوات مأثورة لرؤية الحبيب

«صلى الله عليه وآله وسلم»

نقل الشيخ الغزالي في الإحياء عن بعض العارفين نقلاً عن العارف المرسى (رضى الله عنه) أن من وازب على هذه الصلاة : وهى : « اللهم صلّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم : فى اليوم والليلة خمسمائة مرة ، لا يموت حتى يجتمع بالنبى ﷺ يقظة » .

ونقل عن الإمام اليافعى فى كتابه « بستان الفقراء » أنه ورد عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى على يوم الجمعة ألف مرة بهذه الصلاة وهى : « اللهم صلّ على سيدنا محمد النبى الأمى » فإنه يرى ربه فى ليلته ، أو نبيه ، أو منزلته فى الجنة ، فإن لم ير فليفعل ذلك فى جمعتين ، أو ثلاث أو خمس ، وفى رواية زيادة « وعلى آله وصحبه وسلم » .

وفى كتاب « الغنية » للقطب الربانى سيدى عبد القادر الجيلانى [حديث] عن الأعرج عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى ليلة الجمعة ركعتين ، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة ، وخمس عشرة مرة « قل هو

الله أحد » ، ويقول في آخر صلاته ألف مرة « اللهم صل على
سيدنا محمد النبي الأمي ، فإنه يراني في المنام ولا تتم له الجمعة
الأخرى إلا وقد رآني ومن رآني فله الجنة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر » ا . هـ .

مقام العبودية (أشرف مقاماته ﷺ)

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

قوله : بعبده ، لم يقل بنبيه ولا برسوله ، إشارة إلى أن وصف العبودية أخص الأوصاف وأشرفها لأنه إذا صحت نسبة العبد لربه بحيث لا يشرك فى عبادته له أحدًا ، فقد فاز وسعد ، ولذا ذكره الله تعالى فى المقامات الشريفة كما هنا .

وفى مقام الوحي قال : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » الآية .

وفى مقام الدعوة قال الله تعالى : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه » ولذا قال القاضى عياض (رحمه الله تعالى) :

ومما زادنى شرفاً وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبياً
وهناك وجه آخر وهو خوف ضلال أمته به ﷺ كما ضلت أمة
عيسى به عليه السلام ، حيث قالوا : ابن الله .

وقوله : بعبده أى بروحه وجسمه على الصحيح ، ثم قال عند قوله تعالى : « إنه هو السميع البصير » المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى ، أى هو السميع للأقوال ، البصير بالأحوال والأفعال ، وقيل : الضمير عائد على النبى ﷺ ، وحكمة الإيتان

بهذين الوصفين : « الثناء على رسول الله ﷺ ، حيث شاهد ما شاهد ، وسمع ما سمع ، ولم يزغ بصره ولم يدهش سمعه فهو نظير قوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » إشارة إلى علو مقامه ورفعة شأنه ﷺ فيكون ﷺ قد وصف بأنه السميع والبصير .

الفتاح الخاتم (شرح صلاة الفاتح)

« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الفتح لما أغلق » ،
أى أنه ﷺ فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لأن رسالة كانت بعد
الفترة (زمن الجاهلية) وفتح الله به على عباده أنواع الخيرات
وأبواب السعادة الدنيوية والأخروية ، فكل الأرزاق من كفه ، وفى
الحديث : « أوتيت مفاتيح خزائن السموات والأرض » أى التى
قال الله تعالى فيها : « له مقاليد السموات والأرض » ، أى
مفاتيحها ، فقد أعطاها عز وجل لحبيبه ﷺ . وفى الحديث
أيضاً : « الله معط وأنا القاسم » .

« والخاتم لما سبق » من النبوة والرسالة فإنه لا نبى بعده ولا
رسول يجدد شريعته ، وعيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل من
السماء يكون على شريعة نبينا ﷺ ومن أمته ، كما أن الخضر
وإلياس يعبدان الله بشريعته ومن أمته .

« والناصر الحق بالحق » ، أى ناصر الدين الثابت عند الله ،
الذى قال الله تعالى فيه : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل
منه » أى إنه فى نصره لدينه ﷺ ملازم للحق ودائر معه ومقوى
للدين الحق بالحجج الحقة وبالقتال الحق المأمور به من الله ، أو
المراد بالحق الثانى هو الله تعالى ، لأنه اسم من أسمائه ، فيكون

المعنى المؤيد للدين بربه تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾
 « والهادى إلى صراطك المستقيم ، صلى الله عليه وعلى آله
 وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم » (١) .

(١) والجملة الأولى من هذه الصلاة مذكورة فى الصيغة التى كان يعلمها الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه) وقد رواها ابن كثير فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى . . . ﴾ الآية وقال : قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى : سلامة الكندى هذا ليس بمعروف ولم يدركه علياً . اهـ وسلامة الكندى هذا من التابعين وهو الذى روى الصيغة عن الإمام على (رضى الله عنه) : قال الشيخ على القارى فى شأن الحديث : وهو موقوف وقد صح سنده قال الدلبجى : لكن أجل وإن صحَّ سنده بأن روايته عنه مرسله إذ لم يدركه . اهـ وهو مردود بما ذكره ابن حبان أنه روى عن على وروى عنه نوح بن قيس الطاحى . اهـ ومثل هذا لإيقال فى الإرسال . انتهى كلام القارى جـ ٢ من شرح الشفا ص ١٢٤ .

هذا وقد اعترض البعض على فضيلة المؤلف فى شرحه لهذه الصلاة عندما قال : إن مقاليد السموات والأرض (أى مفاتيحها) أعطاها الله عز وجل لنبيه ﷺ وجعلوا المعنى بعمومه وظنوا أن مقاليد السموات والأرض بمعنى الأمر والتدبير والخلق والإيجاد وهو اعتراض غير صحيح وحاشا أن يمتد هذا مسلم أو يقول به .

وقد جاء فى لسان العرب : المقاليد هى المفاتيح جمع إقليد بمعنى مفتاح وهى أيضا ، الخزائن جمع مقلاد بمعنى خزانة ، اهـ . ومعنى الآية أن الله وحده له مفاتيح السموات والأرض وخزائنها وليس لأحد سواه يقول تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ ويقول سبحانه : ﴿ وإن من شئ إلا عندنا خزائنه ﴾ . ومما لا شك فيه أن الله تعالى له أن يعطى من مفاتيح علمه وخيره من يشاء من عباده منةً منه وفضلاً يقول تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ وأعظم وأكرم من اصطفى وارتضى من رسله حبيبى محمد ﷺ . وروى البخارى عن عقبة بن عامر (رضى الله عنه) خرج النبى ﷺ يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت ثم انصرف إلى المنبر . فقال : إني فرطكم وأنا شهيد عليكم إني والله لأنظر إلى حوضى الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض . . (كتاب المناقب وكتاب الجنائز وكتاب المغازى) [فتح البارى جـ ٦ / ٤٧٩] .

وأخرج الطبرانى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال : أعطيت مفاتيح كل شئ إلا الخمس : (التى فى قوله تعالى : أن الله عنده علم الساعة) الخ .

وأخرج الطبرانى أيضاً والإمام أحمد عن ابن عباس « رضى الله عنهما » عن النبى ﷺ : أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلى ، نصرت بالعرب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد وجعل لى التراب طهوراً وجعلت أمتى خير الأمم « وإذا كان الأمر كذلك فأى غضاضة ونكارة فى قول المؤلف : إن الله أعطى حبيبى ﷺ مقاليد السموات والأرض بمعنى المفاتيح ؟ .

يا أيها الرسول بلغ

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ اعلم أن ما أوحى إلى رسول الله ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، قسم أمر بتبليغه وهو القرآن والأحكام المتعلقة بالخلق عموماً فقد بلغه ﷺ ولم يزد عليه حرفاً ولم يكتم منه حرفاً ، ولو جاز عليه الكتم لكتم آيات العتاب الصادرة له من الله كآيات . « عبس وتولى » ، وآية « ما كان لنبى أن يكون له أسرى » ، وسورة تبت يدا أبى لهب ، ولفظ قل من آية ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ وقد شهد الله له بتمام التبليغ حيث أنزل عليه قبل وفاته ﷺ ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ .

وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه اقْبِضْ فقد بلغته .

وما أمر بكتمه ﷺ ولم يبلغ منه حرفاً وهو جميع الأسرار التى لا تليق بالأمّة . وما خير فى تبليغه وكتمه فقد كتم البعض وبلغ البعض - وهو بعض الأسرار التى لا تليق بالأمّة - ولذا ورد عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنه قال : « أعطانى حبيبى جرابين من العلم لو بثت لكم أحدهما لقطع منى هذا الحلقوم » ^(١) .

(١) قال الطيبى رويناه فى صحيح البخارى عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة =

= رضى الله عنه وقال الألوسى فى تفسير الآية الكريمة : ان ذلك هو علم الأسرار الإلهية وعلم الحقيقة وإلى هذا أشار رئيس العارفين «على زين العابدين» حيث قال :

إنى لا أكتم من علمى جواهره	كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
وقد تقدم فى هذا أبو حسن	إلى الحسين ، وأوصى قبله حسنا
فرب جوهر علم لو أبوح به	لقليل لى : أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

(روح المعانى للألوسى ج ٦ / ١٩٠).

وهذا العلم لا يرجع الى أحكام التشريع التى أمر ﷺ بتبليغها فإنه لم يكتم منها شيئاً ، وأما من يحتج بالآية الكريمة على أنه ليس هناك علم خاص من قبيل الأسرار والمعارف الإلهية فقد كذب ووقع فى الباطل والضلال ، فإن الآية لا شأن لها بذلك فهى تأمر النبى ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه من ربه (من القرآن والأحكام) لا بتبليغ ما فتح به عليه من المعارف والأسرار وما عرفه الحق سبحانه من العلوم والأحوال ، وأيضاً يدل سياق الآية على أن التبليغ المأمور به ﷺ هو تبليغ ما أنزل إليه من القرآن فى أمر خاص بتقريب أهل الكتاب وكشف أباطيلهم ودحض حججهم لأن الآية نزلت فى المدينة من آخر ما نزل وقد أدى الرسول ﷺ الرسالة وأكمل الدين .

فالمعنى إذا بلغ ما أنزلناه إليك بشأنهم ولا تخش كيدهم فهو مصروف عنك بدليل « والله يعصمك من الناس » ففيها تثبيت للنبى ﷺ وطمأنينة لقلبه ، وليس فى الآية ما يشير إلى نفي العلوم والمعارف والأسرار التى يخص الله بها من يشاء من عباده . اهـ فتأمل .

رؤيا النبى

«صلى الله عليه وآله وسلم»

عن أنس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « من رآنى فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى » أخرجه أحمد والبخارى والترمذى عن أنس .

وقال ﷺ : « من رآنى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتزايأ بى » أخرجه أحمد والبخارى ومسلم ، عن أبى قتادة رضى الله عنه ، وقال ﷺ : « من رآنى فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكوننى » أخرجه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فالنبى ﷺ مظهر من مظاهر الحق ، وكل ما يسمع منه فإنه من الحق .

وقال ﷺ : « من رآنى فإنى أنا هو فإنه ليس الشيطان أن يتمثل بى » أخرجه الترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) وقال ﷺ : « من رآنى فى المنام فقد رآنى إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى بى » أخرجه الترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) وقال ﷺ : « من رآنى فى المنام فقد رآنى إنه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى » ، أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه عن جابر (رضى الله عنه) .

وقال ﷺ : « من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة » « ولا يتمثل الشيطان بى » أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة (رضى الله عنه) وهذه الأحاديث كلها فى أعلى درجة من الصحة ، وأما ما اتفق عليه البخارى ومسلم فقد قال علماؤنا : إنه يلحق بالمتواتر ، كيف وقد روى ذلك معهما الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه وأبو داود ، فقد ترفت فوق درجة الصحة ولحقت بالمتواتر .

ورويناه فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتخيل بى ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

فقد جاء لفظ عدم مماثلة الشيطان له من وجوه ، قال : « أن الشيطان لا يتمثل بى » وقال : « لا يتكونى » ، وقال : « لا يتخيل بى » ﷺ لم يترك لغة من لغات التمثيل إلا وقد ذكرها ، فلم يبق فى عدم مماثلة الشيطان له شك ولا شبهة لا فى اليقظة ولا فى المنام ، قال ابن الباقلانى : معنى الأحاديث أن رؤياه ﷺ صحيحة وليست بأضغاث أحلام ، ولا من تشبهات الشيطان » ، وقال غيره : إن المراد من رآه فقد أدركه حقيقة ، فلا مانع يمنع ذلك ، والعقل لا يحيله فيضطر إلى صرفه عن ظاهره .

قالوا : وقد يُرى رسول الله ﷺ على خلاف صفته ، أو فى

مكانين معًا ، أو فى أماكن متعددة ، وذلك خلط فى صفاته ﷺ فى عالم خيال الرأى ، فتكون ذاته ﷺ مرئية . فالإدراك لا يشترط فيه ذلك بخلاف الإبصار ، ولا قرب المسافة ، ولا كونى المرئى مدفونًا بالأرض ولا ظاهرًا عليها .

وإنما يشترط كونه موجودًا ، ولم يقم دليل على فناء جسمه ﷺ ، بل جاء فى الأحاديث الصحيحة ما يقتضى بقاءه مع جميع الأنبياء ، وورد أيضًا : « أنهم يصلون فى قبورهم » وتجربى لهم أعمال البر كحياتهم .

وردد أيضًا : أن سعيد بن المسيب فى أيام الحرة ، حين هُجر المسجد النبوى ، كان لا يعرف وقت الصلاة إلا بأذان كان يسمعه من داخل الحجرة المقدسة ، ولا يبعد أن يكون ذلك للأنبياء ، خاصة ، ولمن شاء الله من خواص عباده ، اهـ . ما قاله العلماء (رضى الله عنهم) .

وقالوا : إن رؤيا النبى ﷺ ممكن لعامة أهل الأرض فى ليلة واحدة ، وذلك لأن الأكوان مرياً ، وهو ﷺ كالشمس إذا أشرقت على جميع المرياً ظهر فى كل مرآة صورتها ، بحسب كبرها وصغرها ، وصفائها وكدرها ، ولطافتها وكثافتها . كبلور ، أو معدن ، أو تنك ، وبحسب أشكالها من تدوير ، إلى تثليث ، إلى تربيع ، إلى غير ذلك من الأشكال والألوان . فكل من رأى النبى ﷺ ، فإنما رآه بحسب صفة نفسه ومرآة قلبه ، فإن رآه بصفة

كمال ، فالكمال فى الرأى ، أو بصفة نقص ، فلنقص فى
الرأى .

وأما قوله ﷺ : « من رأى فى المنام فسيرانى فى اليقظة » قال
العلماء : هو فى الدنيا قطعاً ، ولو عند الموت لمن وفق لذلك .

وأما قول من أوله برؤيا اليقظة فى الآخرة فقد رد عليه العلماء
وقالوا : إن الآخرة يراه فيها كل مؤمن رآه فى منامه أو لم يره ، كما
ورد فى أحاديث عدة صحيحة .

بل ويراه الكفار فى الآخرة والمنافقون فيعرفون قدره العظيم
وشرفه الكبير ﷺ وقد يكون فى الدنيا لأهل الكمال من المؤمنين
أصفىاء البصيرة الذين وصفهم الله تعالى ووصف قلوبهم ومعارفهم
بقوله : « كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة
كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار . نور على نور »
وهو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من العلوم والمعارف زيادة
على نور الإيمان وتمثيل لقلب العارف وما فيه من المعارف .

فمثل هذا القلب ، هو المؤهل لرؤيا النبى ﷺ فى اليقظة وسائر
المغيبات أيضاً .

حفظ الله تعالى للنبي ﷺ من مؤمرات اليهود

حاول اليهود أكثر من مرة قتل النبي ﷺ ، وقد ثبت ذلك في مرتين :

كانت المرة الأولى في محاولة قتل النبي ﷺ يوم ذهب إلى يهود بنى النضير ، يطلب منهم الوفاء بالعهد الذى قطعوه على أنفسهم معه ، ويطالبهم بدفع دية العامريين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري ، وقد ذهب إليهم النبي ﷺ وحده ، فما كادوا يرونه حتى استقبلوه استقبالاً فى ترحيبه مكر خبيث يحمل ريح مؤامرة ، وجلس النبي بعد اللقاء مستنداً إلى حائط منزل واحد منهم ، ودار من خلف النبي همس المؤامرة ، فقد قالوا لبعضهم : (لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فهو وحده ، فمن رجل يظهر على البيت فيطرح صخرة فيريحنا منه) .

وانتهى بهم الرأى إلى اختيار عمرو بن جحاش بن كعب ، فهو أقواهم بنية وأسرعهم حركة ، وأخبروه أن الأمر سيعتبر قضاءً وقدرًا وأن دمه سيهدر ، وأن محمداً لن تكون له بعد ذلك دية ولا مطالب بدم . وفوق ذلك ستكون قوة المسلمين قد تحطمت ، وإنهم بذلك سيقضون على الإسلام بقضائهم على نبي الإسلام .

وشرع عمرو فى تنفيذ جريمته ، وصعد إلى سطح المنزل الذى يستند على حائط جداره رسول الله ﷺ ، وأمسك بصخرة كبيرة

وألقاها ، ولكن فى ومضة عين كان العلى الكبير قد أنبأ نبيه بالأمر، فترك مكانه فى اللحظة التى سقطت فيها الصخرة .

وكان أيضًا قد وصل إلى مكان النبى نفر كبير من المسلمين ، فقد علموا بذهابه وحده إلى بنى النضير ، فسارعوا باللاحاق به ، وماد كادوا يرون الرسول حتى أعلمهم بالخبر كله .

وثار المسلمون ، وكادت أن تقع معارك ضارية بين المسلمين واليهود ، ولكن اليهود اعترفوا بجريمتهم ، وطلبوا أن يرحلوا عن المدينة كلها ، كعقاب لهم ، وتركوا المدينة فعلاً ، وفوراً ، وما حولها أيضًا .

وسجل القرآن الكريم جريمة اليهود هذه فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يسطوا عليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

ومرة ثانية : وبعد أن رأى اليهود هزيمتهم فى خير ، اجتمع بعد نفر من اليهود سرًا واتفقوا على أن يدسوا السم للنبى ﷺ فى طعامه ، وبذلك يقضون على رسول الله ، فيعاد لليهود مكانتهم ، ويثأروا من مواقف النبى معهم ، ويحققوا أملهم الذى انتظروه من مئات السنين ، ويخلوا لهم عالم الدنيا بعد ذلك ، ولا يكون أمامهم غير جماعة النصارى على ظهر الأرض ، عدوًا واحدًا ليس له ما للإسلام من قواعد ونظم تحكم البشرية وتربط بين الدنيا والآخرة والناس بعضهم بعضًا .

ومن أجل هذا الغرض اجتمع نفر من اليهود سرًا ، ووقع اختيارهم على زينب بنت الحارث ، فهي صديقة صفية زوجة رسول الله ﷺ وطلبوا منها أن تذهب إلى بيت رسول الله ﷺ وتسأله عن أى الطعام أحب إليه لتهديه إليه بمناسبة زواجه من صديقتها صفية .

ونفذت زينب بنت الحارث ما أُملى عليها وعلمت من رسول الله ﷺ أنه يقبل منها هديتها : شاة مشوية ، فإن أحب أجزاءها إليه الذراع .

وجاءت زينب إلى الرسول ﷺ بالشاة المسمومة الذراع ، وقدمتها إلى رسول الله ﷺ وكان معه بشر بن البراء بن معرور ، ولكن رسول الله ﷺ ما كاد يتذوق الذراع حتى رد ما أكله ، وقال : « والله ما أظن إلا أنه السم »^(١) وتوقف عن الأكل ، ولم ينته بشرٌ عن الاستمرار إلا بعد أمر النبي له بالتوقف ، ولكن السم كان كثيرًا وقويًا ، فانتشر في دمه فوق بشرٌ لتوّه ميتًا .

وأمر النبي ﷺ فجاءوا بزينب بنت الحارث ، واعترفت لرسول الله ﷺ عن جانب من المؤامرة ، وبررت تصرفها بأنها موتورة ، فقد مات الكثيرون من أهلها في حرب المسلمين ، وأذل الله على يد النبي قومها ، وضاعت هيبتهم ، ولم تعد لهم مكانة

(١) وفي رواية صحيحة : أن الذراع هو الذى أخبره بذلك . معجزة له ﷺ اهـ . مالكي .

بين الناس ، فتركها النبي ﷺ وحفظ الله رسوله ﷺ ، ولكن آثار السم كانت كامنة في أمعاء رسول الله ﷺ ومن أجل هذا يروى الثقات أن رسول الله ﷺ كان يشكو في مرضه الأخير من معدته ، مع شكواه من صداع في رأسه ، حتى ليقول مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى : « إن رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه عندما دخلت أخت بشر بنت البراء بن معرور تعوده :

« يا أخت بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى ^(١) من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخير » . وقد ذكرت هاتين القصتين كتب الأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية .

(١) الأبهر: عرق ينزل من الدماغ ، فهو في العنق الوريد ، وفي الصلب الأبهر ، وفي القلب الوتين ، ومن أي مواضعه انقطع هلك صاحبه ، والوريد والوتين مذكوران في القرآن الكريم .

عرض الأعمال على النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

قال الإمام الحافظ الشيخ ابن القيم فى قصيدته المشهورة بالنونية .

هذا وأما عرض أعمال العبا	د عليه فهو الحق ذو إمكان
وأتى به أثر فإن صح الحديد	ث به فحق ، ليس ذا نكران
لكن هذا ليس مختصا به	أيضا بآثار روين حسان
فعلى أبى الإنسان يعرض سعيه	وعلى أقاربه مع الإخوان
إن كان سعيًا سيئًا حزنوا وقا	لوا : رب راجعه إلى الإحسان

ولذا استعاذ من الصحابة من روى

هذا الحديث عقيه بلسان

يا رب إنى عائد من خزية

أخزى بها عند القريب الدانى

ذاك الشهيد المرتضى ابن راحة الـ

محفوف بالرضوان والغفران

لكن هذا ذو اختصاص والذى

للمصطفى ما يعمل الثقلان

« القصيدة النونية لابن القيم ص ١٣٤ » .

محافظة عمر بن الخطاب على ميزاب العباس لأنه وضعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قال الإمام أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه
فى كتابه « المغنى » فصل : « ولا يجوز إخراج الميازيب إلى
الطريق الأعظم ، ولا يجوز إخراجها إلى درب نافذ إلا بإذن أهله .
وقال أبو حنيفة ومالك والشافعى : يجوز إخراجها إلى الطريق
الأعظم ، لأن عمر رضى الله عنه اجتاز على دار العباس وقد نصب
ميزابًا إلى الطريق فقلعه ، فقال العباس : تقلعه وقد نصبه
رسول الله ﷺ بيده ؟ فقال : والله . لا نصبته إلا على ظهرى ،
وانحنى حتى صعد على ظهره فنصبه » (١) .

تعظيم الصحابة لرحل وناقاة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

كان للنبي ﷺ خادم يسمى « أسلع » وكان يقوم بترتيب رحل
النبي ﷺ يشده عليها وينزله عنها .

وفى ليلة أصابته جنابة ولم يغتسل لبرودة تلك الليلة فلما أصبح
أمره ﷺ أن يرحل الناقاة له لأن أراد الخروج ذلك اليوم لغرض ما

(١) المغنى لابن قدامه : ٤ / ٥٥٤ مالكى .

ولكنه لم يرض أن يقوم بمهمته كعادته لأنه كان جنبًا . كره (رضى الله عنه) أن يمس رحله ﷺ وهو جنب ، فطلب من غيره أن يقوم بذلك .

ويتحدث بنفسه هو عن ذلك فيقول : كنت أرحل ناقة النبي ﷺ فأصابتنى جنابة فى ليلة باردة ، وأراد رسول الله ﷺ الرحلة فكرهت أن أرحل ناقته وأنا على جنابة ، فأسخت ماءً فاغتسلت ثم لحقت رسول الله ﷺ وأصحابه فقال : يا أسلع ، ما لى أرى راحلتك تغيرت ؟ فقلت يا رسول الله : لم أرحلها ، رحلها رجل من الأنصار ، قال : ولم ؟ قلت أصابتنى جنابة فأمرته برحلها .

قصيدة بانت سعاد

قال الشيخ الأديب أبو جعفر البصير الألبيري الأندلسي ، لما ذكر الكعبية هذه : وهذه القصيدة لها الشرف الراسخ والحكم الذي لم يوجد له ناسخ .

أنشدها كعب في مسجده عليه الصلاة والسلام بحضرته وحضرة أصحابه ، وتوسل بها فوصل إلى العفو عن عقابه . فسد وَاللَّهُ خلته ، وخلع عليه حلته ، وكف عنه من أرادته وأبلغه في نفسه وأهله مراده ، وذلك بعد اهدار دمه ، فهي كلمة محت حسناتها تلك الذنوب وسترت محاسنها وجه تلك العيوب . ولولاها لمنع المدح والغزل ، وقطع من أخذ الجوائز على الشعراء الأمل في حجة الشعراء فيما سلكوه ، وملاك أمرهم فيما ملكوه . حدثني بعض شيوخنا بالاسكندرية أن بعض العلماء كان لا يفتح مجلسه إلا بقصيدة كعب فقليل له في ذلك ، فقال :

رأيت رسول الله وَاللَّهُ في النوم فقلت : يا رسول الله قصيدة كعب أنشدها بين يديك ؟ فقال : نعم أنا أحبها وأحب من يحبها قال : فعاهدت الله أن لا أخلو من قراءتها كل يوم .

قال الحافظ الكتاني : ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن

ينسجون على منوالها ، ويقتدون بأقوالها ، تبركاً بمن أنشدت بين
يديه ، ونسب مدحها إليه ، ولما صنع القاضي محي الدين عبد
الظاهر قصيدة في مدح النبي ﷺ على وزن بانت سعاد قال :

لقد قال كعب في النبي قصيدة وقلنا عسى في مدحه نشارك
بأن شملتنا بالجوائز رحمة كرحمة كعب فهو كعب مبارك

صانع المنبر النبوى

اختلف فى صانع منبر النبى ﷺ على أقوال :

ف قيل : هو «ميمون» وَصَحَّحَ أو «باقول» بلام أو «باقوم» بميم، أو صباح «بصاد فموحدة كغراب، أو قبيصة أو كلاب» مولى العباس «أو «تميم الدارى» أو «ميناً» بميم فنون فهمزة، أو «إبراهيم». أقوال تسعة، وهل فى سنة سبع أو ثمان؟ اهـ.

وأُشِدَّ محدث الشام الشيخ عبد الباقي الحنبلى الأثرى فى تلبية رياض الجنة لشيخه محدث الشام نجم الدين الغزى الشافعى بقوله :

صانع منبر النبى الذى	كان عليه يخطب النبى
صلى وسلم عليه دائماً	إلهنا المهيمن العلى
قيل : اسمه ميمون أو باقول	أو باقوم ، أو تميم الدارى
وقيل إبراهيم أو قبيصة	والقول الأول هو القوى

قال الشيخ عبد الباقي : وزدت متبعاً فقلت مييناً :

ميناً صباح قيصرهم باقوم كلامهم مينا هو القوى

وللحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقى تأليف سماه «عَرَفُ العنبر فى وصف المنبر» .

جواز طلب الشفاعة من النبي

«صلى الله عليه وآله وسلم»

قال أنس بن مالك : « سألت النبي ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال : أنا فاعل . قلت يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال : اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط . قلت : فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبنى عند الحوض فإنى لا أخطيء هذه المواطن الثلاث » ، رواه الترمذى فى أبواب صفة ما جاء فى شأن الصراط .

فإن قيل : كيف التوفيق بين هذا الحديث وحديث عائشة : « فهل تذكرن أهليكم يوم القيامة : فقال ﷺ : أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا ؟ » .

قلت : جوابه لعائشة بذلك لئلا تتكل على كونها حرم رسول الله ﷺ ، وجوابه لأنس لكيلا يئأس ، انتهى .

قال القارى : فيه أنه خادم رسول الله ﷺ فهو محل الإتكال أيضًا مع أن اليأس غير ملائم لها أيضًا ، فالأوجه أن يقال : إن الحديث الأول محمول على الغائبين ، فلا أحد يذكر أحدًا من أهله الغيب والحديث الثانى : محمول على من حضره من أمته . . انتهى .

سواد بن قارب يطلب الشفاعة من النبي

«صلى الله عليه وآله وسلم»

قدم سواد بن قارب الدوسي على النبي ﷺ وأنشد هذه القصيدة وفيها طلب الشفاعة منه ﷺ :

أتانى نجى بعد هذء ورقدة	ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال : قوله كل ليلة	أتاك نجى من لؤى بن غالب
فرفعت أذيال الإزار وشمريت	بى الفرس الوجناء حول السباب
فأشهد أن الله لا رب غيره	وأنت مأمون على كل غائب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة	إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك من وحى ربنا	وإن كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لى شفيعاً يوم لا ذو شفاعة	بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

(انظر الاستيعاب لابن عبد البر حرف العين) (١)

(١) هذا وقد ذكر صاحب فتح القدير «الكمال بن الهمام الحنفى» عند الكلام على حكم زيارة النبي ﷺ وقال ما نصه : فى مناسك الفارسى وشرح المختار من السادة الأحناف ... أن زيارة النبي ﷺ قريبة من الوجوب ولما زار الإمام أبو حنيفة المدينة المنورة وقف أمام قبره الشريف وقال :

يا أكرم الثقلين يا كنز السورى * جد لى بجودك وأرضنى برضاك

أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لأبى حنيفة فى الأنام سواك

وقد اقتدى الإمام أبو حنيفة (رضى الله عنه) فى ذلك بالصحابى الجليل سواد بن قارب (رضى الله عنه) اهـ .

جواز التوسل بغير النبي (١)

صلى الله عليه وآله وسلم

ومن أعلام نبوته ﷺ ما أظهره الله تعالى من كرامته في عمه العباس حين استسقى به عمر (رضى الله عنه) متوسلاً إليه بعمه فخرج يستسقى به وقد أجذب الناس .

فقال : اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقيّة آبائه وكبير رجاله فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، فقد دلونا به إليك مستغفرين . فقال

(١) يتوسل المؤمنون بالنبي ﷺ وبغيره من أهل الصلاح لكونهم أعباء لله سبحانه وتعالى لا لأجل تعظيمهم تعظيم الربوبية والفرق واضح بين سؤال الله بأحد من خلقه وبين سؤال غير الله ، والمسلمون عند توسلهم لا يعتقدون استحقاق العبادة إلا لله وحده فهو سبحانه المحيى والمميت والموجد والمعدم والنافع والضار والمعطى والمانع وهو على كل شيء قدير ، وهناك شبهة تعتري البعض فيظنون أن التوسل المشروع لا يكون إلا بدعاء النبي ﷺ وهو عندهم غير ممكن بعد وفاته ، ولذلك يرون أن التوسل بالذات لا يجوز ويقولون : لو كان جائزاً لما عدل عمر (رضى الله عنه) عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس ، وهذا الذى قالوه غيره صحيح من أوجه :

١ - لو كان عدول عمر (رضى الله عنه) عن التوسل بالعباس (رضى الله عنه) دليلاً على عدم جواز التوسل بالذات للزم من ذلك عدم جواز بقية أنواع التوسل كالتوسل بالعمل الصالح وأسماء الله الحسنى فإن عمر عدل عنها أيضاً وهذا لا يقول به أحد .

٢ - وعلى هذا فقد أورد العلماء احتمالات متعددة فى سبب عدول عمر (رضى الله عنه) عن التوسل بالنبي ﷺ ، فذهب بعضهم إلى أن ذلك كان من عمر لأجل إظهار شرف آل البيت الأطهار ، وذهب البعض الآخر أن ذلك كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فإن علياً كرم الله وجهه كان موجوداً وهو أفضل من العباس (رضى الله عنه) بلا خلاف إلى غير ذلك من الاحتمالات ، والراجع أن من أنواع توسل الصحابة (رضى الله عنهم) بالنبي ﷺ فى الاستسقاء أن يقدموه ليدعو لهم ويدعو الناس معه فيحصل من صورة الاجتماع هذه مزيد تذلل وتضرع ويكون ذلك أدعى للإجابة ولا يخفى أن هذا متعذر لأن التوسل به ﷺ بتلك الكيفية غير ممكن بعد وفاته ولذلك اتجه عمر (رضى الله عنه) =

إلى التوسل بالعباس (رضى الله عنه) ليقمه بين الناس داعياً ويحصل الاجتماع المندوب شرعاً .
ويكون هذا التعذر أظهر في حالة تقديم المتوسل به ليصلى بالناس ويدعو لهم لأن صلاة الاستسقاء عبادة مشروعة ومن شروط العبادة الحياة الدنيوية - فطرة التكليف - وهذا لا يتأتى أداءه من الرسول ﷺ مع أننا نقر بثبوت حياته ﷺ في قبره ، والفارق بين الإستسقاء وبين غيره من الأمور المطلوبة بالتوسل واضح لأن الاستسقاء صلاة فيها إمام يقتدى به ويتوسل به وبدعائه بخلاف غير ذلك من الأدعية لكشف ضرر أو إزالة كرب ونحو ذلك .

٣- لا يجوز فهم حديث عمر (رضى الله عنه) بمعزل عن بقية النصوص الواردة في موضوع التوسل لأنه من المقرر في قواعد الأصول أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضاً ويقيدها بعضها بعضاً .

أن العدول كان عن التوسل بالدعاء على الكيفية المعهودة في حياته ﷺ فقط لتعذرهما وليس للاستدلال على منع التوسل بالذات أو العمل الصالح أو غيرهما محل في ذلك . والذي يقتضيه النظر هو أن يقال : لم ينقل إلينا أن عمر (رضى الله عنه) فعلها في تلك المناسبة رغم شدة كرب المسلمين كما لم ينقل إلينا أنه تركها أو نهى عنها ولا يصح أن يستدرك على هذا بأنه لو فعلها لنقل إلينا لأن عدم النقل لفعلها هو الأقرب للحقيقة والواقع لأنها مما يفعل في خاصة النفس ولا تتوقف كیفيتها على إظهارها وإعلانها لاسيما والصحابة (رضى الله عنهم) كانوا حريصين على كتم أعمالهم ودعواتهم التي تصدر منهم بمبالغة في الإخلاص ورجاء القبول .

بل إن حديث مالك الدار الذي سيأتي تحقيقه ضَرَّ يؤيد ما رجحناه من قصر العدول على نوع خاض متعذر وفي حديث الأعمى وابن عمر رضی الله عنهما كفاية للمصنف [انظر ص ١٠٠] .

٤- التوسل بالدعاء فيه دلالة على التوسل بالذات بطريق التضمنين ولذلك قال العلامة الشوكاني في تحفة الذاكرين مانصه : «أما التوسل بالصالحين فمنه ما ثبت في الصحيح أن الصحابة استسقوا بالعباس (رضى الله عنه) عم الرسول ﷺ وقال عمر (رضى الله عنه) : اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبينا . . . إلخ اهـ .

وقال أيضاً عند شرحه لحديث الأعمى : وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنه هو المعطى المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج ٢ / ٤٩٧ ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصالح وأهل بيت النبوة وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه . اهـ .

[هذا التعليق كتبه الأخ الفاضل محمد الهادي عبيد التونسي] .

العباس وعيناه تنضحان : « اللهم أنت الراعى ، لا تهمل الضالة
فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر
وأخفى ، اللهم فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا
يأس من روحك إلا القوم الكافرون » . فنشأت السحاب وهطلت
السماء فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانهم ، ويقولون هنيئاً لك
يا ساقى الحرمين ، فقال حسان بن ثابت :

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بكرة العباس
عم النبي وصنو والده الذى ورث النبى بذاك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجانب بعد الياس
فقال الفضل بن العباس بن أبى لهب ، يفتخر بذلك :

بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيبتة عُمر
توجه بالعباس فى الجذب راغباً فما كَرَّ حتى جاد بالديمة المطرُ

إن الله عودك خيراً

روى ابن عباس قال : قيل لعمر حدثنا عن شأن جيش العسرة
فقال عمر (رضى الله عنه) : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى قيظ
شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش ، حتى خشينا أن تنقطع
رقابنا ، فكان الرجل يذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى نظن أن
رقبته ستقطع ، وحتى كان الرجل ينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه
ثم يجعل ما بقى على صدره .

فقال أبو بكر (رضى الله عنه) يا رسول الله إنَّ الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا . قال : أتحب ذلك ؟ قال نعم : فرفع رسول الله ﷺ يده فلم يُرجعها حتى مالت السحاب ، فأظلت وأمطرت حتى رووا وملأوا ما معهم من الأوعية فذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

(أعلام النبوة للماوردي)

ليس لنا إلا إليك يا رسول الله فرارنا

ومن أعلام نبوته ﷺ ما رواه أنس بن مالك قال : أتى أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، لقد أتيناك ومالنا بغير يثبط ولا صبي يغطُّ ثم أنشد :

أتيناك والعذراء يدمى لَبَانُهَا ^(١) وقد شَغِلَتْ أم الصبي عن الطفل
وألقي بكفيه الصبي استكانة من الجوع ضعفاً ما يمرُّ ولا يحلّ ^(٢)

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا

سوى الحنظل العامي ^(٣) والعلهز الفسل ^(٤)

(١) اللبان بفتح اللام الصدر وهو كناية عن أنها تمتهن أنفسها ولا تجد من يخدمها لضيق ذات اليد .

(٢) أى ما ينطق بخير ولا شر من جوعه وضعفه من أمر وأحلى .

(٣) العامي نسبة إلى العام أى السنة لأن الحنظل يتخذ فى عام الجذب .

(٤) والعلهز بكسر فسكون طعام من الدم والوبر كان يتخذ فى المجاعة ، والفسل بفتح فسكون ، الردىء والكلام هنا كناية عن شدة الفقر والحاجة [الوسيلة للشيخ محمد خليل الخطيب / ٧٣] .

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : « اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً سحاً طبقاً غير راث تنبت به الزرع وتملاً به الضرع وتحیی به الأرض بعد موتها . . فما استتم الدعاء حتى التفت السماء بأروقته .

فجاء أهل البطانة يضجون : يا رسول الله الغرق ، فقال : « حوالينا ولا علينا » فانجاب السحاب عن المدينة كالإكليل . فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه وقال : لله در أبی طالب لو كان حياً لقرت عيناه ، من الذى ينشدنا شعره ؟ فقال على بن أبی طالب كرم الله وجهه : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يعوذ به الهلاك من آل هاشم

فهم عنده فى نعمة وفواضل

كذبتهم وبيت الله نبزى محمداً ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل^(١)

(١) هذا الحديث أخرجه البيهقى فى الدلائل من رواية مسلم العلانى عن أنس ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى ، فى فتح البارى (ج ٢ ص ٤٩٥) إسناده حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة وقد ذكره ابن هشام فى زوائده فى السيرة تعليقاً عن يثق به اهـ .

وقام رجل من كنانة وأنشد :

لك الحمد والحمد ممن شكر	سقيناً بوجه النبی المطر
دعا الله خالقه دعوة	وأشخص معها إليه البصر
فلم يك إلا كلف الرداء	وأسرع حتى رأينا الدرر
رقاق العوالى جم البعاق	أغاث به الله علياً مضر
وكان كما قاله عمه	أبو طالب : أبيض ذو غرر
به الله يسقى صوب الغمام	وهذا العيان كذاك الخبر

فقال رسول الله ﷺ إن يك شاعر يحسن ، فقد أحسنت .

(انظر أعلام النبوة للماوردي ١٠٩)

معنى قوله ﷺ رد الله على روحى

« ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى ، حتى أرد عليه السلام » رواه أبو داود عن أبي هريرة (رضى الله عنه) .

قال النووى : إسناده صحيح ، وقال ابن حجر : رواه ثقات ، ومعنى « رد الله على روحى » يعنى رد على نطقى ، لأنه ﷺ حى على الدوام ، وروحه لا تفارقه أبداً ، لما صح أن الأنبياء أحياء ، فى قبورهم . وقوله ﷺ : « حتى أرد عليه السلام » ، هذا ظاهر فى استمرار حياته ، لاستحالة أن يخلو الوجود كله من أحد يسلم عليه ، ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان .

والمراد : كما قال ابن الملتن وغيره بالروح : النطق مجازاً ،
علاقة المجاز أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة ،
وهو ﷺ في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت ، مستغرق في
مشاهدته ، مأخوذ عن النطق بسبب ذلك^(١) ، ولهذا قال ابن
حجر : الأحسن أن يؤول الروح بحضور الفكر كما قالوه في خبر
« يغان على قلبي »^(٢) .

(١) تأويل الروح بالنطق يلزم منه ما يلزم من تأويلها بعودة الحياة إلى الجسد الشريف ،
لأن من نفى ذلك استدل بأن الوجود كله لا يخلو من أحد يسلم عليه ﷺ فمعنى هذا أن الروح
لا تفارقه أبداً فكذلك يقال في النطق أنه لا يؤخذ ولا يمنع عنه ﷺ أبداً ، ولعل الأولى في
فهم الحديث من جهة الدليل هو التوقف في معنى ردّ الروح لأن الروح إذا كانت في حقيقتها
مجهولة لنا فحقيقة الرد من باب أولى ، ولأن أحوال البرزخ لا يقاس عليها عالم الدنيا إذ هي
فوق مداركنا وعقولنا ثم إن حياته ﷺ في قبره زائدة على الحياة البرزخية التي يشترك فيها
جميع الناس ، فلنؤمن بذلك دون أن نخوض في معناه فمقام رسول الله ﷺ أجل وأعلى من أن
يفسر بالظنون والاحتمالات وأهل الفتح والمعرفة قد يفتح لهم بشيء من هذا المعنى لا تحيط
بوصفه العبارات والله أعلم .

(٢) معنى يغان على قلبي : أي بالنور ومن اعتقد أنه ﷺ يغان على قلبه الشريف
بالظلمة فقد فجر وزبحم كفر ، وقال صاحب الصباح المنير في مادة « غ ي ن » وحديث
يغان على قلبي كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنيوية فإنها وإن كانت مهمة
فهي في مقابلة الأمور الأخروية كاللهو عند أهل المراقبة . اهـ وهذا تخريج حسن .

رسول الله ﷺ على حوضه ينتظر الواردين عليه

من أمته (جعلنا الله تعالى من المقبولين)

روى الشيخان عن عقبة بن عامر (رضى الله عنه) قال : خرج رسول الله ﷺ يوماً وصلى على شهداء أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : « إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضى الآن ، وإني قد أعطيت خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها » .

وفى رواية لمسلم عن عقبة قال : قال النبي ﷺ : « إني فرطكم على الحوض » .

وعن مسلم عن جندب سمع النبي ﷺ يقول : « إني فرطكم على الحوض » ، وروى أبو نعيم بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفارى (رضى الله عنه) قال : لما صدر النبي ﷺ عن حجة الوداع قال : « يا أيها الناس إني فرطكم على الحوض ، وإنكم واردون على حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم .

وروى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس (رضى الله عنهما) - أن النبي ﷺ قال : « أنا آخذ بحجزكم عن النار ، أقول : إياكم

وجهنم وإياكم والحدود ، فإذا مت فأنا فرطكم وموعدكم الحوض ، فمن ورد أفلح » الحديث .

قال الإمام النووي : قال أهل اللغة : الفرط (بفتح الفاء والراء) والفرط : هو الذى يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء ، قال : فمعنى قوله ﷺ : « فرطكم على الحوض » ينتظر أمته - الواردين عليه ، المتبعين له - وذلك ليستقبلهم ويسقيهم ، سقانا الله من كفه الشريفة شربة لا نظماً بعدها أبداً بجاهه وبوجاهة وجهه الشريف عند ربّه تعالى - وهكذا أحاديث الحوض بلغت حد التواتر فيجب الإيمان به قطعاً بلا شك .

جاء فى سنن أبى داود : أن عبيد الله بن زياد قال لأبى برزة الأسلمى (رضى الله عنه) جئت إليك لأسألك عن الحوض ، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً ؟ فقال أبو برزة - رضى الله عنه - : نعم ، لا مرة ولا مرتين ، ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ، قال : فمن كذب به فلاسقاؤه الله منه » الحديث وفى هذا دليل على أنه ﷺ كان كثيراً ما يحدث أصحابه - رضى الله عنهم - عن الحوض وأوصافه ، ولذلك جاءت أحاديث الحوض عن جَمِّ غفير من الصحابة فى مناسبات متعددة ، ومن ثم ذكره علماء التوحيد فى جملة العقائد الإيمانية ، قال العلامة اللقانى رحمه الله تعالى :

إيماننا بحوض خير الرسل حتم كما قد جاءنا فى النقل
ينال شرباً منه أقوام وفوا بعهدهم وقل يزداد من طغوا

والمعنى أن الذين يشربون من حوض المصطفى ﷺ - دون مانع يمنعهم - هم الموفون بعهدهم مع الله تعالى ، ومع رسوله ﷺ وأما من بغى وطغى وارتد ورجع القهقري فإنهم يمنعون عن الشرب من حوضه ﷺ .

روى البخارى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال : « بينا أنا قائم (أى على الحوض يوم القيامة) فإذا زمرة (أى جماعة) حتى إذا عرفتهم خرج رجل (أى ملك على صورة رجل) من بينى وبينهم ، فقال : (أى قال لهم) هلم ! فقلت : أين ؟ (أى إلى أين تدعوهم) قال : إلى النار قلت : وما شأنهم ؟ قال : أنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم ، قال هلم : (أى للجماعة تلك أقبلوا) قلت أين ؟ قال إلى النار ، قلت ما شأنهم ؟ قال فلا أراه يخلص منهم (أى من تلك الزمرة) إلا مثل همل النعم » . قال الحافظ المنذرى وغيره : همل النعم ، هى ضوألها ومعناه : أن الناجى قليل كضالة النعم بالنسبة إلى جملتها . ا . هـ .

وكان ابن أبى مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن فى ديننا . ا . هـ آمين .

(انظر الإيمان بعوالم الآخرة للشيخ عبد الله سراج الدين)

لواء الحمد

لقد ثبت بالأحاديث النبوية : أن لسيدنا محمد ﷺ لواءً عاليًا على جميع ألوية الشرف والكرامة واسعًا كل السعة يأوى إليه ويدخل تحته جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم معهم (صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين) ويسمى لواء الحمد ، وهو بيد جامع أنواع السيادة والمحبة ﷺ .

روى الترمذى وابن ماجة وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، ويبنى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي : آدم فمن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر) الحديث .

وروى الترمذى والدارمى وغيرهما عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال : جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه ، قال : فخرج ﷺ حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذكرون فسمع حديثهم . فقال بعضهم : عجبًا إن الله اتخذ من خلقه خليلًا ، اتخذ إبراهيم خليلًا ، وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى ، كلمه الله تكليما ، وقال آخر : فعىسى كلمة الله وروحه ، وقال آخر : آدم اصطفاه الله تعالى : فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، فسلم وقال : « سمعت كلامكم وعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته

وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك . ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر » .

ومعنى قوله ﷺ فى ذلك : ولا فخر ، أنه لم يقل ذلك فخراً وكبراً ، وإنما قال ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى وشكراً له وامثالاً لأمر الله تعالى ، حيث قال له : « وأما بنعمة ربك فحدث » .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان قال : « قال الصحابة (رضى الله عنهم) يا رسول الله ، إبراهيم خليل الله ، وعيسى كلمة الله وروحه ، وموسى كلمه الله تكليماً فماذا أعطيت أنت ؟ فقال : ولد آدم كلهم تحت رايتى يوم القيامة وأنا أول من تفتح له أبواب الجنة » ، وروى الترمذى والدارمى وأبو يعلى وغيرهم عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شافعهم إذا حُبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ، يطوف على ألف خادم ، كأنهم اللؤلؤ المكنون » هذا لفظ الدارمى .

قال الحافظ الزرقانى : وأضيف اللواء إلى الحمد الذى هو الشناء

على الله تعالى بما هو أهله لأنه منصبه ﷺ في الموقف ، وهو المقام المحمود المختص به ، قال : والعرف جار بأن اللواء يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه إذ موضوعه أصالة شهرة الرئيس ا . هـ .

قال شيخنا الشيخ « عبد الله سراج الدين » في كتابه « الإيمان بعوالم الآخرة » : وقد تكلم الشيخ الأكبر محيي الدين جمعنا الله تعالى به وبأهل الله أجمعين ، حول لواء الحمد ، وبين وجه تسميته بلواء الحمد أنه التَّوْتُ (أى اجتمعت) فيه المحاميد التى يحمد بها رب العالمين ، فهو لواء جامع لجميع المحامد الإلهية فلا يخرج عنه حمد ، وإنما يأخذ منه كل حامدٍ حمده ليحمد به رب العالمين سبحانه وتعالى .

وإن الحمد لله تعالى لا يكون إلا بالأسماء الإلهية فإنها بها يثنى عليه سبحانه وتعالى وبها يحمد ، وإن جميع تلك الأسماء الإلهية التى بها يحمد الحامدون ويثنون بها على ربهم ، جمعها الله تعالى فى لواء رسول الله ﷺ فإلى ظل لوائه ﷺ يأوون وعنه يأخذون صيغ حمدهم ، ولذلك عم ظل لوائه ﷺ جميع الحامدين كما قال رسول ﷺ : « ما من نبي آدم فمن دونه إلا تحت لوائى » فالأنبياء وأتباعهم : كلهم تحت لوائه الذى اجتمعت فيه أنواع المحامد ، ومنه يتلقي كل حامد . وإن أحمد الحامدين لرب العالمين سيدنا أحمد ﷺ الذى فتح الله ويفتح عليه من محامده وحسن الثناء

عليه ما لم يفتحه على أحد غيره . كما جاء فى أحاديث الشفاعة المتقدمة حيث قال ﷺ : « ... فيفتح الله تعالى على (أي يوم القيامة حين يقيمه المقام المحمود) من محامده وحسن الشئ عليه ما لم يفتحه على أحد قبلى فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن يلهمنيها الله تعالى » .

حشرنا الله تعالى فى جملة رفقاءه وجمعنا تحت لواء حمده وراية مجده ونفحنا بنفحاته وأفاض علينا من بركاته ﷺ .

والعفو عند رسول الله مأمول

قال عليه الصلاة والسلام : « من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله » فكتب إليه أخوه بهذه الآيات :

من مبلغ كعباً فهل لك فى التى	تلوم عليها باطلاً وهى أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده	فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو، وليس بمفلى	من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه	ودين أبى سلمى على محرم

فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان حاضره من عدوه ، فقال : هو مقتول ، فلما لم يجد من شىء بداً ، قال قصيدته التى يمدح بها رسول الله ﷺ ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه .

ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل يقال له « جهينة »

كانت بينه وبينه معرفة فغدا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه واستأمنه ، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فوضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله : إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبًا مسلمًا فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟

قال رسول الله ﷺ نعم ، قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، قال ابن إسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار وقال : يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال ﷺ : دعه فقد جاء تائبًا نازعًا . قال : فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار لما صنع صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، ثم قال قصيدته اللامية التي أولها :
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متم إثرها لم يفد مكبول

ومنها :

أنبت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافله الـ قرآن فيه مواعيط وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
في عصابة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا : زولوا
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنايل

وفى رواية لأبى بكر بن الأنبارى أنه لما وصل إلى قوله : إن الرسول لنور يستضاء به . . . البيت رمى عليه الصلاة والسلام عليه بردة كانت عليه ، وإن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف ، فقال : ما كنت لأوثر بردة رسول الله ﷺ أحدًا ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفًا فأخذها منهم ، قال : وهى البردة التى عند السلاطين إلى اليوم .

وقال ابن اسحق : قال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب :

« إذا عرد السود التنايل » . وإنما عنى معشر الأنصار لما كان صاحبهم صنع به ، وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الأنصار ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار قصيدته التى يقول فيها :

من سره كرم الحياة فلا يزل	فى مِقْنَب من صالح الأنصار
ورثوا المكارم كابرًا عن كابر	إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السّمهرى بأذرع	كسوالف الهندى غير قصار
والناظرين بأعين مُحمّرة	كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسهم لنبيّهم	للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكًا لهم	بدماء من علقوا من الكفار
قوم إذا خوت النجوم فإنهم	للطارقين النّازلين مقارى

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وأبوه وابنه عقبة وابن
ابنه العوام بن عقبة .

أنظر المواهب اللدنية ص ١٧٢

فوائد الصلاة والسلام على خير الأنام

قال سيدى العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه :
« لواقح الأنوار القدسية » : وقد حجب لى أن أذكر لك يا أخى
جملة من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ تشويقاً لك ،
لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة ويصير شغلك فى أكثر
أوقاتك بالصلاة والتسليم عليه ، وتصير تهدى ثواب كل عمل
عملته فى صحيفة رسول الله ﷺ ^(١) كما أشار إليه خبر أبى بن
كعب : إنى أجعل لك ثواب جميع أعمالى فقال له النبى ﷺ :
إذا يكفيك الله تعالى هم دنياك وأخرتك . فمن ذلك ، وهو أهمها
صلاة الله وسلامه وملائكته ورسله على من صلى وسلم عليه .

ومنها : تكفير الخطايا ، وتزكية الأعمال ، ورفع الدرجات .

(١) إن أعمال الأمة كلها - ولو لم يُهَدَ له ﷺ منها شيء - فإن له نظيرها لقوله ﷺ ،
« الدال على الخير كفا علىه » ، ومعلوم أننا إذا أهدينا شيئاً فإنما ذلك لأجل أن يعود علينا
بالنفع . . من نوره وبركته ﷺ وهذا دليل على صدق محبتنا إذ لولاه ﷺ ما عرفنا الطاعة ولا
أجرنا عليها ، فهذا معنى الإهداء إلى النبى ﷺ ودليلنا عليه ما رواه الجهضمي وغيره : بإسناد
صحيح فى كتاب فضل الصلاة على النبى ﷺ : أن أحد الصحابة رضى الله عنهم قال
بارسول الله إنى أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى ؟ فقال : ما شئت قال : الربع
قال : ما شئت وإن زدت فهو خير ، قال : النصف ، قال : ما شئت وإن زدت فهو خير ، قال :
الثلثين قال : ما شئت وإن زدت فهو خير ، قال : يا رسول الله فأجعل صلاتى كلها لك ، قال :
إذا تكفى همك ويغفر ذنبك وفى رواية : « إذا يكفيك الله هم دنياك وأخرتك » .

ومنها : مغفرة الذنوب ، واستغفار الصلاة عليه ﷺ لقائلها .
ومنها : كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد ، والكيل بالمكيال
الأوفى .

ومنها : كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها عليه كما
تقدم .

ومنها : محو الخطايا وفضلها ^(١) على عتق الرقاب .
ومنها : النجاة من سائر الأهوال ، وشهادة الرسول ﷺ بها يوم
القيامة ، ووجوب الشفاعة .

ومنها : رضا الله ورحمته والأمان من سخطه ، والدخول تحت
ظل عرشه .

ومنها : رجحان الميزان في الآخرة ، وورود الحوض ، والأمان
من العطش .

ومنها : العتق من النار ، والجواز على الصراط كالبرق
الخاطف ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت .

ومنها : كثرة الأزواج في الجنة والمقام الكريم .

ومنها : أنها زكاة وطهرة وينمو المال ببركتها .

ومنها : أنه تقضى له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر .

(١) أى فضل الصلاة على رسول الله ﷺ .

ومنها : أنها عبادة ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى .
ومنها : أنها علامة على أن صاحبها من أهل السنة .
ومنها : أن الملائكة تصلى على صاحبها مادام يصلى على
النبي ﷺ .

ومنها : أنها تزين المجالس وتنفي الفقر وضيق العيش .
ومنها : أنه يلتمس بها ميطان الخير .
ومنها : أن فاعلها أولى به ﷺ يوم القيامة .
ومنها : أنه ينتفع هو وولده بها وبثوابها ، وكذلك من أهديت
في صحيفته .

ومنها : أنها تقرب إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ .
ومنها : أنها نور لصاحبها في قبره ويوم حشره وعلى الصراط .
ومنها : أنها تنصر على الأعداء ، وتطهر القلب من النفاق
والصدأ .

ومنها : أنها توجب محبة المؤمنين فلا يكره صاحبها إلا منافق
ظاهر النفاق .

ومنها : رؤية النبي ﷺ في المنام ، وإن أكثر منها ففي اليقظة .
ومنها : أنها تقلل من اغتياب صاحبها ، وهى من أبرك الأعمال
وأفضلها وأكثرها نفعاً في الدنيا والآخرة ، وغير ذلك من الأجور
التي لا تحصى .

وقال الفاسى فى « شرح الدلائل » بعد قول المصنف : « وهى من أهم المهمات لمن يريد القرب من رب الأرباب » : وجه أهمية الصلاة على النبى ﷺ فى حق من يريد القرب من مولاه من وجوه :
منها : ما فيها من التوسل إلى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه ، وقد قال الله تعالى : « وابتغوا إليه الوسيلة » ولا وسيلة إليه تعالى أعظم من رسوله الأكرم ﷺ .

ومنها : أن الله تعالى أمرنا بها وحضنا عليها تشریفاً له ﷺ ، وتكريماً ، وتفضيلاً ، ووعد من استعملها حسن المآب ، والفوز بجزيل الثواب ، فهى من أنجح الأعمال ، وأرجح الأقوال ، وأزكى الأحوال وأحظى القربات ، وأعم البركات ، وبها يتوصل إلى رضا الرحمن ، وتنال السعادة والرضوان وبها تظهر البركات ، وتجاب الدعوات ، ويرتقى إلى أعلى الدرجات ، ويجبر صدع القلوب ، ويعفى عن عظيم الذنوب . وأوحى الله تعالى إلى موسى (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) : يا موسى أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسواس قلبك إلى قلبك ، ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينك ؟ قال : نعم يا رب ، قال : فأكثر الصلاة على محمد ﷺ .

ومنها : أنه ﷺ محبوب لله عز وجل ، عظيم القدر عنده ، وقد

صلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم عليه ﷺ فوجبت محبة المحبوب والتقرب إلى الله تعالى بمحبته وتعظيمه ، والصلاة عليه والاقتراء بصلاته تعالى وصلاة ملائكته عليه .

ومنها : ما ورد في فضلها والوعد عليها من جزيل الأجر ، وعظيم الذكر ، وفوز مستعملها برضا الله تعالى وقضاء حوائج آخرته ودنياه .

ومنها : ما فيها من شكر الواسطة في نعم الله علينا ، المأمور بشكره ، فما من نعمة سابقة ولا حقة من الإيجاد والإمداد في الدنيا والآخرة إلا وهو السبب في وصولها إلينا وإجرائها علينا ، فنعمته ﷺ علينا تابعة لنعم الله تعالى ، ونعم الله لا يحصرها عدد .

كما قال سبحانه : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » فوجب حقه ﷺ علينا . ووجب علينا في شكر نعمته أن لا نفتقر عن الصلاة عليه مع دخول كل نفس وخروجه .

ومنها : ما جرب من تأثيرها والنفع بها في التنوير ورفع الهمة حتى قيل : إنها تكفى عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه ^(١) .

(١) هذا محمول على افتراض عدم وجود الشيخ المرّبي وإلا فلا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ومن صدق في الطلب جمعه الله بأهل الأدب ، وعلى هذا فمعنى كفاية الصلاة على رسول الله ﷺ عن الشيخ هو تلطيف أنوار الذكر لأن الذكر إذا أكثر فيه العبد يكون له نور يحرق أوصاف البشرية ويحدث اهتزازاً في القلب فتكون الصلاة ملطفة للمزاج في مقام الشيخ المرّبي الذي يسهر على رعاية حال المريـد بالمراقبة فيأمره بالذكر تارة ويأمره بتركه تارة أخرى ثم يعود وهذا إلى أن يستأنس ويتعود (انظر شرح الصاوى على الصلوات لسيدى أحمد الدردير رضى الله عنه) ص ١٩ [مطبوعة صبيح] .

ومنها : ما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله
ففى الصلاة على رسول الله ﷺ ذكر الله ورسوله ، ولا كذلك
عكسه ، ثم قال : وفى كتاب ابن فرحون القرطبى : واعلم أن فى
الصلاة على النبى ﷺ عشر كرامات :

إحداهن : صلاة الملك الجبار .

والثانية : شفاعة النبى المختار .

والثالثة : الاقتداء بالملائكة الأبرار .

والرابعة : مخالفة المنافقين والكفار .

والخامسة : محو الخطايا والأوزار .

والسادسة : العون على قضاء الحوائج والأوطار .

والسابعة : تنوير الظواهر والأسرار .

والثامنة : النجاة من دار البوار .

والتاسعة : دخول دار القرار

والعاشرة : سلام الرحيم الغفار .

وفى كتاب « حدائق الأنوار فى الصلاة والسلام على النبى
المختار » : الحديقة الخامسة فى الثمرات التى يجتنيها العبد
بالصلاة على رسول الله ﷺ والفوائد التى يكسبها ويقتنيها :

الأولى : امتثال أمر الله بالصلاة عليه ﷺ .

- الثانية : موافقته سبحانه وتعالى فى الصلاة عليه ﷺ .
- الثالثة : موافقة الملائكة فى الصلاة عليه ﷺ .
- الرابعة : حصول عشر صلوات من الله تعالى على المصلى عليه ﷺ صلاة واحدة .
- الخامسة : أن يرفع له عشر درجات .
- السادسة : يكتب له عشر حسنات .
- السابعة : يمحى عنه عشر سيئات .
- الثامنة : ترجى إجابة دعوته .
- التاسعة : أنها سبب لشفاعته ﷺ .
- العاشرة : أنها سبب غفران الذنوب وستر العيوب .
- الحادية عشر : أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه .
- الثانية عشر : أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ .
- الثالثة عشر : أنها تقوم مقام الصدقة .
- الرابعة عشر : أنها سبب لقضاء الحوائج .
- الخامسة عشر : أنها سبب لصلاة الله وملائكته على المصلى .
- السادسة عشر : أنها سبب زكاة المصلى والطهارة له .

السابعة عشر : أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته .

الثامنة عشر : أنها سبب للنجاة من أهوال القيامة .

التاسعة عشر : أنها سبب لرده ﷺ على المصلى عليه .

الموفية عشرين : أنها سبب لتذكر ما نسيه المصلى عليه ﷺ .

الإحدى والعشرون : أنها سبب لطيب المجلس ، وأن لا يعود على أهله حسرة يوم القيامة .

الثانية والعشرون : أنها سبب لنفى الفقر عن المصلى عليه ﷺ .

الثالثة والعشرون : أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ .

الرابعة والعشرون : نجاته من دعائه عليه برغم أنه إذا تركها عند ذكره ﷺ .

الخامسة والعشرون : أنها تأتي صاحبها على طريق الجنة وتخطىء بتركها عن طريقها .

السادسة والعشرون : أنها تنجى من تنن المجلس الذى لا يذكر فيه اسم الله ورسوله ﷺ .

السابعة والعشرون : أنها سبب الكلام الذى ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ .

الثامنة والعشرون : أنها سبب لفوز العبد بالجواز على الصراط .

التاسعة والعشرون : أنه يخرج العبد عن الجفاء بالصلاة عليه ﷺ .

الموفية ثلاثين : أنها سبب لإلقاء الله تعالى الثناء الحسن على المصلى عليه ﷺ بين السماء والأرض .

الإحدى والثلاثون : أنها سبب رحمة الله عز وجل .

الثانية والثلاثون : أنها سبب البركة .

الثالثة والثلاثون : أنها سبب لدوام محبته ﷺ وزيادتها وتضاعفها وذلك من عقود الإيمان الذي لا تتم إلا به ^(١) .

الرابعة والثلاثون : أنها سبب لمحبة الرسول ﷺ للمصلى عليه ﷺ .

الخامسة والثلاثون : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه .

السادسة والثلاثون : أنها سبب لعرض المصلى عليه ﷺ وذكره عنده ﷺ .

السابعة والثلاثون : أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط .

(١) إشارة إلى حديث : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وفي رواية : « ومن نفسه التي بين جنبيه » متفق عليه .

الثامنة والثلاثون : تأدية الصلاة عليه لأقل القليل من حقه ﷺ وشكر نعمة الله التي أنعم بها علينا .

التاسعة والثلاثون : أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة إحسانه .

الموفية أربعين : إن الصلاة عليه ﷺ من العبد دعاء وسؤال من ربه عز وجل ، فتارة يدعو لنبه ﷺ وتارة لنفسه ، ولا يخفى ما فى هذا من المزيد للعبد .

الإحدى والأربعون : من أعظم الثمرات وأجل الفوائد المكتسبات بالصلاة عليه ﷺ انطباع صورته الكريمة فى النفس .

الثانية والأربعون : أن الإكثار من الصلاة عليه ﷺ يقوم مقام الشيخ المربي^(١) . ا . هـ .

(١) سبق الكلام عن ذلك .

تمنى رؤية النبی

صلی الله علیه وآله وسلم

جاء فی الهمزية :

لِتِه خَصَّى بِرُؤْيَا وَجِه ** زَال عَنْ كُلِّ مَنْ رَأَاهُ الْعَنَاءُ

فانتقده بعض الجهلة ، فقلت هذا كلام مؤيد بالحديث المرفوع الصحيح المتصل عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال ﷺ : « وليأتين على أحدكم زمان ، لأن يرانى أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله » . رواه البخارى فى كتاب المناقب ، باب علامات النبوة (نسخة الفتح ٦ / ٦٠٤) .

القناعة بالقليل فى سبيل الجوار

وجدت بخط والدى (رحمه الله) فى بعض أوراقه .

لقرص شعير تافه غير صالح بغير إدام والذى يعلم النجوى
مع الفقر فى دار الحبيب محمد ألد على قلبى من المن والسلوى
على أننى فيها على كل حالة بتيسير مولانا الكريم كما أهوى

غيرة البوصيرى

قال الإمام البوصيرى فى شأن الحضرة المحمدية ومدحه لها
وغيرته عليها .

إن لى غيرة وقد زاحمتنى فى معانى مديحك الشعراء
وقال النبهانى مبيناً أن المقام لا يقتضى الغيرة وهو من همزيتة
المشهورة المذكورة فى المجموعة ٣٨٤١١ .
لم يزاحم مداحك البعض بعد ضاً أنت بحر والمادحون دلاء

بين النبهانى وابن عبيد الله

روى لنا الوالد (رحمه الله) أن النبهانى قال فى النعلين
الكريمتين :

على رأس هذا الكون نعل محمد
سمت فجميع الخلق تحت ظلاله
لدى العرش موسى نودى اخلع وأحمد
إلى العرش لم يؤمر بخلع نعاله
فلما سمع هذا السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف مفتى
حضر موت لم يعجبه ذلك فرد بقوله :
يقولون : إن المصطفى ليلة الشرى

إلى العرش لم يؤمر بخلع نعاله
وهذا محال عندنا فى مقام من

تواضعه لله أسنى خلالاه

قال : ولكن السقاف رأى النبي ﷺ فى النوم وهو يشير إلى باب الصلاة فى النعال ، فلما استيقظ استنبط منها أن المصلى يناجى ربه وذلك جائز فى حالة لبسه لنعاله فلا مانع من أن يكون ﷺ فى حال المناجاة كان بنعاله لأن الحال واحد .

فأنت باب الله (١)

للقطب الكبير سيدنا محمد بن أبى الحسن البكرى المصرى :
وهى مجربة لقضاء الحوائج ، تقرأ فى آخر الليل بعدما تيسر من
الصلاة ، ويكرر بيت : «عجل بإذهاب الذى أشتكى» ٧٣ مرة .

ما أرسل الرحمن أو يرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
فى ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلاوطه المصطفى عبده	نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها	يعلم هذا كل من يعقل
فلذبه فى كل ما ترتجى	فإنه المأمّن والمعقل
وحط أحمال الرجا عنده	فإنه المرجع والموئل
وناداه إن أزمة أنشبت	أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه	وخير من فيهم به يسأل
قد مسنى الكرب وكم مرة	فرجت كرباً بعضه يذهل
فبالذى خصك بين الورى	برتبة عنها العلا تنزل
عجل بإذهاب الذى أشتكى	فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟ (٢)
فحيلتى ضاقت وصبرى انقضى	ولست أدرى ما الذى أفعل ؟

(١) هذا من قبيل التشبيه البليغ حيث حذف فى الأداة ووجه الشبه وقع المشبه به خيراً
عن المشبه فالنبي ﷺ كالإله حيث يتوصل بهديه ومحبه واتباعه إلى معرفة الله والفوز
برضاه ، قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ .
الآية ، وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . الآية .

(٢) التعليق على ما يثار من اعتراضات حول أبيات القصيدة =

لشدة أقوى ولا أحمل
أتاه من غيرك لا يدخل
زهر الروابي نسمة شمائل
وطاب منه الند والمندل
ساجعة أملودها مخضل

ولن ترى أعجز مني فما
فأنت باب الله أى امرىء
عليك صلى الله ما صافحت
مسلمًا ما فاح عطر الحمى
والآل والأصحاب ما غردت

= أولاً عنوان القصيدة : « فأنت باب الله » .

نعم هو ﷺ باب الله فلا دخول على حضرة الحق إلا بواسطته ﷺ ، أخرج ابن حميد وابن عوانة : يقول الله سبحانه وتعالى في حديثه القدسي : « وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق واستفتحوا من كل باب ما فتحت لهم حتى يدخلوا من طريقك » فلا طريق توصل العباد إلى الله إلا طريقه ﷺ ولا باب يفتح لهم إلا بابه ﷺ ، وهو ﷺ السر الرحمانى السارى فى العوالم كلها كما يشير إلى هذا قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وهو ﷺ واسطة الخيرات والبركات والإمدادات كما يشير إليه صاحب النظم بقوله : « واسطة فيها وأصل لها » .

= ثانياً : معنى الواسطة . .

العطاء كله من الله الكريم الوهاب ولا مانع أن يكون بواسطته ﷺ كما جاء فى الصحيح : « إنما أنا قاسم والله معط » فالله سبحانه وتعالى يجرى الخيرات على يديه فليس معنى الواسطة - كما يفهم الجهلة - عبادة النبي ﷺ ليقرب من فعل ذلك إلى الله زلفى ، ويقولون : لا واسطة بين العبد وربّه ، والله أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، فهذا مما لا ينبغى النزاع حوله . وبقي أن نقول لهم : أليس رسول الله ﷺ هو واسطه بين الله وخلقه فى تبليغ رسالته إليهم ؟ أليس هو واسطة بين الله وخلقه فى الشفاعة العظمى يوم يشتد الكرب ؟ فلماذا لا يكون واسطة فى العطاء الإلهى والجدد الربانى ؟ إن المتأمل فى قوله تعالى : ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ وفى الآية التى سبقتها فى السورة نفسها : ﴿ وقالوا حسبنا الله سيوّتنا الله من فضله ورسوله ﴾ فلماذا عطف الله سبحانه معه رسوله ﷺ عند ذكر الفضل والعطاء ؟

ثالثاً : قول الناظم : ولذبه فى كل ما ترتجى فإنه المأمّن والمعقل . =

= إنه ﷺ المأمّن والحاجز من عذاب الله فى الدنيا والآخرة بشخصه وشرعه وشفاعته ألم يقل سبحانه : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ؟ ألم يقل سبحانه ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ ؟ فكيف لا يكون ﷺ بعد ذلك المأمّن والملاذ ؟

رابعاً : قول الناظم :

عجل بإذهاب الذى أشتكى فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

هنا شبهة تعترض لكثير من الناس ، وهى كيف يسأل ﷺ وينادى عند النوازل والشدائد فى الدنيا والآخرة مع أنه ﷺ هو القاتل : إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ... الخ ؟ فإن ظاهر هذا الحديث أنه لا سؤال ولا استعانة إلا بالله والجواب على هذا - كما ذكره الشيخ محمد حسين مخلوف فى المطالب القدسية - بأن ما كتبه الله للعبد أولاً : إما أن يكون مقدراً وصوله إليه منه تعالى مباشرة ، سواء كان معلقاً بدعاء العبد لله أولاً ، وإما أن يكون مقدراً وصوله إليه بواسطة مخلوق يسخره الله له ، سواء كان معلقاً بسؤال المخلوق أو الاستعانة به أولاً ... ثم قال بعد ذلك : ويحمل حديث ابن عباس على أن من سأل مخلوقاً أو استعان به فعليه أن يعتقد أن الحق سبحانه وتعالى هو المسئول حقيقة والمستعان به وهو الفعال لما يريد المقدر للأمور المسخر للأسباب ، اهـ فعلى هذا يكون سؤاله ﷺ على سبيل المجاز ومن باب الأخذ بالأسباب والمسئول حقيقة هو الله .
ومما يدل على هذا المجاز قول الأعرابى الذى سبق ذكره .

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

والذى يقطع النزاع فى هذه المسألة ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴾ وفى هذا نرى أن جبريل عليه السلام أسند الهبة إلى نفسه مع أن الواهب حقيقة هو الله وهذا من المجاز العقلى الشائع استعماله فى اللغة ، وإذا كان سؤاله ﷺ ونداؤه شركاً أو كفراً فكيف علم الصحابى الجليل فى حديث التوسل أن يقول : « يا محمد إني أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه » ؟ الحديث وسيأتى الكلام عليه فيما بعد .

وكيف يأتى بلال بن الحارث المزنى الى قبره الشريف ﷺ عام الرمادة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه - ويقول : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ؟

وهو ﷺ صاحب الشفاعة العظمى الذى يتوجه إليه الناس جميعاً يوم القيامة ويسألونه الشفاعة فيشفع لهم . =

“ = وفي صحيح مسلم عن ربيعة بن كعب (رضي الله عنه) قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتته بوضوئه وحاجته فقتل لي : سلتني ، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة فقال : أو غير ذاك ؟ قلت هو ذاك : - الحديث فهل بعد هذا تبقى شبهة لمعترض ؟

خامساً : القاعدة : أن من طلب من مخلوق شيئاً هو قادر عليه فلا شك في جواز طلبه ، وعلى هذا نقول : هل النبي ﷺ قادر على تفريج الكربات والتخيلات - كما طلب الناظم في القصيدة - بنفسه أم أم يأذن الله ؟ فإن قلنا بنفسه فلا يجوز وإن قلنا بإذن الله وهو الثابت في الكتاب والسنة والعقل - فلا شك في جواز ذلك ومنه سؤال فتادة له ﷺ رد عينه كما في الحديث الصحيح ، والله أعلم .

سألت في هذا الحديث عن رأيي على رأيي

في هذا الحديث عن رأيي على رأيي

في هذا الحديث عن رأيي على رأيي

في هذا الحديث عن رأيي على رأيي

تقبيل اليد احترامًا وتقديرًا^(١)

قال فضيلة الشيخ محمد نور سيف فى قضية تقبيل اليد :

ووفد عبد القيس منه قبلوا	يديه مع رجليه حين أقبلوا
كذا اليهوديان لما قدما	عليه قبلاهما وأسلما
صلى عليه ربنا وسلمما	والآل والصحب ومن له انتمى
ولم يزل ذلك من فعل السلف	يرويه عنهم جماهير الخلف
وبالخصوصية لم يرد أثر	فمدعيها الآن يلقم الحجر
نظمها ابن أخت خالتي لمن	أراد أن يعرف ما جاء فى السنن

(١) هذا و للعلامة الشيخ الغمارى (رحمه الله) رسالة فى جواز التقبيل تسمى :
« إعلام النبيل بجواز التقبيل » وذكر الشيخ الشنقيطى عن ابن بطلال قوله : اختلفوا فى تقبيل
اليد فكرهه مالك إذا كان على وجه التكبر والتعظيم ، وأما إذا كان على وجه القربة إلى الله
تعالى لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز .

وقال النووى : تقبيل يد الرجل لزمهده وصلاحه أو علمه أو شرفه أو صيانتة أو نحو ذلك
من الأمور الدينية لا يكره ، بل يستحب ، فإن كان لغناه أو شوكتة أو جاهه عند أهل الدنيا
فمكروه شديد الكراهة ولا يجوز ، ومما يدل على جواز تقبيل اليد ما أخرجه البخارى فى
الأدب المفرد وأبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما أنهم لما رجعوا من الغزو حيث فروا
قالوا : نحن الفرارون ، قال : لا بل أنتم العكارون وأنا فئة المؤمنين ، قال : فقبلنا يده ، وما
أخرجه البيهقى فى الدلائل : أن أبا لبابة قبل يد رسول الله ﷺ حين تاب الله عليه .

وأيضا ما ثبت عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قبل يد عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما حين أخذ بركابه وقال له : هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا ﷺ كما قال له ابن عباس
هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فضل القبر الشريف على الكون

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحوها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكى مأواها
نقل القاضى عياض (رحمه الله) فى شرح مسلم الإجماع على أن
محل قبر المصطفى ﷺ أفضل البقاع الأرضية حتى الكعبة .

السرور بالمولد النبوى

جاء فى البخارى أنه يخفف عن أبى لهب كل يوم اثنين بسب
عتقه لثوية جاريته لما بشرته بولادة المصطفى ﷺ (انظر البخارى
كتاب النكاح باب «وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم ويحرم من
الرضاعة ما يحرم من النسب») .

قلت : ويقول فى ذلك الحافظ شمس الدين بن ناصر
الدمشقى :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمُّه	بتبت يده فى الجحيم مخلداً
أتى أنه فى يوم الاثنين دائماً	يخفف عنه للسرور بأحمداً
فما الظن بالعبد الذى كان عمره	بأحمد مسروراً ومات موحداً

رثاء

قالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا	وكنت بنا برأ ولم تك جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً	ليبك عليك اليوم من كان باكيا
صدقت وبلغت الرسالة صادقاً	ومت صليب العود أبلغ صافيا
فديّ لرسول الله أمي وخالتي	وعمي وخالي ونفسي وماليا
لعمرك ما أبكى النبي لفقده	ولكن لما أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد	وما خفت من بعد النبي مطاويا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا	سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية	وأدخلت جناتٍ من العدن راضيا
أفاطم صلى الله ربُّ محمد	على جدث أمسى بطيبة ثاويا

لصفية بنت عبد المطلب أو أروى (استيعاب - طبقات) .

فدو العرش محمود وهذا محمد

قال حسان في الديوان :

أغر عليه للنبوّة خاتم	من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه	إذا ما قال في الخمس المؤذن : أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فدو العرش محمود وهذا محمد

نبى أتنا بعد يأس وفترة
من الرسل والأوثان فى الأرض تعبدُ
فأمسى سراجًا مستنيرًا وهاديًا
يلوح كما لاح الصقيل المهند
فأنذرنا نارًا وبشر جنّةً
وعلمنا الإسلام فالله نحمدُ

النبى ﷺ هو ركننا وملاذنا وعصمتنا

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

يا ركن معتمد وعصمة لائذٍ	وملاذ منتجع وجار مجاور
يا من تخيره الإله لحقه	فحياه بالخلق الزكى الطاهر
أنت النبى وخير عصبة آدم	يا من يجود كفيض بحر زاخر
ميكال معك وجبرائيل كلاهما	مدد لنصرك من عزيز قادر

(الإصابة والروض الأنف - «غزوة بدر»)

تسبيح الطعام في كفه

صلى الله عليه وآله وسلم

جاء في مولد البرزنجي (رحمه الله) أن الطعام والحصباء
سبحت في كفه عليه السلام ، وقد انتقدت على من قرأ ذلك وقلت له :
الأولى أن يقال : أنه سمع تسبيح الطعام والحصباء في بطن كفه ،
أما مجرد التسبيح فليس بذى بال عندي ، فجلال المعجزة عن
عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : « ولقد كنا نسمع تسبيح
الطعام وهو يؤكل » رواه البخاري في كتاب المناقب - باب
علامات النبوة ، نسخة الفتح .

توسل

قد أتينا إلى حماك السنى
واتجهنا إلى الحمى بانكسار
وحططنا الرحال فى باب عز
ثم قال :

يا ملاذ الورى وخير عيان
لك وجهى وجهت يا أبيض الو
حاش لله أن أكون مضاقا
وأتيت الحمى بظن جميل
كيف لا أبلغ المرام وأنت الـ
ما جوابى إذا رجعت ، وقالوا
أفترض الرجوع لى مثلما جئتـ
قد توسلت عند بابك بالصد
وبفاروقك الضجيع الذى قد
وبعثمان ذى الحياء شهيد الدا
وبيعسوبك الإمام على

ورجاء لكل دان قصى
جه فوجه إليه وجه الولى
بعد أن جئت للمقام العلى
وسلوك على الصراط السوى
باب لله ذى العطاء الوفى؟
ما الذى نلت من جناب النبى؟
ك صفر اليدين يا ذا الصفى؟
يق والصاحب التقى النقى
كنت ترضى بحكمه المرضى
ر من حاز كل وصف بهي
قالع الباب فى الوغى الخبرى

هذه القصيدة للإمام العارف بالله الشيخ عمر اليافى الخلوتى - المتوفى سنة

١٢٣٣ هـ .

على أى شىء كانوا يؤذنون فى العهد النبوى

اختلف أهل النقل : هل كانوا يؤذنون بين يدى النبى ﷺ أو على منار ؟ .

والذى نقله أصحابنا المالكية : أنه على المنار ، نقله عبد الرحمن بن القاسم فى « المجموعة » وفى « المرقاة » عن ابن قاسم عن مالك أن الأذان فى زمنه عليه السلام كان على المنارة - وفى المدخل لأبى عبد الله بن الحاج : السنة فى أذان الجمعة إذا صعد الإمام على المنبر أن يكون المؤذن على المنار ، كذلك كان فى عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر ، ا . ه .

التبرك بعصا النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

وفى « جمع الجوامع » عازياً للبيهقى وابن عساكر عن محمد ابن سيرين ، عن أنس بن مالك : أنه كان عنده عُصْية لرسول الله ﷺ فمات فدفنت معه بين جنبيه وقميصه (١) .

(انظر ص ١٠ من الجزء السابع من كنز العمال) .

(١) لا شك أن التبرك بذات النبي ﷺ وآثاره مشروع لما ورد فى ذلك من الأخبار والأحاديث الصحيحة وما ثبت عن أصحابه رضى الله عنهم أنهم كانوا يتبركون بآثاره ﷺ ، ومن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه ، من حديث صلح الحديدية فيه : « ... فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلده ... وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه ... » الخ .

ومنها ما فعله معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه حين طلب شراء بردة النبي ﷺ من كعب ابن زهير ، فقال : لا أؤثر بثوب رسول الله أحداً فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألفاً ، ولما حضره الموت أوصى أن يكفن فيها ، وكان عنده قلادة أظفار النبي ﷺ فأوصى أن تسحق وأن تجعل فى عينيه ، / [كتاب الاشارات إلى أماكن الزيارات للحوارنى] . فكل هذا ، يدل على أن رسول الله ﷺ ذاته وما انفصل من جسده من شعر وعرق ولباس ، وما استعمله من الأواني يجوز التبرك به وطلب الشفاء به ، ويرجى بسببه الفائدة فى الدنيا والآخرة .

حكم وفوائد من شق صدره الشريف

صلى الله عليه وآله وسلم

الفائدة الأولى : قال العلامة ابن المنير : وشق الصدر له ﷺ وصبره عليه من جنس ما ابتلى الله تعالى به الذبيح وصبر عليه بل هذا أشق وأجل لأن تلك معاريض ، وهذه حقيقة وأيضاً فقد تكرر ووقع له وهو صغير يتيم بعيد عن أهله ﷺ .

الفائدة الثانية : سئل شيخ الإسلام أبو الحسن السبكي (رحمه الله تعالى) عن العلة السوداء التي أخرجت من قلبه ﷺ حين شق فؤاده ، وقول الملك : هذا حظ الشيطان منك ، فأجاب (رحمه الله تعالى) : بأن تلك العلة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها ، فأزيلت من قلبه ﷺ فلم يبق فيه مكان لأن يلقي الشيطان فيه شيئاً .

هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ ، وأما الذي نفاه الملك فهو أمر في الجبلية البشرية فأزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في القلب ، قيل له : فلم خلق الله تعالى هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان يمكن أن لا يخلقه الله تعالى فيها ؟ فقال : إنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلق تكملة للخلق الإنساني ، ولابد منه ، ونزعه كرامة ربانية طرأت .

وقال غيره : لو خلق الله نبيه ﷺ كذلك لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته ﷺ فأظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر ﷺ .

الفائدة الثالثة : قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : الحكمة فى شق صدره ﷺ مع القدرة على أن يمتلىء قلبه إيماناً وحكمة من غير شق صدره ﷺ الزيادة فى قوة اليقين لأنه أعطى برؤيته شق صدره وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان ﷺ أشجع الناس حالاً ومقالاً ، ولذلك وصفه الله بقوله تعالى : « ما زاع البصر وما طغى » .

الفائدة الرابعة : فى الحكمة فى تكرره ، قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) بعد أن ذكر الأولى والثالثة والرابعة : ولكل من الثلاث حكمة ، فالأولى كانت فى زمن الطفولية لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عند البعث زيادة فى إكرامه لتلقى ما يلقي إليه بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع عند إرداة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة .

قال الحافظ الشامى : قلت : وسئلت عن حكمة المرة الثانية مع ذكره إياها فى كتاب التوحيد جازماً بها : ويحتمل أن يقال : لما كان التمييز فى ثامن سن التكليف شق صدره ﷺ وقُدس ، حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال ، والله أعلم .

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) : ويحتمل أن تكون

الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة ، كما هى شرعه ﷺ .

وقال ابن أبى جمرة (رحمه الله تعالى) : وإنما غسل قلبه ، وقد كان مقدساً وقابلاً لما يلقى فيه من الخير ، وقد غسل أولاً وهو صغير السن ، وأخرجت منه العلقة إعظاماً وتأهباً لما يلقى هناك » يعنى فى المعراج » وقد جرت الحكمة بذلك فى غير موضع ، مثل الوضوء للصلاة لمن كان هناك متوضئاً ، لأن الوضوء فى حقه إنما هو إعظام وتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته ، ولذلك الزيادة على الواحدة والثنتين إذا أسبغ بالأولى ، لأن الأجزاء قد حصل ، وبقي ما بعد الإسباغ إلى الثلاث : إعظاماً ، وكذلك غسل الباطن هنا .

وقد قال تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » فكان الغسل له ﷺ من هذا القبيل ، وإشارة لأتمه بالفعل بتعظيم الشعائر كما نص لهم عليه بالقول .

وقال البرهان النعمانى (رحمه الله تعالى) : قد حسن لداخل الحرم الشريف الغسل ، فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة ، فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك ، وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن فى عالم المعاملات ، ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات ، أنيط الغسل بباطن البدن فى الحقيقات . وقد عرج به لتعرض عليه

الصلاة ، وليصلى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطهور ، فقدس ظاهراً وباطناً ﷺ .

فإن قلت : إن الله خلقه نوراً متنقلاً من الأنبياء ، وفي صفاء النور ما يغنى عن التطهير الحسى ، ثم إن المرة الأولى لم تكن كافية فى تطهير الباطن ، ويلزم عليه أنه بعد النبوة كان فيه شىء يحتاج إلى ذلك ، وهو منزّه عن أدران البشرية ، قلت : الأولى ، لعلم اليقين ، والثانية لعين اليقين ، والثالثة لحق اليقين .

الفائدة الخامسة : قال السهيلي : وخص الذهب لكونه مناسباً للمعنى الذى قصد به ، وإن نظرت إلى لفظ الذهب ، فمطابق للذهاب وإن الله تعالى أراد أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيراً ﷺ وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شىء وأصفاه .

الفائدة السادسة : يؤخذ من غسل قلبه ﷺ بماء زمزم أنه أفضل المياه وبه جزم الإمام البلقيني قال ابن أبى جمرة : إنما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأريد بذلك بقاء بركته ﷺ فى الأرض .

وقال غيره : لما كان ماء زمزم أصل من أوتيّه إسماعيل ﷺ وقد ربي عليه ونما عليه قلبه وجسده وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ناسب أن يكون ولده الصادق المصدق كذلك ، ولما فيه

من الإشارة إلى اختصاصه بذلك بعده ، فإنه قد صارت الولاية إليه
فى الفتح ، فجعل السقاية للعباس ولده وحجابه البيت لعثمان بن
أبى شيبة وعقبه إلى يوم القيامة .

الفائدة السابعة : الحكمة فى غسل صدره ﷺ بماء الثلج والبرد
- هى مع ما فيها من الشفاء وعدم التكدر بالأجزاء الترابية التى هى
محل للأرجاس وعنصر الأكدار - الإيماء إلى أن الوقت يصفو له
ولأمته ، ويروق لشريعته الغراء وسنته والإشارة إلى ثلوج صدره
(أى انشراحه) بالنصر على أعدائه والظفر بهم ، والإيذان ببرودة
قلبه (أى طمأنينته) على أمته بالمغفرة لهم والتجاوز عن
سيئاتهم .

وقال ابن دحية : إنما غسل قلبه بالثلج لما يشعر به من ثلج
اليقين إلى قلبه ، وقد كان ﷺ يقول بين التكبير والقراءة : « اللهم
اغسلنى من خطاياى بالثلج والبرد » وأراد تعالى أن يغسل قلبه بماء
حمل من الجنة فى طست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً
ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها فيكون فى الدنيا أزهد وعلى
دعوة الخلق إلى الجنة أحرص ، ولأنه كان له أعداء يتقولون عليه
فأراد الله تعالى أن ينفى عنه طبع البشرية من ضيق الصدر وسوء
مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعة ، ويفارقه
الضيق .

كما قال تعالى : « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون »

فغسل قلبه غير مرة فصار بحيث إذا ضرب أوشج رأسه أو كسرت رباعيته — كما فى يوم أحد - يقول : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

الفائدة الثامنة : اختلف فى تفسير الحكمة ، فقيل : إنها العلم المشتمل على معرفة الله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس ، وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده ، والحكيم من حاز ذلك .

قال الإمام النووى : هذا ما صفا لنا من أقوال كثيرة : انتهى .
وقد تطلق الحكمة على القرآن ، وهو مشتمل على ذلك كله ، وعلى النبوة كذلك ، وقد تطلق على العلم فقط ، وعلى المعرفة فقط ، ونحو ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : أصبح ما قيل فيها : أنها وضع الشيء فى محله أو الفهم فى كتاب الله تعالى « وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الإيمان ، وقد لا توجد ، وعلى الأول قد يتلازمان لأن الإيمان تدل عليه الحكمة .

خطبة عمر بن الخطاب لما سمع بوفاة الحبيب

صلى الله عليه وآله وسلم

روى أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) سَمِعَ بعد موت رسول الله ﷺ يبكى ويقول :

« بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد كان جذع تخطب الناس عليه ، فلما كثر الناس اتخذت منبراً لتسمعهم ، فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك أولى بالحنين إليك لما فارقتهم .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته ، فقال عز وجل : «من يطع الرسول فقد أطاع الله» .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله . لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم ، فقال عز وجل : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم . . . » الآية .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل

النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك ، وهم بين أطباقها يعذبون ،
يقولون : «يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول» .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه
الله حجرًا تتفجر منه الأنهار ، فماذا بأعجب من أصابعك حين
نبت الماء منها ﷺ !

بأبى أنت وأمى يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله
الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، فماذا بأعجب من البراق حين
سريت عليه إلى السماء السابعة ، ثم صليت الصبح من ليلتك
بالأبطح ﷺ !

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله
إحياء الموتى ، فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك
وهى مشوية ، فقالت لك الذراع : لا تأكلنى فإنى مسمومة .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال :
« رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا » ولو دعوت علينا
بمثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطىء ظهرك وأدمى وجهك وكسرت
رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرًا ، فقلت : « اللهم اغفر لقومى
فإنهم لا يعلمون » .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد اتبعك فى قلة سنئك

وقصر عمرك ما لم يتبع نوحًا في كثرة سنيه وطول عمره ، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لو لم تجالس إلا كفؤًا لك ما جالستنا ، ولو لم تنكح إلا كفؤًا لك ما نكحت إلينا ، ولو لم تؤاكل إلا كفؤًا لك ما واكلتنا فلقد « والله » جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ، ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ، ووضعت طعامك على الأرض ، ولعقت أصابعك تواضعًا منك صلى الله عليك وسلم .

قلت : ذكر هذه الخطبة الإمام الغزالي ، وابن الحاج في المدخل ولم يعزها واحد منهم إلى أحد ^(١) .

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : هذا الحديث غريب بطوله وهو معروف من أوجه أخرى فحديث حنين الجذع متفق عليه وكذلك نبع الماء من بين أصابعه ﷺ وحديث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح ، وحديث كلام الشاة المسمومة رواه أبو داود ، وحديث : دمي وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه ، وحديث اللهم اغفر لقومي . . الخ رواه البيهقي في دلائل النبوة ، وحديث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل ، وحديث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه ، وحديث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد والبخاري في حديث أنس : ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط ، وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم . انظر هامش الإحياء ج ١ ص ٣٦٨ .

معنى قوله عليه الصلاة والسلام

أنتم أعلم بأمور دنياكم

قال الشيخ ابن المبارك فى الإبريز ، يسأل شيخه الإمام سيدى عبد العزيز الدباغ :

سألته (رضى الله عنه) عن حديث تأبير النخل - الذى هو فى صحيح مسلم ، حيث مر عليهم وهم يؤبرون النخل - فقال عليه الصلاة والسلام : ما هذا ؟ فقالوا : بهذا تصلح يا رسول الله . فقال ﷺ : لو لم تفعلوا لصلحت ، فلم يؤبروها ، فجاءت شيصاً غير صالحة ، فلما رآها عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال : ما بال هذه التمر هكذا ؟ قالوا : يا رسول الله قلت لنا كذا وكذا ، فقال ﷺ : أنتم أعلم بدنياكم .

فقال (رضى الله عنه) : قوله ﷺ : لو لم تفعلوا لصلحت ، كلام حق وقول صدق ، وقد خرج منه هذا الكلام على ما عنده من الجزم واليقين ، بأنه تعالى هو الفاعل بالإطلاق ، وذلك الجزم مبنى على مشاهدة سريان فعله تعالى فى سائر الممكنات مباشرة بلا واسطة ولا سبب بحيث إنه لا تسكن ذرة ولا تتحرك شعرة ولا يخفق قلب ولا يضرب عرق ولا تطرف عين ولا يومىء صاحب إلا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة . وهذا أمر يشاهده النبى ﷺ كما يشاهد غيره من سائر المحسوسات ، ولا يغيب

ذلك عن نظره لا فى اليقظة ولا فى المنام لأنه ﷺ لا ينام قلبه (الذى فيه هذه المشاهدة) ولا شك أن صاحب هذه المشاهدة تطيح الأسباب من نظره ، ويرقى عن الإيمان بالغيب إلى الشهود والعيان فعنده فى قوله تبارك وتعالى : « والله خلقكم وما تعملون » ، مشاهدة دائمة لا تغيب ويقين يناسب هذه المشاهدة ، وهو أن يجزم بمعنى الآية جزماً لا يخطر معه بالبال نسبة الفعل إلى غيره تعالى ، ولو كان هذا الخاطر قدر رأس نملة . ولا شك أن الجزم الذى يكون على هذه الصفة تخرق به العوائد وتنفل به الأشياء ، وهو سر الله تعالى الذى لا يبقى معه سبب ولا واسطة ، فصاحب هذا المقام إذا أشار إلى سقوط الأسباب ونسبة الفعل إلى رب الأرباب ، كان قوله حقاً وكلامه صدقاً . وأما صاحب الإيمان بالغيب فليس عنده فى قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » مشاهدة بل إنما يشاهد نسبة الأفعال إلى من ظهرت على يده ولا يجذبه إلى معنى الآية . ونسبة الفعل إليه تعالى بالإيمان الذى وهبه الله تعالى له ، فعنده جاذبان : أحدهما من ربه ، وهو الإيمان الذى يجذبه إلى الحق ، وثانيهما من طبعه ، وهو مشاهدة الفعل من الغير الذى يجذبه إلى الباطل ، فهو بين هذين الأمرين دائماً ، لكن تارة يقوى الجاذب الإيماني ، فتجده يستحضر معنى الآية السابقة ساعة وساعتين ، وتارة يقوى الجاذب الطبعي فتجده يغفل عن معناها اليوم واليومين .

وفى أوقات الغفلة ينتفى اليقين الخارق للعادة ، فلهذا لم يقع ما أشار إليه النبي ﷺ لأن الصحابة (رضى الله عنهم) فاتهم اليقين الخارق الذى اشتمل عليه باطنه ﷺ وبحسبه خرج كلامه الحق وقوله الصدق ، ولما علم ﷺ العلة فى عدم وقوع ما ذكر وعلم أن زوال تلك العلة ليس فى طوقهم (رضى الله عنهم) : أبقاهم على حالتهم ، وقال : « أنتم أعلم بديناكم » .

قال ابن المبارك (رحمه الله) بعد هذا الكلام ، قلت : فانظر وفقك الله هل سمعت مثل هذا الجواب أو رأيت مسطوراً فى كتاب مع إشكال الحديث على الفحول من علماء الأصول؟ (١) .

(١) خلاصة ما يفهم من كلام صاحب الإبريز : أن النبي ﷺ قال لهم ذلك بحسب ما عنده من اليقين والتوكل على الله فيكون المعنى لو لم تفعلوا (أى متوكلين وموقنين بأنه تعالى هو الفاعل لكل شيء فى مقام مشاهدتكم لسريان فعله سبحانه فى الأشياء) لصلحت ، فلما علم منهم ﷺ أنهم لا يطبقون هذه الحالة تركهم رحمة بهم وقال : أنتم أعلم بشئون ديناكم ، فيكون كلامه ﷺ خرج مخرج الحق والصدق فحاشاه ﷺ غير ذلك ، وأما قوله : أنتم أعلم بشئون ديناكم فهذا أفعّل تفضيل لا مفاضله فيه بين النبي ﷺ وأصحابه وهو بمنزلة ترك العلم بأمور الدنيا إليهم حتى لا يكون فى ذلك مشقة عليهم ، وهذا أحسن ما يقال فى هذا الحديث تنزيهاً للنبي ﷺ عن الكذب فى أقواله وأفعاله فهو ﷺ كما وصفه ربه : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » والله أعلم .

فائدة [عدد الذين بالوا فى حجر النبى] (١)

(صلى الله عليه وآله وسلم)

بال فى حجر النبى ﷺ صبية نظمها بعضهم ، فقال :

قد بال فى حجر النبى أطفال حسن حسين ، ابن الزبير بالوا
كذا سليمان بن هشام وابن أم قيس ، جاء فى الختام

(اهـ . موهبه ذى الفضل - باب النجاسة)

فائدة (كم سجد الرسول ﷺ للسهو ؟ وهل يسهو النبى ؟)

سجد النبى لسهوه خمساً أتت مثل القمر
قل شك فى عدد الركوع وخامس فاق الزهر
وأتى السلام من اثنتين كذا الثلاث هى الغرر
ترك التشهد قائماً من ركعتين أتى الخبر

(بجيرمى على الخطيب ج ٢ / ص ١٠)

(١) عاب بعض المعاصرين ذكر المؤلف (أكرمه الله) لهذا الفائدة مدعياً أن الاهتمام بمثل هذه الأمور لا فائدة فيه وهناك الأولى من ذلك من أمور جهاده ﷺ وتربيته لأمتيه وغير ذلك ، ونقول له : إن أهل العلم والفضل لم يتركوا شيئاً مما يتعلق بالنبى ﷺ وآثاره إلا ذكروه وبينوه لعل أن يكون هناك حكم من الأحكام يتصل بذلك ، وفى الحديث الصحيح أن رجلاً من اليهود : قال لسلمان الفارسى : علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة فقال : نعم ، الخ فتنبه . اهـ .

وهل يسهو النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

يا سائلى عن رسول الله كيف سها

والسهو من كل قلب غافل لاهى

قد غاب عن كل شىء سره فسها

عما سوى الله ، فالتعظيم لله

اهـ . بجيرى على الخطيب ج ٢ ص ١٠٠ .

أفضل المياه

وأفضل المياه ماء قد نبع من بين أصابع النبي المتبع
يليه ماء زمزم فالكوثر فنيل مصر فتليه الأنهر

وإنما كان ماء كفه ﷺ أفضل وذلك لوجهين :

الأول : أن الرسول ﷺ أفضل المخلوقات كلها وأجلها على الإطلاق فكل ما خرج منه تابع له فى الأفضلية ، ولذا كانوا يتبركون بفضلاته ﷺ .

الثانى : أن هذا الماء حديث عهد بربه وكان الرسول ﷺ يخرج رأسه عند نزول المطر ويقول : « مرحبًا بماء حديث عهد بربه » هذا وقد أجمعوا على أن هذا الماء أفضل المياه ، وفى خروج الماء من كفه صلى الله عليه وآله وسلم معجزة له ولذا يقول :

إن كان موسى سقى الأسباط من حجر

فإن في الكف معنى ليس في الحجر

وأما سبب أفضلية زمزم على الكوثر فلأن الله تعالى اختاره ليلة
الإسراء لغسل قلب حبيبه محمد ﷺ .

اهـ . تقرير الوالد .

ادخلوها من حيث قال حسان

روى البيهقي عن ابن عمر (رضى الله عنه) قال : لما دخل ﷺ
عام الفتح (أى لما أراد الدخول) رأى النساء يلطمن وجوه الخيل
فتبسم والتفت إلى أبى بكر (رضى الله عنه) وقال : يا أبا بكر
كيف قال حسان ؟ فأنشده قوله :

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
تنازعن الأعنة مسرجات ويلطمهن بالخُمُر النساء

فقال ﷺ : « ادخلوها من حيث قال حسان » ا . هـ .

(انظر السيرة النبوية والأثار المحمدية للسيد زينى دحلان) .

فائدة

الجن الذين استمعوا قراءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وعدد الجن الذين استمعوا قراءة النبي فيما جمعوا
هم سبعة أسماءهم يا ذاكر حس ، ومر ، وشاطر ، وناصر
وردان ، والأودس ، ثم الأرجب حكاه في الفتح الإمام الأنجب

[محمد بن عبد الرحمن الأهدل المروعي]

الخمسـة الذين نقضوا الصحيفة

وخمسـة من السـراة نقضوا صحيفة الظلم ، وأمرًا رفضوا
وهم : زهير وهشام العامري كذاك مطعم وزمعة السري
كذا أبو البختري قوم أسد مخزى أبي جهل الشقي الأنكد

اجتمعت قريش وكتبوا صحيفة لمقاطعة بني هاشم أو
يسلموا النبي ﷺ للقتل ، فدخلت بنو هاشم - الشعب -
ومعهم بنو المطلب ، فحاصرتهم قريش ثم اجتمع خمسـة
من عقلاء قريش ، وهم المذكورون آنفًا ، ونقضوها ومن
العجيب أن الذين كتبوا الصحيفة خمسـة والذين نقضوها

خمسة ويقول في هذا البوصيرى :

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة إن كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح فعلهم والمساء

(١ . هـ عن والدى عن الشيخ محمد العربى التبانى عن شيخه)

خلاصة مفيدة فى الصلاة والسلام على الحبيب

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لخصت فى ذلك هذه المواطن مع تقسيمها وترتيبها (الأماكن التى تستحب الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فيها) :

المرور بالمساجد ، ورؤيتها ، ودخولها والخروج منها ، رؤية الكعبة ، فوق الصفا والمروة ، استلام الحجر ، الملتزم ، مسجد الخيف ، عند رؤية المدينة المنورة ، وزيارة قبره ووداعه ورؤية آثاره ومواطنه ومواقفه مثل بدر ، والسفر وركوب الدابة ، وعند الخروج إلى السوق ، ودخول المنزل .

العبادات :

الفراغ من الوضوء والتيمم ، والغسل من الجنابة والحيض ، وفى الصلاة (عقبها) ، عند الإقامة ، والتشهد ، والقنوت وعند القيام للتهجد وبعده ، وبعد إجابة المؤذن ، وخطبة الجمعة ، العيدين ، الاستسقاء - الكسوفين - تكبيرات العيدين - عند الفراغ من التلبية ، أول الدعاء - وسطه - آخره - ختم القرآن - وحفظه - كل مجتمع للذكر - التوبة من الذنب .

العادات :

القيام من المجلس - لقاء الإخوان - تفرق القوم - خدر الرجل - العطاس - النسيان - استحسان الشيء - أكل الفجل - نهيق الحمار

- الذبح - البيع - كتابة الوصية - الخطبة للزوج - قلة النوم - طنين
الأذن - نشر العلم - قراءة الحديث - الإفتاء - الإعطاء - افتتاح كل
كلام .

الأحوال الطارئة من المصائب :

من اتهم وهو برىء - ما يعرض من الحوائج - الطاعون - الغرق -
الفقر - الشدائد - الهم - الكرب - الجنازة - إدخال الميت القبر .
الأزمان :

يوم الجمعة ، ليلتها ، السبت ، الأحد ، الاثنين ، الثلاثاء ،
شهر شعبان ، عشية عرفة . صباحاً ومساءً .

(كل ما ذكرناه . من نزهة الناظرين)

انتهى ملخصاً مرتباً منى ، و (من القول البديع ص ١٧٠)

حول عتاب الله لنبيه

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الشيخ ابن المبارك فى الإبريز يسأل شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ :

وقد سألته (رضى الله عنه) عن قوله تعالى : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » كيف عاتب الله نبيه ﷺ وهو سيد العارفين وإمام الأنبياء والمرسلين ؟

فأجابنى (رضى الله عنه) بهذا المعنى ، فقال : إنه عليه الصلاة والسلام لما شاوره زيد فى طلاق زينب وأمره بإمساكها وتقوى الله فى معاشرتها ، وكان يعلم عليه الصلاة والسلام أنها ستصير إليه وأخفى ذلك ولم يظهره رجع على نفسه بالعتاب ، وقال فى خاطره : « تخشى الناس والله أحق أن تخشاه » وجعل يعاتب نفسه بهذا فى الباطن ، فأظهر الله سبحانه ما فى باطنه عليه الصلاة والسلام وأنزل الوحي به .

قال (رضى الله عنه) : ومن فتح الله عليه وتأمل الكتب السماوية ، وجد فيها نور الكلام القديم ، ونور طبع الحالة التى يكون عليها النبى عند نزول الوحي عليه .

ثم قال رضى الله عنه : وأهل الفتح (رضى الله عنهم) إذا تعاطوا تفسير القرآن فيما بينهم ، لم يكن لهم إلا أسباب النزول ، وليس

المراد بها أسباب النزول التى فى علم الظاهر ، بل الأحوال والأنوار التى تكون عليها ذات النبى ﷺ وقت النزول ، فيسمع منهم فى ذلك ما لا يكيف ، لأنهم يخوضون فى البحور التى فى باطنه ﷺ .

ثم قال : وسألته أيضًا عن قوله تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » .

فأجابنى (رضى الله عنه) بما يقرب من هذا المعنى ، فقال : إن النبى ﷺ أمره الله تعالى أن يعفو وأن يصفح الصفح الجميل وأن يعاشر بالتي هى أحسن ويدفع بها حتى قال له تعالى : « ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » فكانت هذه عادته صلى الله عليه وآله وسلم مع الخلق .

فلما جاءه أهل النفاق واستأذنوه فى التخلف وذكروا أعدارهم أذن لهم فى التخلف ، وهو يعلم نفاقهم للرحمة التى فيه ، ولما أمره الله به من المعاشرة بالتي هى أحسن ، وخضه عليها فى غير ما آية ، سلك معهم مسلك الظاهر ، ثم تحدث فى باطنه بنزول آية تفضحهم ، وإنما منعه هو من أن يباشر فضيحتهم للرحمة التى فيه ، ووصية الله له ، فتحدث فى باطنه بفضيحتهم على وجه يبين كونها من الله لا منه ، للحياء الذى فيه ﷺ مثل قوله تعالى : « إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق »

فأحب أن تنزل الآية في صورة العتاب له لتكون أبعد عن التهمة وأدخل في محض النصيحة وأزجر لهم عن الاشتغال بالنفاق مع النبي ﷺ مرة أخرى ، فإن الله تعالى هو وكيله على من ينافقه ، وخصيمه وحجيجه فتضمنت صورة هذا العتاب مصالح شتى وفي الباطن لا عتاب وإنما ناب الحبيب عن حبيبه في المخاصمة لا غير .

قال (رضى الله عنه) : ولا ينبغي لأحد أن يظن أن النبي ﷺ كان لا يعلم الصادق من الكاذب من المعتذرين وكيف يخفى عليه ذلك ﷺ والمفتوح عليه في هذا الزمان يعلم الصادق من الكاذب منهم في ذلك الزمان ، وأهل الفتح أجمعون ، إنما نالوا ما نالوا بمحبته ﷺ فسقوا بمقدار شعرة من نوره ﷺ وقد سبق أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فكيف كان علم النبي ﷺ ؟ .

قاله ابن المبارك (رحمه الله تعالى) قلت : وهذا التقرير في الآية أحسن ما قيل فيها عند من تأمل كلام المفسرين .

وقد قال البيضاوى (عفا الله عنا وعنه) : عفا الله عنك ، كناية عن خطئه ﷺ في الإذن فإن العفو من روادفه .

قال شيخ الإسلام زكريا في حاشيته : تبع فيه الزمخشري ، وقال الطيبي : أخطأ الزمخشري في هذه العبارة خطأ فاحشاً ولا أدري كيف ذهب عنه أن في أمثال هذه الإشارات وهى تقديم العفو -

إشعارًا بتعظيم المخاطب وتوقيره وتوقير حرمة ، وهو كما قال : لأن
مثل ذلك لا يقتضى تقدم ذنب ، بل يدل تصديره على التعظيم ،
كما تقول لمن تعظمه : عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى ؟ ورضى
الله عنك ما جوابك عن كلامى ؟

ولهذا قال التفتازانى : « ما كان ينبغى للمصنف (يعنى
الزمخشري) أن يعبر بهذه العبارة الشنيعة بعد ما راعى الله مع
رسول الله ﷺ تقديم العفو ، وذكر الإذن المنبىء عن علو المرتبة
وقوة التصرف ، وإيراد الكلام فى صورة الاستفهام وإن كان القصد
إلى الإنكار على أن قولهم « عفا الله عنك » قد يقال عند ترك
الأولى ، والأفضل ، بل فى مقام التبجيل والتعظيم ، مثل : عفا الله
عنك ، ما صنعت فى أمرى ؟ ا . هـ .

وقال الحافظ السيوطى فى حاشيته : تبع فى هذه العبارة السيئة
الزمخشري وقد قال صاحب «الانتصاف» هو بين أمرين إما أن لا
يكون هذا المعنى مرادًا فقد أخطأ أو يكون مرادًا لكن كنى الله عنه
إجلالاً ورفعاً لقدره ﷺ أفلا تأدب بآداب الله تعالى ، لاسيما فى
حق المصطفى ﷺ ؟ ثم نقل كلام الطيبي والتفتازانى ثم قال :
وقال القاضى عياض فى الشفاء : هو استفتاح كلام ، بمنزلة
أصلحك الله وأعزك الله ، وقد ألف فى هذا الموضوع رادًا على

الزمخشري «الصدر : حسن بن محمد بن صالح النابلسي»
 كتاباً سماه « جنة الناظر وجنة المناظر فى الانتصار لأبى القاسم
 الطاهر » ﷺ ولهذه النكتة وأمثالها ، نهى أهل الدين والورع عن
 مطالعة الكشاف وإقراءه وقد ألف فى ذلك تقى الدين السبكى
 كتاباً سماه « سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف » فانظره فى تلك
 الحاشية فقد نقله برمته والله تعالى أعلم .

تعليق حول آيات العتاب للنبي ﷺ

أولاً: النبى ﷺ صرح القرآن ببشريته فى قوله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى
 أنما إلهكم إله واحد ﴾ الآية . وهنا نلاحظ امتياز بشريته ﷺ عن غيره بالوحي فهو بشر يوحى
 إليه ، والذي نقره أنه ﷺ لا يخرج فى جميع حالاته عن دائرة الوحي ، فإن اجتهد فى أمر من
 الأمور لم ينزل فيه حكم وجاء اجتهاده ﷺ - بطبيعة بشريته - على غير مراد الوحي جاء إليه
 الأمر بالتوجيه والإرشاد من قبل الوحي ، وإن كان اجتهاده ﷺ موافقاً لمراد الوحي أقره الله
 عليه فيكون ﷺ فى مجموع حالاته مع الوحي الإلهي .

. = ثانياً : حكم النبى ﷺ فى مسألة لم ينزل فيها وحى أو تصرفه أو قوله أو فعله إذا جاء
 الوحي بخلافه فلا نسمى هذا معصية أو ذنباً لأنه لا يتأتى ذلك إلا إذا كان هناك نص خالفه ،
 أما اجتهاده المحض ولو لم يؤده إلى مراد الوحي فهو مأجور عليه ﷺ .

ثالثاً : هذا الاجتهاد الذى أداه إلى حكم جاء الوحي معاتباً له فيه لا ينافى عصمته ﷺ
 وإنما الذى ينافيها هو الذنب أو المعصية فذلك يتزده عنه مقامه ﷺ وحاشا لنبي ورسول
 اصطفاه الله سبحانه أن يقع فى ذنب أو معصية فالله سبحانه برأه من ذلك : ﴿ وما ينطق عن
 الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ فساعة أن ينطق النبى ﷺ فى حكم أو مسألة لا يمكن أن
 يكون نطقه عن هوى فى نفسه فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى أبداً .

رابعاً : الذين يستدلون لون بلفظ العفو فى قوله تعالى : « عفا الله عنك » الآية أو بالعتاب
 فى آياته عموماً على وجود المخالفة أو المعصية استدلالهم باطل لما ذكرنا لأن ذلك يمكن
 أن يحمل على المبالغة فى الإرشاد للنبي ﷺ أو على كمال العناية به أو أن الخطاب له
 والمقصود أمته ﷺ فالله سبحانه يخاطب الأمة ويرشدها ويربها فى شخص نبيها ﷺ يقول =

= تعالى مبيناً هذا المعنى : «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» ويؤكد هذا ما قاله العلامة الشوكاني في فتح القدير عند تفسير قوله تعالى : «لقد تاب الله على النبي . . . » الآية : « . . . وليس من لازم التوبة أن يسبق الذنب ممن وقعت منه أوله لأن كل العباد محتاج إلى التوبة والاستغفار» .

وقد تكون التوبة منه تعالى على النبي (ﷺ) من باب أنه ترك ما هو الأولى والأليق كما في قوله تعالى : «عفا الله عنك لم أذنت لهم» ويجوز أن يكون ذكر النبي (ﷺ) لأجل التعريض للمذنبين بأن يجتنبوا الذنوب ويتوبوا عما قد لا يسوه منها» اهـ . [فتح القدير ج ٢ / ٥٧٩ ط دار الحديث] .

وقال في تفسيره قوله تعالى : «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» بعد أن ساق أقوال أهل العلم : ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة ترك ما هو الأولى وسمى ذنباً في حقه (ﷺ) لجلالة قدره وإن لم يكن ذنباً في حق غيره . اهـ ج ٥ / ٦٤ .
خامساً : الحكمة في آيات العتاب .

كتب إلى الشيخ محمد مسعود الزليتنى بأن لآيات العتاب مغزى وحكمة لا تخفى على اللبيب الحصيف ، وهذا يظهر في شيئين :

١ - أسلوب العتاب أكبر دليل على صدق هذا النبي (ﷺ) المنزل عليه القرآن وأن ما ينطق به من عند الله فلو كان القرآن من عند النبي (ﷺ) - كما يزعم المبطلون - لما سمح أن يخاطب بمثل هذا الأسلوب .

٢ - لقد رفع الله منزلة نبيه (ﷺ) وأعلى قدره ومكانته وأعطاه من الفضائل ما لم يكن لأحد سواه ، وحتى لاتضل الأمة وتقول في رسولها ما قالتها النصراري في المسيح بن مريم (عليه السلام) كان هذا الأسلوب القرآني تأكيداً لبشرية الرسول الأعظم (ﷺ) وإظهاراً لمعنى العبودية لله سبحانه وتعالى ، فيكون ذلك صماماً آمناً للأمة يعصمها من الغلو ويمنعها من الوقوع في مهاوى الضلال .

سادساً : حمّل بعض العلماء آيات العتاب من ضروب التأويل وبعيد المعنى ما لا تتحملة صراحة اللفظ وذلك أنهم ظنوا أن اجتتهاده (ﷺ) في أمر جاء الوحي معاتباً له فيه ينافي عصمته (ﷺ) وقد تكلمنا عن ذلك ، والله أعلم .

حقيقة معجزة النبی

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الشيخ أحمد بن المبارك : سمعت سيدى عبد العزيز الدباغ (رضى الله عنه) يقول فى حديث : « ما من نبى إلا وقد أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وما كان الذى أوتيته إلا وحياً يتلى » ^(١) إن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانت من جنس ذواتهم وما يتعلق بها ، فمنها ما وهب لهم بعد الكبر ، ومنها ما يترتب مع ذواتهم فى حال صغرهم إلى أن تظهر عليهم حال الكبر .

ومعجزة نبينا ﷺ كانت من الحق سبحانه ، ومن نوره ومشاهدته ومكالمته ، وذلك لقوله ﷺ ذاتاً وعقلاً ونفساً وروحاً وسراً حتى إنه لو أعطيت مشاهدته ﷺ لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يطيقوها ، فلذلك قال : وما كان الذى أوتيته إلا وحياً يتلى » يعنى أن معجزته ليست من جنس معجزاتهم ، ولو كانت معجزاتهم بلغت من الفخامة وضخامة القدر بحيث أنه يؤمن عليها وبسببها جميع البشر ، ومعجزاته ﷺ فوق ذلك كله ، لأنها من الحق سبحانه لا منه ، ثم ضرب (رضى الله عنه) مثلاً بملك كلما تزايد

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ولفظ البخارى : « ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

له ولد أرسله إلى موضع يربى فيه ، ويرسل مع كل واحد حاجة نفيسة مثل ياقوته ليعلم بها ويعرف أنه ولد الملك إلى أن تزايد له ولد فتركه عنده ، وجعل هو يربيه بنفسه ، ويتولى جميع أموره ، فلا يكيف ما يحصل لهذا الولد من كمال المعرفة ، وكمال سريان سر أبيه فيه ، ولا يقاس ما حصل في إخوته من سر الملك بما حصل فيه أبدا . قال (رضى الله عنه) : وقد كان بعض الصحابة يتمنى أن يظهر على النبي ﷺ بعض معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيلتفت إلى ذلك النبي ﷺ ويرى ما خصه به المولى الكريم ، فيدركه حياء عظيم .

ثم ضرب (رضى الله عنه) مثلاً بالذى مكنه الملك من جميع ملكه وأطلق يده فيه يتصرف كيف شاء ، وجعل بعض أصحابه يتمنى له قرية يتصرف فيها .

تنوع مشاهدات النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

وقال الشيخ أحمد بن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباج (رضى الله عنه) :

وسألته (رضى الله عنه) عن قوله ﷺ : « والله لا أجد ما أحملك عليه ، ولا عندي ما أحملك عليه » يخاطب الأشعرين ثم حملهم عليه السلام بعد ذلك ، والنبي ﷺ لا يقول إلا الحق ،

ولا يتكلم إلا بالصدق . فقال رضى الله عنه : النبي ﷺ لا يتكلم إلا بالصدق ولا يقول إلا بالحق ، وكلامه ﷺ يخرج على حسب باطنه ومشاهدته ، وهو ﷺ يكون تارة فى مشاهدة الذات العلية وفى هذه المشاهدة لذة عظيمة ، لا تكيف ولا تطاق ولا يماثلها شىء فى الدنيا ، وهى لذة أهل الجنة ، وتارة يكون فى مشاهدة الذات وقوتها وسلطان قهرها ، وفى هذه المشاهدة خوف وانزعاج بسبب مشاهدة القوة وسلطان القهر ، وفى هاتين المشاهدتين يكون غائباً عن الخلق ، ولا يشاهد منهم أحداً ، «وقد سبق شىء من هذا فى حديث» : «ما خفى على جبريل » فراجعه .

وتارة يكون فى مشاهدة قوة الذات مع الممكنات فيشاهد القوة سارية فى الممكنات وفى هذه المشاهدة تغيب الذات العلية عن الباطن ، وتبقى أفعالها . وفى هذه المشاهدة الثالثة يحصل امتثال الشرائع ، وتعليم الخلق ، وإيصالهم إلى الحق ، فجميع ما ينطق به النبي ﷺ لا يعدو هذه المشاهدات فتارة يكون على الأولى وتارة على الثانية وتارة على الثالثة ، والحديث المذكور خرج على الثانية ، فإنه عليه الصلاة والسلام كان غائباً فى مشاهدة الذات وقوتها ، وهو غائب عن نفسه فضلاً عن غيره . فلما قالوا له : يا رسول الله : احملنا وصادفوه فى هذه المشاهدة قال لهم : والله لا أجد ما أحملكم عليه . . . الخ ، وهو كلام حق .

فلما رجع إلى مشاهدة الكائنات وصادف ذلك مجيء الإبل له

جرى على حكم هذه المشاهدة وما تقتضيه من اتباع الأوامر والقيام بحق الخلق، فقال: أين الأشعريون؟ فدعوا فأعطاهم فقالوا: يا رسول الله إنك حلفت أن لا تعطينا وقد أعطيتنا فأجابهم ﷺ بما يقتضى أن حلفه أولاً كان على ما تقتضيه تلك المشاهدة (التي كان عليها حينئذ) فقال: ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم (أى إنى حلفت على أنى لا أحملكم ولا عندى ما أحملكم عليه وهذا هو الكائن) فإن الحامل لكم هو الله لا أنا، فهو إخباره عن كونه ما قال إلا الحق، ولا تكلم إلا بالصدق، فقلت: فلم كفر عن يمينه عليه السلام حينئذ؟ حيث قال: إنى لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يمينى وأتيت الذى هو خير» فقال (رضى الله عنه): لم يكفر النبى ﷺ عن يمينه فى هذه القصة، والذى ذكره بعد فى الحديث إنما هو ابتداء كلام وتأسيس حكم، وإعطاء قاعدة شرعية، ولم يصدر منه ﷺ تكفير فى هذه القصة رأساً.

قلت: وإلى هذا ذهب الأكابر من الفحول كالحسن البصرى وغيره.

فلله ما أصح عرفان هذا الشيخ العظيم !!.

أبيت عند ربى يطمعنى ويسقين

قال الشيخ أحمد بن المبارك فى الإبريز وهو يسأل شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ : وسألته (رضى الله عنه) عن حديث : «أبيت عند ربى يطمعنى ويسقين» (١) .

فقال (رضى الله عنه) «العندية المراد بها المعية ، والإطعام والسقى المراد بهما تقوية الله لنبيه ﷺ فقلت : وهل الذات الترابية يكفى فيها ذوق الأنوار، فلا تحتاج معه إلى غذاء ؟ فقال (رضى الله عنه) : لا يكفى ذلك فيها ، ولو قدرنا أن رجلاً عمد إلى نبي من الأنبياء فمنعه من الطعام والشراب لمات ذلك النبي ، فلا بد لهذه الذات الترابية من الأغذية الناشئة عن التراب ، ولهذا ترى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأكلون ويشربون ويجوعون ويشبعون والله أعلم .

وسألته (رضى الله تعالى عنه) : هل ولد ﷺ ليلاً — كما ذهب إليه طائفه واستدلوا بحديث عثمان بن أبى العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية أنها قالت : شهدت ولادة النبي ﷺ فرأيت البيت (حين وضع) قد امتلأ نوراً، ورأيت النجوم تدنو، حتى

(١) رواه البخارى وأحمد ، وهو متفق عليه من البخارى ومسلم عن أنس ، ورواه البخارى عن ابن عمر ، وعن أبى سعيد ، وعن أبى هريرة وعن عائشة بلفظ « إني لست مثلكم ، إني أبيت عند ربى يطمعنى ويسقين » .

ظننت أنها ستقع على» رواه البيهقي وغيره، وصححوه واستدلوا له
بحديث مسلم وغيره، لكن بعيد الفجر كما فى حديث آخر، وإن
كان ضعيفاً لأن الضعيف يعمل به فى الفضائل والمناقب وأجابوا
عن الحديث السابق بأن النجوم تظهر بعد الفجر ، فلا يدل
الحديث السابق على ولادته قبل الفجر ليلاً، فقال (رضى الله
تعالى عنه) وأمدنى بأسرار ذاته الكريمة) : الذى فى الواقع ونفس
الأمر : أنه عليه الصلاة والسلام ولد فى آخر الليل (قبل الفجر
بمدة) وتأخر خلاص أمه إلى طلوع الفجر، والمدة التى بين
انفصاله ﷺ من بطن أمه وانفصال الخلاص منها هى ساعة
الاستجابة فى الليل ، وردت بها الأحاديث وفخّمت أمرها وأشعرت
بتعظيمها وامتداد حكمها إلى يوم القيامة .

خلاصة مفيدة فى الخصائص النبوية

اعتنى العلماء بالخصائص النبوية وألفوا فيها كثيراً من الكتب وأشهرها «الخصائص الكبرى» للحافظ السيوطى ، وقد لخصه السيوطى فى رسالة موجزة ، ونحن نلتقط منه هذه الدرر مع التهذيب ، وجملة هذه الخصائص تنحصر فى ثمانية أقسام ، سنذكرها بعد هذه المقدمة .

اعلم أن جميع الكرامات والخصائص الواقعة فى هذا العالم منذ خلق الله تعالى الدنيا لنبينا محمد ﷺ بحكم الأصالة ، وإن وقع شىء منها لخواص الخلق ، فذلك بحكم التبعية فى الإرث له ﷺ ثم اعلم أن كل ما مال إلى تعظيم رسول الله ﷺ لا ينبغى لأحد البحث فيه ، ولا المطالبة بدليل خاص فيه ، فإن ذلك سوء أدب ، فقل ما شئت فى رسول الله ﷺ على سبيل المدح ولا حرج ، وما ضبط العلماء هذه الخصائص إلا تنبيهاً على علو مقامه ﷺ على التحجير الواقع على أمته (١) ، وصيانة لغيره أن يدعى ما ليس له . وقد سب رجل مرة أبا بكر (رضى الله تعالى عنه) فهَم عمر (رضى الله عنه) أن يضرب عنقه ، فقال أبو بكر (رضى الله تعالى عنه) : إنها لم تكن لأحد بعد رسول الله ﷺ من أمته .

(١) التحجير هو التحديد والتضييق فأعطى صلى الله عليه وآله وسلم من الخصائص ما أخرجه عن هذه الحدود والقيود تنبيهاً على علو منزلته وارتفاع مكانته حيث أباح له بعض ما حرم عليهم وخصه بمزايا لم تكن لهم .

واعلم أن العلماء (رضى الله تعالى عنهم) قد قسموا الخصائص إلى ثمانية أقسام^(١)، فلنذكر من كل قسم منها طرفاً صالحاً، فنقول وبالله التوفيق .

(١) أشار المؤلف [أكرمه الله] في كتابه مفاهيم يجب أن تصحح إلى أن الخصائص النبوية كثيرة جداً منها ما صح سنده ومنها ما لم يصح ومنها ما هو مختلف فيه بين العلماء إذ يرى بعضهم أنه صحيح ويرى الآخرون خلاف ذلك فهي مسائل خلافية والكلام فيها دائر بين العلماء من قديم بين الصواب والخطأ والصحة والبطلان . اهـ [مفاهيم يجب أن تصحح ص ١٨٩ ط الرابعة] .

ذكرت هذا من قبيل التنبيه إلى ما قد يثار من اعتراض على المؤلف فيما أورده من بعض الخصائص التي اختلف فيها العلماء ومنهم من أنكر ثبوتها وصحتها، فإن المؤلف اتبع في ذلك طريقة العلماء وتسامحهم في نقل هذه الخصائص ووضح ذلك بقوله: «ولم يزل العلماء يتسامحون في نقل الخصائص النبوية وينظرون إليها على أنها داخلية في فضائل الأعمال ولا تتعلق بالحلال والحرام - إذ هي خاصة برسول الله لا أسوة للأمة فيها . . . ولو اشترطنا في ذلك الصحيح بالمعنى المصطلح عليه لما أمكن ذكر شيء من سيرة النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها مع أنك تجد كتب الحفاظ مملوءة بالمقطوعات والمراسيل وما أخذ عن الكهان وأشباههم في خصائص رسول الله ﷺ لأن ذلك مما يجوز ذكره في هذا المقام، ولو رجعنا إلى كتب السلف لوجدنا كثيراً من العجائب والغرائب في ذكر الخصائص ولو توقف الباحث في قبولها على صحة سندها لما صفا له من ذلك إلا نزر يسير، اهـ . بتصرف [مفاهيم يجب أن تصحح ص ١٨٩، ١٩٠] .

وهذا وقد أشرنا بقدر الإمكان إلى النصوص التي تثبت هذه الخصائص وتناولنا بشيء من التعليق الأمور التي قد يثار حولها الكلام ووضحنا ما يقصد بذلك والله أعلم .

القسم الأول

فيما اختص به في ذاته في الدنيا

صلى الله عليه وآله وسلم

خص رسول الله ﷺ بأنه أول النبيين خلقًا، وبتقديم نبوته، وكان نبيًا وآدم بين الماء والطين، وبتقديم أخذ الميثاق عليه، وأنه أول من قال: «بلى» يوم: ألت بربكم، وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله ﷺ^(١)، وكتابة اسمه الشريف على العرش، وكل سماء، والجنان وما فيها، وسائر ما في الملكوت، وذكر الملائكة له في كل ساعة، وذكر اسمه في الأذان في عهد آدم، وفي الملكوت الأعلى، وأخذ الميثاق على النبيين [آدم فمن بعده] أن يؤمنوا به وينصروه، والتبشير به في الكتب السابقة، ونعته فيها، ونعت أصحابه وخلفائه وأمته، وحجب إبليس من السموات لمولده، وشق صدره، وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، وسائر الأنبياء كان الخاتم في يمينهم، وبأن له ألف اسم، وباشتقاق اسمه من اسم الله تعالى. وبأنه سمى من أسماء الله بنحو سبعين اسمًا وبأنه سمى «أحمد».

(١) هذه خصوصية من جملة خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم ذكرها كثير من أهل العلم كالحافظ السيوطي في الخصائص (٢ / ٣١٤) وابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (١٨٩) والقسطلاني والزرقاني في المواهب اللدنية (١ / ٦٢) وغيرهم، واستدلوا على ذلك بجملة من =

= الأحاديث منها ما أخرجه الحاكم وصححه وأقره السبكي والبلقيني في فتاويه عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : « أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد وممر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولاً محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن » (المستدرك وتلخيصه ٢ / ٦٥١ وشفاء السقام ١٧٣) .

فهذا الحديث وغيره يدل على مزيد من التكريم لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس هناك ما يدعو لاثارة الاعتراض والتشنيع على فضيلة المؤلف عند ذكره لهذه الخصوصية فإنه لم يأت بها من نفسه وإنما سار على نهج من سبقوه من أهل العلم الفضلاء .

وهذا هو الحافظ ابن كثير يذكر في البداية والنهاية (١ / ٨١) حديث : « لما اقترف آدم الخطيئة . . . » وفيه « ولولا محمد ما خلقتك » ولم يتعقبه بشيء سوى قوله : « قال البيهقي : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف » اهـ والحديث الضعيف يصلح للاستشهاد به في الفضائل . بل إن ابن تيمية قال عن هذا الحديث الذي ذكره ابن كثير : « وهذا الحديث يؤيد الذي قبله وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة » اهـ (الفتاوى الكبرى ٢ / ١٥١) فهذا ابن تيمية يستشهد بهذا الحديث والذي قبله مما يؤيد أن هذه الأحاديث صالحة للاعتبار والاستشهاد وليست موضوعة لأن الموضوع والباطل لا يستشهد به عند المحدثين ، وأصح ما يؤخذ من كلام أهل الجرح والتعديل أن حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا يصل إلى درجة الوضع ، بل قال المحدث الغماري في الرد المحكم المتين : إن حديثه هذا حسن لغیره .

ومعنى خلق العالم لأجله صلى الله عليه وآله وسلم هو إظهار الفضل الإلهي والنعمة الكبرى والرحمة العظمى فإن ذلك تمثل في شخصه وبعثه ورسالته صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ فلا بد لهذه الرحمة من وجود العالمين فهم مظهر تحققها ، فلا حرج إذن أن يقال : إن العالم خلق من أجل تلك الرحمة المتعلقة به ، ثم إن المتأمل في قوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وقوله تعالى : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » يدرك أن كل ما في السموات والأرض خلق لأجل البشر وسخر لهم ، وإذا كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بحقيقته النورانية [التي سيأتى بيانها في حديث جابر (رضى الله عنه)] هو الواسطة في هذه المزية إذ لولاه لما خلق آدم عليه السلام كما تقدم في الحديث الذي ذكرناه ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم فلا مانع من أن نقول : خلقت الدنيا لأجله صلى الله عليه وآله وسلم والله أعلم .

ولم يسم به أحد قبله وبإظلال الملائكة له فى سفره . وبأنه أرجح الناس عقلاً وبأنه أوتى كل الحسن ولم يؤت يوسف إلا شطره وبغطه ثلاثاً عند ابتداء الوحي^(١) . وبرؤيته جبريل فى صورته التى خلق عليها ، وبانقطاع الكهانة لمبعثه واستراق السمع والرمى بالشهب ، وبإحياء أبويه حتى آمنا به^(٢) ، وبوعده بالعصمة

(١) معنى الغط هو الخنق والغم . . . وكان ذلك إظهاراً للشدة والجد فى الأمر وأن يأخذ الكتاب بقوة وأن يترك الأناة . . . وأشار بعضهم إلى أن فى هذه الغطات الثلاث إشارة إلى ثلاث شدائد يتلى بها وهى ، الأولى : مآلقه هو وأصحابه من شدة الجوع عندما قاطعتهم قريش والثانية التهديد بالإبعاد والقتل والثالثة الإجماع عن أحب الأوطان إليه ثم كانت له العاقبة والنصر / انظر الروض الأنف للسهيلى ج ١ ص ٢٧٢ .
(٢) قال صاحب القلادة السندسية ، قاضى ثغر الاسكندرية « الشيخ عبد الرحمن الإيبارى » فى قلاته المطبوعة الأميرية عام ١٣١٥ هـ ما نصه فى ص ٣٣ ، ٣٤

حملت بخير العالمين محمد	ظفرث بأفصح ناطق بالضاد
ولها حياة الجسم بعد مماتها	كأبيه عبد الله للإشهاد
وبذاك قد صح الحديث ومن بقل	بخلافه فعلى الحقيقة عادى
ولقد رواه السدارقطنى مسنداً	وكذا الخطيب رواه بالإسناد
عن لها آيات نور أشرقت	وهى عائشة زوج النبی الهادى
وكذا ابن عساكر والقرطبي	وابن المنير منهج الإرشاد
وكذا السهيلى مسنداً فى روضه	وكذا شاهين أبو الإمداد
ورأيت هذا للجليل محمد	يحى الولاتى : مغربى بلادى

اهـ

فيكون جملة رواة أحاديث إحياء الأبوين الكريمين ثمانية ، وللحافظ السيوطى رسالة خاصة فى ذلك . وقال فى الدرر المنتشرة عن حديث إحياء الأبوين الكريمين : أخرجه بعضهم بإسناد ضعيف . وقال الزرقانى فى شرح المواهب : جعل الأئمة هذا الحديث ناسخاً للأحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها ، وقال الشهاب ابن حجر فى مولده وفى شرح الهمزية : إن الحديث غير ضعيف بل صحيحه غير واحد من الحفاظ حتى قال بعضهم :

أيقنت أن أبى النبى وأمه	أحياهما الرب الكريم البارى
حتى لسه شهدا بصدق رسالة	سلم فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه	فهو الضعيف عن الحقيقة عارى

[انظر حجة الله على العالمين للنبهانى ج ١ ص ٤٦٠] .

من الناس وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع ،
والعلو إلى قاب قوسين ، وبوطئه مكاناً ما وطئه نبي مرسل ولا ملك
مقرب وبإحياء الأنبياء له ، وصلاته إماماً بهم وبالملائكة ،
واطلاعه على الجنة والنار ، ورؤيته من آيات ربه الكبرى ، وحفظه
حتى ما زاع البصر وما طغى ، ورؤيته للبارى سبحانه وتعالى
مرتين ، وقتال الملائكة معه وسيرهم معه حيث سار يمشون خلف
ظهره وبإتياء الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وبأن كتابه
معجز ، ومحفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور ،
ومشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب وزيادة ، وجامع
لكل شيء ومستغن عن غيره ، وميسر للحفظ ، ونزل منجماً ،
وعلى سبعة أحرف ، ومن سبعة أبواب ، وبكل لغة ، ويكتب لقارئه
بكل حرف عشر حسانات . وبأنه فضل على سائر الكتب المنزلة
بثلاثين خصلة لم تكن في غيره ، منها :

أنه دعوة وحجة ولم يكن مثل هذا لنبي قط ، إنما كان لكل منهم
دعوة ثم يكون له حجة غيرها ، فالقرآن العظيم دعوة بمعانيه حجة
بألفاظه ، وكفى الدعوة شرفاً أن تكون حجتها معها وكفى الحجة
شرفاً أن لا تنفصل الدعوة عنها ، وأعطى ﷺ من كنز تحت العرش
ولم يعط منه أحد (١) .

(١) حديث : « أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها
نبي قبلي » رواه أحمد في مسنده والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان .

وخص بالبسملة والفاتحة وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والسبع الطوال والمفصل ، وبأن معجزته مستمرة إلى يوم القيامة وهي القرآن ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها ، وبأنه أكثر الأنبياء معجزات ، وبأنه جمع كل ما أوتيته الأنبياء من معجزات وفضائل ولم يجمع ذلك لغيره ، بل اختص كل بنوع ، وأوتي انشقاق القمر^(١) ، وتسليم الحجر^(٢) ، وحنين الجذع^(٣) ، ونبع الماء من بين الأصابع^(٤) وبكلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته^(٥) . وبأنه خاتم النبيين ، وبعموم الدعوة للناس كافة ، وأرسل إلى الجن بالإجماع ، وبأن الله أقسم بحياته ، وأقسم على رسالته ، وتولى الرد على أعدائه عنه ، وقرن اسمه

(١) أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه ، وقال الخطابي : انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعد لها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر وقال ابن عبد البر : روى هذا الحديث (يعنى حديث انشقاق القمر) جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك أمثالهم من التابعين ... وأيد بالأية الكريمة وقال ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب : « الصحيح عندى أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروى في الصحيحين وغيرهما » فلا عبرة إذن بكلام المستشرقين ومن ينكرون هذه المعجزة أو يتأولونها .

(٢) (٣) (٤) حديث تسليم الحجر وحديث حنين الجذع ونبع الماء من الأصابع ، كل ذلك ثابت في كتب السنن والحديث المعتمدة وقد جمع ذلك كله الشيخ النبهاني في كتابه : « حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين » .

(٥) وحديث كلام الشجرة وشهادتها بالنبوة لرسول الله ﷺ وإتيانها إليه ، أخرجه الدارمي وأبو يعلى والطبراني والبخاري وابن حبان والبيهقي وأبو نعيم بسند صحيح عن ابن عمر رضی الله عنهما .

باسمه فى كتابه ، وفرض على العالم طاعته والتأسى به فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء ، ووصفه فى كتابه عضو عضواً ، ولم يخاطبه باسمه فى القرآن ، بل بآيها النبى ، يا أيها الرسول ، وكرم على الأمة نداءه باسمه ، وخاطبه بالطف مما خاطب به الأنبياء قبله ، ولم يرَ الله تعالى فى أمته شيئاً يسوؤه حتى قبضه بخلاف سائر الأنبياء .

وبأنه حبيب الرحمن ، وجمع له بين المحبة والخلة ، وبين الكلام والرؤية ، وكلمه عند سدرة المنتهى ، وكلم موسى بالجبل ، وجمع له بين القبلتين والهجرتين ، وجمع له بين الحكم بالظاهر والباطن معاً ، ونصر بالرعب مسيرة شهر أمامه وشهر خلفه ، وأوتى جوامع الكلم وأوتى مفاتيح خزائن الأرض^(١) على فرس أبيض عليه قطيفة من سندس ، وكلمه بجميع أصناف الوحي ، وهبط إسرافيل عليه ولم يهبط على نبى قبله ، وجمع له بين النبوة والسلطان ،

(١) أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وحمل بعضهم هذا المعنى على حقيقة وأن هناك مفاتيح لخزائن الأرض وكنوزها يعلمها الله سبحانه ، ويؤيد هذا ما أخرجه الامام أحمد وابن حبان وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أوتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق جاءنى بها جبريل عليه قطيفة من سندس » .

وبعضهم حمل المعنى على المجاز والمقصود أن كل خير ينزل لأهل الأرض لا يتم إلا بواسطته ﷺ فكان كالوكيل فى إعطائه لهم نيابة عنه لأنه حقه فلا يخرج منها شىء إلا على يديه ﷺ وقال الزمخشري : المراد بالخزائن البلاد التى فتحت لأمته بعده ومنها خزائن كسرى وقيصر .

وأوتى علم كل شيء، حتى الروح، والخمس^(١) التي في آية: «إن الله عنده علم الساعة» الآية ٣٤ لقمان. وبين له في أمر الدجال ما لم يبين لأحد، ووعد به بالمغفرة وهو يمشى حيًا صحيحًا فقال تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يقول: ما يؤمن الله تعالى أحدًا من خلقه إلا محمدًا ﷺ. ورفع ذكره فلا يذكر الله جل جلاله في أذان ولا خطبة ولا تشهد إلا ذكر معه، وعرض عليه أمته بأسرهم حتى رآهم، وعرض عليه ما هو كائن إلى يوم القيامة، بل عرض عليه سائر الأمم، كما علم آدم أسماء كل شيء، وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله تعالى، فهو أفضل من سائر المرسلين، وجميع الملائكة المقربين، وكان أفرس العالمين، وأيد بأربعة وزراء جبريل وميكائيل وأبى بكر وعمر، وأعطى من أصحابه أربعة عشر نجيًا، وكل نبي أعطى سبعة وأسلم قرينه^(١)، وكان أزواجه عونًا له، وزوجاته وبناته أفضل نساء العالمين، وثواب أزواجه وعقابهن

(١) فهم البعض من ذلك أن النبي ﷺ قد شارك الحق سبحانه وتعالى في أخص خصائص الألوهية وأنه ﷺ يعلم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، ومن هنا جاء الاعتراض والإنكار وتحقيقاً لهذه المسألة ورداً عليهم نقول:

إن علم الغيب بالنسبة لله سبحانه وتعالى يكون على وجه الإحاطة بجميع المعلومات بجزئياتها وكمياتها وأحوالها وزمانها ومكانها، وهذا لا يشاركه فيه أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. =

=ولكن هذا لا يمنع من إطلاع الله سبحانه لمن ارتضى من رسله على بعض الأمور الغيبية المتعلقة بمسائل جزئية وقد أشار الحق سبحانه إلى هذا بقوله : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ الآية .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي فى مسألة اطلاع الأنبياء والأولياء على بعض الغيوب : « إنما ذلك بإعلام الله لهم وهذا غير علم الله الذى تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزهة عن التغير وسمات الحدوث والنقص والمشاركة والانقسام بل هو علم واحد علم به جميع المعلومات كلياتها وجزئياتها ما كان منها وما يكون وما يجوز أن يكون ، ليس بضرورى ولا كسبى ولا حادث بخلاف علم سائر الخلق » وقال أيضاً : « إن علم الخلق بجزئيات من الغيب اطلعهم الله عليها فلا يطلق عليهم أنهم يعلمون الغيب إذ لا صفة لهم يقتدون بها على الاستقلال بعلمه . . . وهذا لا يؤدى إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذى تمدح به واتصف به فى الأزل وما لا يزال وما ذكرناه فى الآية [يعنى آية : ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والأرض ﴾] صرح به النووى (رحمه الله) فى فتاويه فقال : لا يعلم ذلك استقلالاً وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله وأما المعجزات والكرامات فبإعلام الله لهم علمت « ١ هـ [الفتاوى الحديثية ٣١٣ ط الحلبي] [فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤٥٨ / ٣] . .

وما ذكره المؤلف من أن نبينا ﷺ أوتى علم كل شىء حتى الروح والخمس التى فى آية ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ فقد نقله السيوطى فى الخصائص ٢ / ٣٣٥ : « ذهب بعضهم إلى أنه ﷺ أوتى علم الخمس أيضاً وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكنم ذلك » اهـ والمراد بقوله : « أوتى علم كل شىء » أى مما يمكن للمخلوق علمه روى الطبرانى عن ابن عمر مرفوعاً : « إن الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى ظفري هذه » وفى الصحيح أنه ﷺ قال : « سلونى عما شئتم » فهذا كالنص فى بيان علمه ﷺ بالمغيبات وأيضاً ما روى عن حذيفة رضى الله عنه « قام فىنا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً سيكون فى مقامه إلى قيام الساعة إلا حدث به » وأما المغيبات الخمس المذكورة فى الآية فقد قال بعضهم : إن الله اطلع نبيه ﷺ عليها قبل أن يخرج من الدنيا ولا ينافى هذا ما جاء فى حديث « خمس لا يعلمهن إلا الله » فقد ذكروا أن النبى ﷺ قال ذلك قبل أن يطلع الله عليها وممن نقل اطلاعه ﷺ على هذه المغيبات الخمس الشيخ الباجورى فى حاشيته على البردة (٨١) والشيخ الصاوى فى حاشيته على تفسير الجلالين (٢٤٤ / ٣) . =

= وليس فى الآية ما يفيد نفى العلم بهذه الخمس عن غير الله فقد قال الإمام الرازى فى تفسيره كلامًا محصله أن نفى العلم بهذه الأمور الخمسة عن غير الله ليس مقصودًا فى الآية ولا وجه لاختصاص هذه الأشياء بالذكر إذ إن علمه تعالى غير مختص بها [ح ٢٥ / ١٤٤] وقال الإمام الألوسى : « ليست المنغيات محصورة فى هذه الخمس وإنما خصت بالذكر لوقوع السؤال عنها . . . ويجوز أن يطلع الله تعالى بعض أصفياه على إحدى هذه الخمس ويرزقه العلم بها فى الجملة وعلمها الخاص به جل وعلا ما كان على وجه الإحاطة والشمول لأحوال كل منها وتفصيله على الوجه الأتم » وقال أيضًا فى شأن العلم بقيام الساعة : « ويجوز أن يكون الله قد اطلع حبيبه عليه الصلاة والسلام على وقت قيامها على وجه كامل لكن لا على وجه يحاكى علمه تعالى به إلا أنه سبحانه أوجب عليه ﷺ كتمه لحكمة ويكون ذلك من خواصه عليه الصلاة والسلام وليس عندى ما يفيد الجزم بذلك » اهـ [المعانى ١١٢/٤ / ١١٣] .

وجاء فى شرح المناوى الكبير على الجامع الصغير عند الكلام على حديث بريدة (الذى أشرنا إليه) [خمس لا يعلمهن إلا الله : « أى على وجه الإحاطة والشمول كليًا وجزئيًا فلا ينافيه اطلاع الله بعض خواصه على بعض المنغيات حتى من هذه الخمس لأنها جزئيات معدودة وإنكار المعتزلة لذلك مكابرة » اهـ .

(٢) أخرج الامام مسلم عن ابن مسعود (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا ومعهم قرينه من الجن وقرينه من الملائكة . قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياى ، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير » .

مضاعف^(١)، وأصحابه أفضل العالمين إلا النبيين، ويقاربون عدد الأنبياء، وكلهم مجتهدون مصيبون ولهذا قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(٢) وأحلت له مكة ساعة من نهار^(٣)، وحرم ما بين لابتى المدينة^(٤)، وتربتها مؤمنة من العذاب وغبارها يبرئ الجذام^(٥)، ويسأل عنه الميت في قبره .

(١) هذا بنص الآية الكريمة من سورة الأحزاب : « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيراً ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً » .

(٢) حديث أصحابي كالنجوم ... الخ قال في كشف الخفا : رواه البيهقي وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقال اللكنوى في إقامة الحجة . . إنه روى بطرق متعددة كلها ضعيفة ، كما بسطه الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لكن بسبب كثرة الطرق وصل إلى درجة الحسن ولذلك حسنه الصنعاني / انظر إقامة الحجة على أن الإكثار في التبعيد ليس ببدعة للإمام عبد الحى اللكنوى تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ص ٤٨ ، ٤٩ .

ومن حكم على الحديث بالوضع في جهة المتن لم يصب لأن له معنى صحيحاً إذ يصح الاقتداء بجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو في وجه صحيح كصدقهم وحسن جهادهم الخ وفي الصحيح ما يشير إلى أن الصحابة رضى الله عنهم بالنسبة للامة بمثابة النجوم في السماء .

(٣) حديث : إحلال مكة ساعة من نهار أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) حديث تحريم المدينة أخرجه البخارى ومسلم أيضاً فى الصحيحين .

(٥) أخرجه الحافظ محمد بن محمود بن النجار فى الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة فى ذكر فضائلها وما جاء فى ترابها .

ولما دخل عليه ملك الموت استأذن عليه ، ولم يستأذن على نبي قبله ^(١) ، ويحرم نكاح أزواجه من بعده وأمةً وطئها .

والبقعة التي دفن فيها أفضل من الكعبة ومن العرش ، ويجوز أن يقسم على الله به ، وليس ذلك لأحد ، ولم تر عورته قط ، ولو رآها أحد طمست عيناه ، وبأنه ما من نبي له خاصة نبوة في أمته إلا وفي أمة محمد ﷺ من علمائها من يقوم في قومه مقام ذلك النبي في أمته ، وينحو منحاه في زمانه ، ولهذا ورد : «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» ^(٢) وورد «إن العالم في قومه كالنبي في أمته» وسماه الله «عبد الله» ولم يطلقها على أحد سواه وإنما قال : «عبدًا شكورًا» «نعم العبد» وليس في القرآن ولا غيره أمر بالصلاة على غيره ، وأسماءه توقيفية كأسماء الله تعالى بحكم التبعية ، والله أعلم .

(١) حديث استأذن ملك الموت على النبي ﷺ ذكره السيوطي في الخصائص وقال : أخرجه ابن سعد والبيهقي عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه في حديث طويل وقال في آخره : هذا إسناد معضل ، وأخرجه الطبراني أيضا .

(٢) حديث علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ، قال السيوطي في الدرر المنتشرة : لا أصل له ، وقال في كشف الخفا : أنكره الشيخ إبراهيم الناجي ... وقال النجم : وممن نقله جازماً بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي وموفق الدين بن قدامة والاسنوي والبارزي والياقبي وأشار إلى الأخذ بمعناه التفتازاني وفتح الدين الشهيد وأبو بكر الموصلي والسيوطي في الخصائص ، وقال : وله شواهد ذكرتها في حسن التنبيه لما ورد في التشبيه وقد يؤيده أنه الواقع اهـ وليس معناه أن علماء الأمة المحمدية كأنبياء بني إسرائيل في المنزلة والمكانة كما يفهم البعض ولك معناه أنهم يقومون بالدعوة والإرشاد والتوجيه في الأمة كما كان أنبياء بني إسرائيل يفعلون ذلك في أممهم أو أنهم في الكثرة والعدد كأنبياء بني إسرائيل فإنه كانت تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وليس من شرط التشبيه في اللغة أن يكون وجه الشبه بين طرفي التشبيه في كل شيء .

القسم الثانى

فيما اختص به فى شرعه وأمته فى دار الدنيا

اختص ﷺ بإحلال الغنائم وجعل الأرض كلها مسجداً ولم يكن للأمم مصلى إلا فى البيع والكنائس وبجعل التراب طهوراً وهو التيمم، وبالوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وبمسح الخف، وبجعل الماء مزيلاً للنجاسة، وأن كثير الماء لا تؤثر فيه النجاسة، والاستنجاء بالجامد، وبالجمع فى الاستنجاء بين الماء والحجر، وبمجموع الصلوات الخمس، ولم تجمع لأحد، وبأنهن كفارات لما بينهن، وبالعشاء ولم يصلها أحد، وبالأذان والإقامة، وافتتاح الصلاة بالتكبير، وبالتأمين، وبقول: اللهم ربنا ولك الحمد، وبتحريم الكلام فى الصلاة، وباستقبال الكعبة وبالصف فى الصلاة كصفوف الملائكة، وبتحية السلام، وهى تحية الملائكة، وأهل الجنة، وباتخاذ يوم الجمعة عيداً له ولأمته، وبساعة الإجابة، وبعيد الأضحى، وبصلاة الجمعة وصلاة الجماعة، وصلاة الليل (على الهيئة المشروعة الآن) وبصلاة العيدين والكسوفين^(١) والاستسقاء والوتر، وبقصر الصلاة فى السفر، وبالجمع بين الصلاتين فى السفر وفى المطر وفى المرض وبصلاة الخوف ولم تشرع لأحد من الأمم قبلنا، وبصلاة شدة

(١) أى كسوف الشمس وخسوف القمر .

الخوف عند التحام القتال إيماءً وحيثما توجه ، وبشهر رمضان على هذه الكيفية من الشروط ، وبتصفيد الملائكة للشاطين فيه ، وأن الجنة تزين فيه ، وأن خلوف فم الصائمين أطيب من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حين يفطرون ، ويغفر لأجمعهم في آخر ليلة منه ، وبالسحور وتعجيل الفطر ، وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر ، وكان محرماً على من قبلنا بعد النوم . وبتحريم الوصال في الصوم وكان مباحاً لمن قبلنا ، وبإباحة الكلام في الصوم ، وكان محرماً على من قبلنا ، عكس الصلاة ، وبليلة القدر ويوم عرفة وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين لأنه سنته ﷺ (١) ، وصوم عاشوراء كفارة سنة (٢) واحدة ، لأنه سنة موسى عليه السلام ، وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة ، وبالاستغسال من العين (٣) ، وأنه يدفع ضررها ، وبالاسترجاع

(١) (٢) أخرج السيوطي في الجامع الصغير حديث : « صوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية . وعزاه لأحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وأبى داود في سننه .

(٣) جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما : « أن النبي ﷺ قال : العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » وهنا أمر للعائن (الحاسد) بالاعتسال إذا ما أصاب بعينه إنساناً ما ، وصفة هذا الغسل كما قال الترمذي [زاد المعاد ، عمدة القاري] : يؤمر الرجل العائن بقدر فيدخل كفه فيه ، فيتمضمض ثم يمجح في القدح (أي يرجع ماء المضمضة في القدح) ثم يغسل وجهه في القدح ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى في القدح ، ثم يدخل يده اليمنى =

عند المصيبة ^(١)، وبالحوقة ^(٢)، وباللحد ^(٣)، وكان لأهل الكتاب الشق، وبالنحر، ولهم الذبح، وبفرق شعر الرأس، ولهم السدل، وبصبغ الشعر، وكانوا لا يغيرون الشيب، وبتوفير اللحى وتقصير السبال، وكانوا يقصرون لحاهم ويوفرون سبالهم، وكانوا يعقون عن الذكر دون الأنثى، وشرع ذلك لنا عنهما معاً. وبترك القيام للجنائز ^(٤)، وبتعجيل المغرب والفجر، وبكراهة اشتغال الصّماء ^(٥) وبكراهة صوم الجمعة منفرداً، وكان اليهود يصومون يوم

= فيصب على ركبته اليسرى ثم يدخل داخله إزاره (داخله إزاره هو طرف إزاره الداخل الذي يلي جسده من الجانب الأيمن) فى القدح، ولا يوضع القدح فى الأرض ثم يصب على رأس الرجل المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة (بغتة) فيذهب عنه ما أصابه من ضرر بإذن الله تعالى .
(١) هو أن يقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .
(٢) الحوقلة قوله : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣) اللحد فى الدفن هو السنة ، وصفته : أن يحفر القبر ثم يحفر فى جانب القبلة منه حفرة فيوضع فيها الميت ويجعل ذلك كالبيت المسقف ، أما الشق : صفته أن يحفر فى وسط القبر حفرة فيوضع فيها الميت ، أما إذا كانت الأرض رخوة فيخير بين الشق واتخاذ تابوت (أى أن يوضع فى اللحد تابوت) وذلك خشية انهيار اللحد عليه فإذا وضع الميت فى تابوت أمن ذلك وإذا عسر أمر اللحد تعين الشق إحد حاشيه ابن عابدين [فقه حنفى] .

(٤) وردت أحاديث صحيحة فى استحباب القيام للجنائز منها حديث البخارى : إذا رأيتم الجنائز فقوموا ... « واختار ذلك النووى رحمه الله فى شرحى المذهب ومسلم ، وأجاب الشافعى والجمهور عن الأحاديث بأن القيام فيها منسوخ ، والله أعلم

(٥) اشتغال الصّماء : أن يجلس جسده بثوبه نحو شملة الأعراب بأكسيتهم ... والفقهاء يقولون : هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فيبدو منه فرجه ، فإذا قلت : اشتمل فلان الصّماء كأنك قلت : اشتمل الشملة التى تعرف بهذا الاسم لأن الصّماء ضرب من الاشتغال .

والأعرابى كان يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ثم يرد ثانيه من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعاً . [مختار الصحاح للرازى] .

عندهم منفردًا، وبضم تاسوعاء إلى عاشوراء فى الصوم، وبالسجود على الجبهة، وكانوا يسجدون على حرف، وكراهة التميل فى الصلاة وكانوا يتميلون، وبكراهة تغميض البصر فيها، والاختصار ^(١) والمقام بعدها للدعاء، وقراءة الإمام فيها فى المصحف ^(٢)، والتعلق فيها بالحبال، وبالأكل يوم العيد قبل الصلاة، وكان أهل الكتاب لا يأكلون يوم عيدهم حتى يصلوا، وبالصلاة فى النعال والخفاف.

قال ابن عمر (رضى الله عنهما): «كانت بنو إسرائيل إذا قرأت أئمتهم جاوبوهم» ^(٣)، فكره الله ذلك لهذه الأمة، فقال: «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا» الآية.

ونهى رسول الله ﷺ رجلاً رآه جالساً فى الصلاة معتمداً على يده اليسرى، وقال: إنها صلاة اليهود، وأذن لنساء هذه الأمة فى الصلاة فى المساجد، ومنعت نساء بنى إسرائيل.

(١) هو وضع اليدين على الخاصرة أثناء الوقوف.

(٢) قراءة الإمام فى المصحف تفسد الصلاة عند أبى حنيفة، وعند محمد وأبى يوسف تكون الصلاة تامة مع الكراهة لأنه تشبه بصنيع أهل الكتاب، ولأن حمل المصحف والنظر فيه وتقليب الأوراق عمل كثير يتنافى مع الخشوع فى الصلاة، [الهداية] وأما عند المالكية فذكر الشيخ خليل فى مختصره أنه يكره النظر بالمصحف فى الفرض أو أثناء النفل لا أوله.

(٣) روى ابن ماجة فى سننه: «إنما جعل الإمام إماماً ليؤتم به. فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمد فقولوا: ربنا لك الحمد».

وكان فى شرعهم فسخ الحكم إذا رفعه الخصم إلى حاكم آخر يرى خلافه، وبالعذبة فى العمامة، وهى سيما الملائكة، وبالاتزار فى الأوساط، وبكراهة السدل ^(١)، والطيلسان المقور ^(٢)، وشد الوسط على القميص الواحد، والقزع ^(٣) وبالأشهر الهلالية، وبالوقف، وبالوصية بالثلث عند موتهم، وبالإسراع بالجنائز. وبأن أمته ﷺ خير الأمم، ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا واشتق لهم اسمان من أسماء الله تعالى «المسلمون والمؤمنون» وسمى دينهم الإسلام، ولم يوصف بهذا إلا الأنبياء دون أممهم، ورفع عنهم الإصر الذى الذى كان الأمم قبلهم، وأبيح لهم الكنز إذا أدوا زكاته، ولم يجعل عليهم فى الدين من حرج .

وأبيح لهم أكل الإبل والنعام وحمار الوحش، والأوز، والبط وجميع السمك والشحوم، والدم الذى ليس بمسفوح، كالكبدة والطحال، والعروق .

ورفع عنهم : المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وما استكروها عليه، وحديث النفس، وأن من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب سيئة،

(١) هو إرخاء الثوب إلى الأرض .

(٢) أما الطيلسان المقور ، فيقول ابن القيم فى زاد المعاد : لم ينقل عنه ﷺ أنه لبسه ولا أحد من أصحابه بل كان شعاراً لليهود يعرفون به و من هنا كره لبسه جماعة من السلف والخلف حتى لا يكون هناك تشبه باليهود .

(٣) القَزَع هو حلق بعض الرأس دون البعض .

بل تكتب حسنة فإن عملها كتبت عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، ووضع عنهم قتل النفس في التوبة، وفقء العين من النظر إلى ما لا يحل، وقرض موضع النجاسة، وربح المال في الزكاة، ونسخ عنهم تحرير الأولاد والتَّحَصُّر^(١) والرهبانية والسياسة^(٢)، وفي الحديث: «ليس في ديني ترك النساء ولا اللحم ولا اتخاذا الصوامع».

وكان من عمل من اليهود شغلاً يوم السبت يصلب، ولم يجعل علينا يوم الجمعة مثل ذلك، وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يتوضأوا كوضوء الصلاة، وكان من سرق استرق عبداً، ومن قتل نفسه حرمت عليه الجنة، وكان إذا ملك الملك عليهم اشترط عليهم أنهم رقيقه، وأن أموالهم له ما شاء أخذ منها وما شاء ترك.

وشرع لهم نكاح أربع والطلاق ثلاثاً، ورخص لهم في نكاح غير ملتهم، وفي نكاح الأمة، وفي مخالطة الحائض سوى الوطء

(١) هو ترك الزواج مع القدرة عليه ومنه قوله تعالى عن سيدنا يحيى عليه السلام: «وسيداً وحصوراً» أي لا يشتهى النساء، وهي مدح بالنسبة لسيدنا يحيى ولغيره ذم، أخرج الديلمي عن عطية بن بشر عن النبي ﷺ أنه قال: «لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على رجل تحصر ولا حصور بعد يحيى بن زكريا» [متخب الكنز ٦/ ٣٩١].

(٢) في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في المعرفة عن أنس أن النبي ﷺ قال لعثمان بن مظعون: «إنها لم تكتب علينا الرهبانية وإن رهبانية أمتي الجلوس في المساجد انتظاراً للصلوات والحج والعمرة» وأخرج أبو داود عن أبي أمامة: أن رجلاً قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال: «سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله».

وإتيان المرأة فى قبلها على أى هيئة شاؤا، وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية، وشرع لهم دفع الصائل^(١)، وكانت بنو إسرائيل كتب عليهم إذا الرجل بسط يده إلى الرجل لا يمتنع منه حتى يقتله أو يدعه .

وحرم عليهم كشف العورة، والنوح على الميت، والتصوير^(٢)، وشرب المسكر وآلات الملاهى، ونكاح الأختين، وأواني الفضة والذهب، والحرير وحلى الذهب على رجالهم، والسجود لغير الله، وكان ذلك تحية لمن قبلنا، فأعطينا مكانه السلام، وكرهت لهم المحاريب^(٣)، وعصموا من الاجتماع على

(١) الصائل هو الواثب أو الحامل على غيره ليقته .

(٢) المجمع على تحريمه من التصوير ما اجتمع فيه خمسة قيود عند أولى العرفان

١- كون الصورة للإنسان أو الحيوان .

٢- كونها كاملة لم يعمل فيها ما يمنع الحياة من النقصان كقطع رأس أو نصف صدر أو تفريق أجزاء .

٣- كونها فى محل يعظم لا فى محل يمتن .

٤- وجود ظل لها فى العيان

٥- ألا تكون لصغار البنات من النسوان، فإن انتفى قيد من هذه الخمسة كانت مما فيه

اختلاف العلماء فتركها حينئذ من باب الورع والاحتياط فى الدين .

هذا ومن أراد المزيد والبحث عن الأدلة فليطالع كتب المذاهب فى ذلك وهناك رسالة جمعت أقوال المذاهب وأدلتهم وفصلت الكلام فى حكم التصوير بعنوان (إفادة أهل التنوير بما قيل فى التصوير) للشيخ حسين الطمائي - راجع مجموع فتاوى ورسائل السيد علوى المالكي الحسنى (والد المؤلف) .

(٣) المحاريب غرف مخصوصة كانوا يتخذونها لصلواتهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كلما

دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ الآية .

الضلالة ، ومن أن يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، ومن أن يدعو عليهم نبهم بدعوة فيهلكوا ، واجتماعهم حجة واختلافهم رحمة ^(١) ، وكان اختلاف من قبلهم عذاباً ، والطاعون لهم شهادة ورحمة ، وكان على الأمم عذاباً وما دعوا به استجيب لهم ، ويؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ، ويحجون البيت الحرام ، ولا يناون عنه أبداً ، ويعجل لهم الثواب فى الدنيا مع ادخاره فى الآخرة وتتباشر الجبال والأشجار بمرورهم عليها لتسييحهم

(١) ينبغي التنبيه هنا إلى أنه لا اختلاف في أصل الشريعة ولا هي موضوعة على وجود الخلاف فيها أصلاً . بل الخلاف راجع إلى تباين أنظار المكلفين وتفاوت مداركهم . فمن كان من أهل الاجتهاد فاجتهد وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر .

أما الرحمة في اختلاف المجتهدين فمعناها السعة بتوسعة مجال الاجتهاد . فاختلف الصحابة مثلاً يدل على أنهم رضي الله عنهم اجتهدوا فاختلفوا فيكون ذلك مُسهلاً على من بعدهم سلوك طريق الاجتهاد الذى لا يأمن فيه المجتهد على نفسه من الخطأ ومن مخالفة غيره .

وعلى هذا وجب أن لا يفسد الخلاف للوّد قضية وأن لا يكون سبباً للتنازع الذى نهى الله تعالى عنه وإلا أصبح الخلاف شرّاً .

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم هم القدوة في فهم الشريعة قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ما يسرنى أن لي باختلافهم حمر النعم . وقال : ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا . اهـ هذا ويرى بعض أهل العلم أن من معانى الرحمة التوسعة على العامة أن يتبعوا من شأؤوا من أهل العلم بحيث لا يكون المسلم ملزماً باتباع إمام بعينه وهذا ينبغي أن يُقيد بعدم تتبع الترخص وسقطات العلماء وإلا كان من اتباع الهوى والخروج عن حكمة التكليف . والله أعلم . (انظر الموافقات للشاطبي وجامع بيان العلم لابن عبد البر)

وتقديسهم، وتفتح أبواب السماء لأعمالهم، وأرواحهم، وتبأشر بهم الملائكة، ويصلى عليهم الله وملائكته كما صلى على الأنبياء كما قال تعالى: «هو الذى يصلى عليكم وملائكته» (١).

ويقبضون على فرشهم وهم شهداء عند الله، وتوضع المائدة بين أيديهم فما يرفعونها حتى يغفر لهم، ويلبس أحدهم الثوب فما ينفذه حتى يغفر له، وصديقيهم أفضل الصديقين، وهم علماء حكماء كادوا لفقههم أن يكونوا كلهم أنبياء ولا يخافون فى الله لومة لائم، وأذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وقرباتهم الصلاة وقربانهم دماؤهم، وسرّ على من لم يتقبل عمله منهم، وكان من قبلهم يفتضح إذا لم تأكل النار قربانه، وتغفر لهم الذنوب بالاستغفار، والندم لهم توبة.

وروى أن آدم عليه السلام قال: «إن الله عز وجل أعطى أمة محمد ﷺ أربع كرامات لم يعطينها: كانت توبتى بمكة، وأحدهم يتوب فى أى مكان كان، وسلبت ثوبى حين عصيت وهم لا يسلبون، وفرق بينى وبين زوجتى، وأخرجت من الجنة».

وكان بنو إسرائيل إذا أخطأ أحدهم حرم عليه طيب الطعام، وأصبحت خطيئته مكتوبة على باب داره، ووعدوا أن لا

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٤٣.

يهلكوا بجوع ، ولا بعدو من غيرهم يستأصلهم ولا بغرق ولا يعذبوا
بعذاب عذب به من قبلهم ، وإذا شهد اثنان منهم لعبد بخير
وجب له الجنة .

وكان الأمم السالفة لا يجب لأحد منهم الجنة إلا إن شهد له
مائة وهم أقل الأمم عملاً وأكثرهم أجراً وأقصرهم أعماراً ، وكان
الرجل من الأمم السالفة أعبد منهم بثلاثين ضعفاً ، وهم خير
منه بثلاثين ضعفاً ، ووهب لهم عند المصيبة الصلاة والرحمة
والهدى ^(١) ، وأوتوا العلم الأول والعلم الآخر ، وفتح عليهم خزائن
كل شيء حتى العلم ، وأوتوا الإسناد والأنساب ، والإعراب ،
وتصنيف الكتب ، وحفظ سنة نبيهم في كل دور حتى ينزل عيسى
ابن مريم عليه السلام ، ومنهم أقطاب ، وأوتاد ، ونجباء وأبدال ^(٢) ،

(١) إشارة إلى قوله تعالى : «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» البقرة آية ١٥٧ .

(٢) مبحث في الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال الخ .

هذه هي مراتب أو درجات الأولياء في اصطلاح الصوفية وقد ألف ابن عابدين والسيوطي
وغيرهم رسائل في الكلام عن هذه المراتب وتكلم عن ذلك ابن حجر المكي في الفتاوى
الحديثية ، والسيد محمد نوري النقشبندی في كتابه : «ردود على شبهات السلفية» .
وخلاصة القول نجملها في ما يأتي .

١ - معاني هذه المسميات ٢ - أدلة وجودهم من السنة النبوية ٣ - فائدة وجودهم =

=أولاً : معنى القطب قال اليافعي : سمي القطب قطباً لدورانه في جهات الدنيا الأربع كدوران الفلك في أفق السماء وقد سترت أحواله عن العامة والخاصة ، وهو خليفة الباطن وسيد أهل زمانه سمي قطباً لجمعه المقامات والأحوال ودورانها عليه مأخوذ من القطب وهو الحديدية التي تدور عليها الرحي وهو أكمل الناس في مقام الفردية وفي بعض كتب ابن عربي : أن كل من دار عليه مقام من المقامات يسمى قطباً وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد وشيخ الجماعة قطب تلك الجماعة ، ولكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقاً من غير إضافة لا يكون إلا واحداً وهو الغوث ويجوز أن يجمع الخلافة الظاهرة مع الباطنة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، ومنهم من يحوز الخلافة الباطنة فقط كحال أكثر الأقطاب ، هذا ومكانة القطب من الأولياء كمكانة النقطة في الدائرة التي هي مركزها .

أما الأبدال فسموا بذلك لحديث : كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، وسيأتي ذكره ، وقيل لأنهم أبدلوا أخلاقهم السيئة حتى صارت محاسن أخلاقهم حلية أعمالهم أو لأنهم خلف عن الأنبياء ، أو لما نقله الشهاب : أنه إذا رحل البدل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح ذلك الموطن الذي رحل عنه الولي فإن ظهر شوق من أناس ذلك الموطن شديد لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله فكلمهم وكلموها وهو غايب عنها ، وقد يكون هذا من غير البدل لكن الفرق أن البدل يرحل وهو يعلم أنه ترك غيره وغير البدل لا يعرف ذلك وإن تركه .

وهم طائفة من أهل المحبة والكشف والمشاهدة والحضور يدعون الناس إلى التوحيد والإسلام ، وردت الأخبار مختلفة في عددهم وقد علل ذلك ابن حجر بأن تلك الأعداد اصطلاح فقد يكونون في ذلك العدد نظروا إلى مراتب عبروا عنها بالأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والحديث نظر إلى مراتب أخرى والكل متفقون على وجود تلك الأعداد ورجح ابن حجر بأنهم سبعة وقيل ثلاثون وقيل أربعة عشر وجاء في حديث أبي نعيم في الحلية : أنهم أربعون ، وفي حديث الإمام أحمد : أنهم ثلاثون والأوتاد : جمع وتد بالكسر والفتح لغتان ، وقال ابن عربي : هؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾ لأن حكم هؤلاء في العالم حكم الجبال في الأرض فإنه بالجبال يسكن ميل الأرض ، وقال الشهاب المنيني عن المناوى : الأوتاد أربعة في كل زمان لا يزدون ولا ينقصون ، أحدهما =

= يحفظ الله به المشرق والآخر المغرب والآخر الجنوب والآخر الشمال . وذكر ابن حجر: أنهم اتفقوا على أن الإمام الشافعى (رحمه الله) كان من الأوتاد .

والنجباء : جمع نجيب قال ابن عربى : وهم ثمانية فى كل زمان ومكان لا يزيدون ولا ينقصون وقيل عددهم سبعون ورتبتهم فوق النقباء ودون الأبدال .

والنقباء جمع نقيب قال فى الصحاح : النقيب العريف وهو شاهد القوم وضمنهم وعددهم ثلثمائة وقال ابن عربى : اثنا عشر نقيباً .

هذا ، وهناك مسميات أخرى مثل الأخيار والعمد والغوث مما اصطلاح عليه القوم أو جاء ذكره فى الأخبار .

ثانياً : أدلة وجودهم من السنة النبوية ، منها ما رواه الطبرانى عن على رضى الله عنه : لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال .

وأخرج الإمام أحمد : الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية : « خيار أمتى كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأبدال ، كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه وأدخله فى الأربعين مكانه ، يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم » ومنها حديث الإمام أحمد « الأبدال فى هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل مكانه رجلاً » (ومعنى على قلب إبراهيم أى على مثل حال قلبه لأنه صبر على البلاء بذبح ولده واحتسب إلى مولاه ورضى بما يرضاه ، وبادر الى التكليف بصدق المهمة) . هذا ولا تناقض بين الأحاديث فى ذكر العدد لأن البديل له إطلاقان كما يعلم من الأحاديث .

وروى أبو نعيم عن ابن مسعود : « أن الله عز وجل فى الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم والله فى الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى والله فى الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم والله فى الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل والله فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل والله فى الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة وإذا مات من الثلثمائة أبدل الله مكانه من عامة الخلق فبهم يحيى ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء =

= وقيل لابن مسعود: كيف بهم يحيى ويميت؟ قال: لأنهم يسألون الله إكثار الأُمم ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون، ويسألون الله فتنبت الأرض ويدعون فيدفع بهم البلاء. ومنها ما رواه الحكيم الترمذى عن أبى الدرداء: « أن الأنبياء كانوا أوتاداً للأرض فلما انقطعت النبوة شكت الأرض الى الله فأبدل مكانهم قوماً من أمة محمد ﷺ بهم يدفع البلاء عن أهلها ... الخ.

وغير ذلك ما رواه ابن أبى الدنيا والديلمى وابن عدى والخلال وغيرهم.

الكلام على أسانيد الأحاديث الواردة فيهم:

طعن ابن الجوزى فى أحاديث الأبدال وحكم بوضعها، لكن تعقبه السيوطى بأن خبر الأبدال صحيح وإن شئت قلت: متواتر ثم قال: مثل هذا بلغ حد التواتر فيحكم بصحته وقال السخاوى خبر الأبدال له طرقه عن أنس بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة وأحسن ما ورد فيهم ما رواه أحمد من حديث شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند على وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: البدلاء يكونون بالشام وهم أربعون كلما مات رجل أبدل الله مكانه الخ رجاله رجال الصحيح إلا شريحاً وهو ثقة اهـ وقال السيوطى: حديث على أخرجه أحمد والطبرانى والحاكم من طرق أكثر من عشرة اهـ وقال السخاوى: ومما يقوى الحديث ويدل لانتشاره بين الأئمة قول الشافعى (رحمه الله) فى بعضهم: كنا نعهده من الأبدال، وقول البخارى فى غيره: كانوا لا يشكون أنه من الأبدال، وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنه من الأبدال.

وقول الإمام أحمد: الأبدال إن لم يكونوا أصحاب الحديث فمن هم؟.

وملخص الأمر فى هذا قول الحافظ ابن حجر: أحاديث الأبدال وردت فى عدة أخبار منها ما يصح ومنها ما لا يصح وأما القطب فورد فى بعض الآثار وأما الغوث فبالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت.

ثالثاً: أما فائدة وجودهم فقد تكلمت الأحاديث - التى سقناها فى الدلالة على وجودهم - عن ذلك. هذا، ومن أراد المزيد فعليه بالرسالة التى كتبها ابن عابدين وبما كتبه ابن حجر الهيتمى فى الفتاوى الحديثية، والشهاب المنينى فى شرح منظومته عن الحافظ السيوطى، والإمام المناوى وكذا ملا على القارى فى المعدن العدنى فى أويس القرنى، والنقشبندى فى ردوده على شبهات السلفية. والله أعلم.

ومنهم من يصلى إماماً بعيسى عليه السلام^(١)، ومنهم من يجرى مجرى الملائكة فى الاستغناء عن الطعام بالتسبيح، ويقاتلون الدجال، ويسمع الملائكة أذانهم فى السماء، وتلبيتهم، وهم الحمادون لله على كل حال، ويكبرون على كل شرف، ويسبحون عند كل هبوط، ويقولون عند إرادة الأمر: أفعله إن شاء الله، وإذا غضبوا هللوا وإذا تنازعوا سبّحوا وإذا أرادوا أمراً قدموا الاستخارة ثم فعلوه، وإذا استووا على ظهور دوابهم حمدوا الله تعالى، ومصاحفهم فى صدورهم، وسابقهم سابق، ويدخل الجنة بغير حساب ومقتصدهم ناج، ويحاسب حساباً يسيراً، وظالمهم مغفور له، وليس منهم أحد إلا مرحوماً، ويلبسون ألوان ثياب أهل الجنة، ويراعون الشمس للصلاة وهم أمة وسط [عدول بتزكية الله عز وجل] وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا وافترض عليهم ما افترض على الأنبياء والرسل، وهو: الوضوء والغسل من الجنابة، وكذلك الحج والجهاد، وأعطوا من النوافل ما أعطى الأنبياء، ونودوا بيا أيها الذين آمنوا، ونودى غيرهم من الأمم فى كتبهم بيا أيها المساكين .

(٢) حديث « وإن منكم لمن ليصلى إماماً بعيسى بن مريم » أو ما معناه ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة ورواه ابن ماجة وغيره .

وخطبوا بقوله تعالى : «اذكروني أذكركم» ^(١) فأمرهم أن يذكره
بغير واسطة ، وخطبت بنو إسرائيل بقوله : «اذكروا نعمتي التي
أنعمت عليكم» ^(٢) فإنهم لم يعرفوا الله إلا بآلائه ، فكانت النعم
موصلة إلى ذكر المنعم ، ولما نزلت : «والسابقون الأولون من
المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم
ورضوا عنه» ^(٣) قال رسول الله ﷺ : «هذا لأمتي وليس بعد الرضى
سخط ، وسموا أهل القبلة ، وشهادتهم تجوز على من سواهم ،
وكانت الأمم لا تجوز لهم شهادة على غير ملتهم ، وكان ابن
مسعود (رضى الله عنه) يقول : «لا يحل فى هذه الأمة التجريد ،
ولامد ولا غل ، ولا صفد ، يعنى : لا تجرد ثياب به ولا يمد عند إقامة
الحدود ، بل يضرب قاعدًا وعليه ثوبه .

قال العلماء : وكان بدء الشرائع على التخفيف ، ولا يعرف فى
شرع نوح وصالح وإبراهيم تثقيل ، ثم جاء موسى عليه السلام
بالتشديد والإثقال ، وتبعه عيسى على نحو ذلك ، وجاءت شريعة
نبينا محمد ﷺ بنسخ تشديد أهل الكتاب ، وفوق تسهيل من كان
قبلهم ، فهى على غاية الاعتدال ، والله أعلم .

(١) سورة البقرة آية ١٥٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٠ .

(٣) سورة التوبة آية ١٠٠ .

القسم الثالث

فيما اختص به في ذاته في الآخرة

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص ﷺ بأنه أول من تنشق الأرض عنه ^(١) ، وأول من يفلق من الصعقة ، وبأنه يحشر في سبعين ألف ملك ويحشر على البراق ، ويؤذن باسمه في الموقف ، ويكسى في الموقف أعظم الحلل من الجنة ، وبأنه يقوم عن يمين العرش ، وبالمقام المحمود ، وأن بيده لواء الحمد ، وآدم فمن دونه تحت لوائه ، وأنه إمام النبيين يومئذ ، وقائد هم وخطيبهم ، وأول من يؤذن له في السجود ، وأول من يرفع رأسه ، وأول من ينظر إلى الله تعالى ، وأول شافع وأول مشفع ، ويسأل الله في حق غيره ، وكل الناس يسألون في أنفسهم ، واختص ﷺ بالشفاعة العظمى في فصل القضاء ، وبالشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وبالشفاعة في إخراج عموم أمته من النار ، حتى لا يبقى منهم أحد ، وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات .

(١) روى الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر » .

وروى الترمذى عن أبي هريرة : « أنا أول من تنشق الأرض عنه ، فأكس حلة من حلل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش : ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري » .

وبالشفاعة فى الموقف تخفيفاً عمن يحاسب ، وبالشفاعة فيمن يخلد فى النار من الكفار أن يخفف عنه العذاب ، وبالشفاعة فى أطفال المشركين أن لا يعذبوا ، وسأل ربه أن لا يدخل النار أحد من أهل بيته فأعطاه ذلك ، وأنه أول من يجوز على الصراط إلى الجنة وأن له فى كل شعرة من رأسه ووجهه نوراً ، وليس للأنبياء إلا نوران .

ويؤمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر ابنته على الصراط ^(١) وأنه أول من يقرع باب الجنة ^(٢) وأول من يدخلها ، وبعده فاطمة (رضى الله عنها) . وخص بالكوثر وبحوض الأعظم ، ولكل نبي حوض ، ولكن حوضه أعرض الحياض ، وأكثرها وارداً ، وخص بالوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة ^(٣) وقوائم منبره رواتب فى الجنة ، ومنبره على ترعة من ترع الجنة ، ^(٤) وما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة ^(٥) ، ولا يطلب منه

(١) روى الحاكم والطبرانى وأبو نعيم عن على مرفوعاً ، « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجب : يا أهل الجمع ، غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر ... رواه الحاكم فى المستدرک ٣ / ١٥٣ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٢) روى الإمام أحمد والترمذى : « أنا أول من يأخذ بحلقة من باب الجنة فأقمعهما » .

(٣) روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) أنه سمع النبى ﷺ يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ ، فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة .

(٤) لقوله ﷺ : « منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة » رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة .

(٥) ورواه البخارى ومسلم بلفظ « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

ولا منافاة بين هذه الرواية ورواية : ما بين قبرى ... « فإن قبره ﷺ فى بيته .

شاهد على التبليغ ، ويطلب ذلك من سائر الأنبياء ، ويشهد لجميع الأنبياء بالبلاغ ، وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه » (١) .

ويكنى آدم عليه السلام فى الجنة به دون سائر ولده ، تكريماً له ، فيقال له : « أبو محمد » ووردت أحاديث فى أهل الفترة أنهم يمتحنون يوم القيامة ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار ، والظن بآل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان لتقربهم عنه ﷺ (٢) .

(١) روى الطبرانى والحاكم والبيهقى عن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى » وهذا الحديث هو السبب فى زواج سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أم كلثوم بنت سيدنا على كرم الله وجهه .
(٢) هذا وقد ورد فى أهل الفترة أحاديث كثيرة تفيد أنهم موقوفون إلى أن يمتحنوا يوم القيامة ، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، والمصصح منها ثلاثة :

١ - حديث الأسود بن سريع ، أن رسول الله ﷺ قال : أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ورجل مات فى الفترة فأما الأصم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونى بالهرم ، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذى مات فى الفترة فيقول : رب ما أتانى لك رسول ، فيأخذ مواعيقهم ليطيعه فيرسل إليهم : أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها فيسحب إليها .

٢ - والثانى : حديث أبى هريرة موقوفاً وهو مثل حديث الأسود ، رواهما الامام أحمد وإسحق فى مسنديهما والبيهقى فى كتاب الاعتقاد وعبد الرزاق بسند صحيح .

٣ - حديث ثوبان (رضى الله عنه) قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون : ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولاً لكننا أطوع عبادك ، فيقول لهم ربهم أرايتكم لو أمرتكم بأمر تطيعونى ؟ فيقولون : نعم فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوا ، فينطلقون =

وورد أن درجات الجنة بعدد آى القرآن ، وأنه يقال لصاحبه : اقرأ وارق ... الخ ^(١) ، فأخر منزلته عند آخر آية يقرأها ، ولم يرد فى سائر الكتب مثل ذلك ، ولا يقرأ فى الجنة إلا كتابه ﷺ دون سائر الكتب ، ولا يتكلم فى الجنة إلا بلسانه .

وكان ﷺ يقول : أنا أول من يقرع باب الجنة ، فيقوم الخازن فيقول : من أنت ؟ فأقول أنا محمد ، فيقول : أقوم فأفتح لك ، ولم أقم لأحد قبلك ، ولا أقوم لأحد بعدك ^(٢) ، والله أعلم .

=حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً فيرجعون إلى ربهم فيقولون : ربنا أجرنا منها فيقول : ألم تزعموا أنى إن أمرتكم بأمر تطيعونى ؟ فيأخذ على ذلك موافقهم فيقول : اعمدوا إليها ، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا ، فيقولون : ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها ، فيقول : ادخلوها ، داخرين ، فقال النبى ﷺ : فلو دخلوها أول مرة لكانت عليهم برداً وسلاماً ، رواه البزار والحاكم وصححه وأقره الذهبى / انظر سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ ١ .

(١) رواه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) انظر الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير جـ ٣ .

(٢) رواه مسلم وأحمد فى مسنده عن أنس (رضى الله عنه) .

القسم الرابع

فيما اختص به في أمته في الآخرة

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص ﷺ بأن أمته أول من تنشق عنهم الأرض من الأمم ،
ويأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء ، ويكونون في
الموقف على كوم عالٍ ولهم نوران كالأنبياء ، وليس لغيرهم إلا نور
واحد ، ولهم سيما في وجوههم من أثر السجود ، وتسعى ذريتهم
بين أيديهم ، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويمرون على الصراط كالبرق
والريح ، ويشفع محسنهم في سيئهم ، وعجل عذابهم في
الدنيا وفي البرزخ لتوافي القيامة محصة ، وتدخل قبورها
بذنوبها ، وتخرج بلا ذنوب ، محص عنها باستغفار المؤمنين ،
لها ما سعت وما سعى لها ، وليس لمن قبلهم إلا ما سعى .

ويقضى لهم قبل الخلائق ، ويغفر لهم المقحّمات ، وهو
أثقل الناس ميزاناً ، ونزلوا منزلة العدول من الحكام ، يشهدون
على الناس أن رسلهم بلغتهم .

ويعطى كلّ منهم يهودياً أو نصرانياً ، فيقال له : يا مسلم هذا
فداؤك من النار ^(١) ، ويدخلون الجنة قبل سائر الأمم ، ويدخل

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى : «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فداؤك من النار» وفي رواية له : «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً» ١هـ / انظر تخريج المراقي لأحاديث الإحياء ج ٤ ص ١٥٥ طبعة بيروت .

منهم الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ومع كل واحد من السبعين
ألفاً سبعون ألفاً ، وأطفالهم كلهم فى الجنة ، وأهل الجنة مائة
وعشرون صفّاً ، سائر الأمم أربعون ، وهذه الأمة ثمانون ، ويتجلى
الله عليهم فيرونه ويسجدون له بإجماع أهل السنة ، وفى
الحديث : « كل أمه بعضها فى الجنة وبعضها فى النار ، إلا هذه
الأمة فإنها كلها فى الجنة » . والله أعلم .

القسم الخامس

فيما اختص به من الواجبات التي هي تخفيف

على غيره وربما شاركه في بعضها

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

خص ﷺ بوجوب صلاة الضحى ، والوتر ، والتهجد ، السواك والأضحية ، والمشاورة ، وركعتي الفجر وغسل الجمعة ، وأربع قبل الزوال ، وبالوضوء لكل صلاة ، وكلما أحدث ، ثم نسخ بالسواك وبالاستعاذة ، ومصافحة العدو ، وإن كثر عددهم ، وإذا بارز رجالاً في الحرب لم ينكشف عنه قبل قتله ، وإظهار تغيير المنكر ، وعدم سقوطه عنه بالخوف ، ووجوب الوفاء بوعده ، وقضاء دين من مات من المسلمين معسراً ، وتخيير نسائه في فراقه ، واختياره ، وإمساكهن بعد أن اخترنه ، وعدم التزوج عليهن أو التبديل بهن مكافأة لهن ، ثم نسخ ذلك لتكون المنة له ﷺ ، وأن يؤدي فرض الصلاة كاملة لا خلل فيها ، وأن يدفع بالتى هي أحسن ، وكلف من علم السياسة وحده ما كلفه الناس بأجمعهم ، وكلف بمشاهدة الحق مع معاشرة الناس ، وكلف من العمل بما كلف به الناس أجمعون .

وكان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحي ، ولا تسقط عنه الصلاة والصوم وسائر الأحكام وكلف بالاستغفار كل يوم سبعين مرة ،

وكانت جميع نوافله التابعة للفرائض زيادة في الأجر ، لا جبراً
لخلل الفرض ، فإنها كلها منه تامة ﷺ ، وخصّ بخمسين صلاة
في كل يوم ليلة ، على وفق ما كان ليلة الإسراء ، وأورد بعض
العلماء الأحاديث في صلاته غير الخمس ، فبلغت مائة ركعة .

وخص بوجوب إيقاظ النائم وقت الصلاة امتثالاً لقوله تعالى :
﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ﴾ .

وخص بوجوب العقيقة ، والإثابة على الهدية ، وأوجب عليه
التوكل ، وحرّم عليه الإدخار (١) وكان يُمَوَّنُ عيال من مات معسراً
ويؤدى الجنایات عمن لزمته وهو معسر ، وكذلك الكفارات
وخص بوجوب الصبر على ما يكره ، وصبر نفسه مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي ، وخطاب الناس بما يعقلون صلى الله عليه
وآله وسلم .

(١) يحرم عليه ﷺ الإدخار في خاصة نفسه أما بالنسبة لأهله ﷺ فقد ثبت في الصحيح
أنه كان يبيع نخل بنى النضير ويحبس لأهله قوت سنة ، ولأن إعطاء القوت هو من باب
إعطاء الحقوق التي هي عليه ﷺ لأهله وفي ذلك عون لهم على الطاعة والقيام بالواجبات .

القسم السادس

فيما اختص به من المحرمات تشریفاً له

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص رسول الله ﷺ بتحريم الزكاة ، والصدقة والكفارة عليه وعلى آله ومواليه إن كان لهم ما يكفيهم وعلى زوجاته بالإجماع ، وكان أبو هريرة (رضى الله عنه) يقول : « إنما كان حراماً عليه صدقات الأعيان ، دون الصدقات العامة كالمساجد ومياه الآبار » (١)

وخص بتحريم جعل آله عمالاً ، وصرف النذر والكفارة إليهم وأكل ثمن أحد من ولد إسماعيل ، ومما خص به تحريم الكتابة والشعر والقراءة في الكتاب ، وكان يحرم عليه نزع لأُمته (٢) إذا لبسها حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه ، وكذلك الأنبياء

(١) صدقات التطوع أو الصدقات العامة تحل لآل بيت النبي ﷺ في الأصح عند الشافعية والحنابلة وأكثر الحنفية وهو الصحيح المشهور عند المالكية ، واستدل للحل بما رواه الشافعي عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه كان يشرب من سقايات بين مكة والمدينة ف قيل له : أتشرب من الصدقات فقال : إنما حرم علينا الصدقة المفروضة .

(٢) لأُمته ، هي الدرع وال سلاح ان احتيج له ، أما إذا هرب عدوه أو حصل بينهم صلح أو نحو ذلك جاز نزعها وهذا يشعر به قوله بعدها : أو يحكم الله بينه وبين عدوه ، فقد روى الامام أحمد والبيهقي وحسنه البخاري وعلقه عن جابر (رضى الله عنه) أن النبي ﷺ قال : ليس لنبي إذا لبس لأُمته أن يضعها حتى يقاتل ... الحديث .

كلهم «عليهم الصلاة السلام» ، والمنّ ليستكثر (١) (أى أن يهدى هدية لثياب بأكثر منها) وخائنة الأعين ، ونكاح الكتابية (٢) ومد الأعين إلى ما متع به الناس ، وتحريم الإغارة إذا سمع التكبير (٣) ، وحرم عليه الخمر من أول ما بعث قبل أن يحرم على الناس بنحو عشرين سنة ، ولم يشربه قط ، ولا أبو بكر : لا فى جاهلية ولا إسلام ، ونهى عن التعرى وكشف العورة قبل مبعثه بخمس سنين .

(١) تحريم المنّ ليستكثر أى : لا تعطى شيئاً تمن به لتطلب أكثر منه فهذا طمع لا يليق بمقامه ﷺ .

(٢) تحريم نكاح الكتابية عليه ﷺ ولو ذميمة لأن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين ولا يجوز أن تكون الكافرة أمهم ، وأيضاً لأنهن زوجات له فى الآخرة ومعه فى الجنة .

(٣) تحريم الإغارة (أى على الأعداء) إذا سمع التكبير أى الأذان فقد ورد فى الصحيحين عن أنس (رضى الله عنه) كان ﷺ إذا غزا قوما لم يغز حتى يصبح وينظر فإذا سمع أذاناً كف عنهم ، وإذا لم يسمع أغار عليهم .

القسم السابع

فيما اختص به من المباحات

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص رسول الله ﷺ بإباحة المكث في المسجد جنباً^(١) ،
وبجواز صلاة الوتر على الراحلة وقاعداً مع وجوبه عليه ،
وبالجهر في القراءة فيه ، وغيره يسر ، وبجواز صلاة الركعة
الواحدة بعضها من قيام وبعضها من قعود - عند بعضهم - ، والقبلة
في الصوم مع قوة الشهوة لعصمته ﷺ والوصال ، وقهر من شاء
على طعامه وشرابه ولباسه إذا احتاج إلى ذلك ، ويجب على
مالك ذلك بذله وإن هلك ، ويفدى بمهجته مهجة رسول الله ﷺ
وبإباحة النظر إلى الأجنبية والخلو بهن وإراد فهن^(٢) ، ونكاح
أكثر من أربع نسوة ، وكذلك الأنبياء ، والنكاح بلا مهر

(١) قال الزرقاني في شرح المواهب : هذا قاله صاحب التلخيص ، ومنعه القفال وهو المعتمد ، وقال النووي : ما قاله في التلخيص قد يحتج له بحديث أبي سعيد الخدري : يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد (أي يمكث فيه جنباً) غيري وغيرك ، قال الترمذي حسن غريب ، وروى البخاري في تاريخه : لا يحل المسجد لحائض ولا جنب إلا لمحمد وآل بيته ، وكذا روى البيهقي وابن عساكر . هذا ومن يراجع شرح الزرقاني على المواهب يجد اختلاف العلماء بشأن هذا الحديث وتضعيفه وحكم الاحتجاج به ، وقد غلط إمام الحرمين صاحب التلخيص في الإباحة ، وقال الزرقاني : واعلم أن معظم المباحات لم يفعلها النبي ﷺ وإن جازت له .

(٢) جواز الخلو بالأجنبيات والنظر إليهن لثبوت عصمته ﷺ وهذا ما أثبتته ابن حجر في فتح الباري وقال : إن هذا من خصائصه ﷺ وإن نازع في ذلك القاضي عياض ، ويدل له قصه أم حرام بنت ملحان وفيها أن النبي ﷺ كان يدخل عليها وينام عندها وتغلى رأسه ولم يكن بينهما محرمة ولا زوجة اهـ . رواه البخاري .

ابتداء وانتهاء ، وبلا وليّ ، وبلا شهود ^(١) ، وفي حال الإحرام ، وبغير رضا المرأة ، وإذا رغب في نكاح امرأة حرم على غيره خطبتها بمجرد الرغبة ، وإذا رغب في مزوجة وجب على زوجها طلاقها لينكحها ^(٢) .

وكان له أن يخطب على خطبة غيره ، وأن يزوج المرأة ممن شاء بغير إذننها وإذن وليها أو يزوجها لنفسه ، وتولّى الطرفين ^(٣) بغير إذننها ولا إذن وليها ، وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس ، فُقِّدَ على الأقرب ، وقال لأم سلمة مري ابنك أن يزوجك فزوجها ، وهو يومئذ صغير لم يبلغ ، وزوجه الله تعالى بزینب ، فدخل عليها بتزويج الله تعالى بغير عقد من نفسه ، وكان له أن يستثنى في كلامه بعد حين منفصلاً ، وأن يصطفى من الغنيمة قبل القسمة ما شاء .

(١) من خصائصه ﷺ النكاح بغير ولي أو شهود وذلك لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه ﷺ وإنما اعتبر الولي في حق غيره للمحافظة على الكفاءة وهو ﷺ فوق الأكفاء واعتبر الشهود لأمن الجحود وذلك لا يجوز عليه ﷺ ولو جحدت هي (أي المرأة) تكون كافرة بتكذيبه ﷺ .

(٢) إذا رغب في مزوجة وجب على زوجها طلاقها لينكحها ، لأنه لا يرغب ولا يشتهي إلا ما أذن الله له فيه ، فما تحصل منه رغبة في شيء إلا ويكون قد قدره الله تعالى وألهمه بطريق الوحي أنه حق ومآله إليه ، وقال الغزالي : لعل السر في ذلك (أي وجوب التطليق على الزوج) امتحان إيمانه بتكليف النزول عن أهله فإنه ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم - إيماناً كاملاً - حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وولده والناس أجمعين .

(٣) ويتولى طرفي العقد لأنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم .

وكان له أن يشهد لنفسه ولولده ، وأن يقبل شهادة من شهد له ولولده ، وله قبول الهدية بخلاف غيره من الحكام ، وكان له قتل من اتهمه بالزنا من غير بينة ، ولا يجوز ذلك لغيره ، وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة ، وليس لنا إلا أن نصلى على نبي أو ملك وضحي عن أمته ، وليس لأحد أن يضحي عن الغير بغير إذنه ، وله أن يجمع في الضمير بينه وبين الله بخلاف غيره (١) ، وله قتل من سبه أو هجاه ، وكان يقطع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها ، وله أن يقطع أرض الجنة من باب أولى صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) الجمع في الضمير بينه وبين الله تعالى كما قال العز بن عبد السلام وغيره : إن له الجمع في الضمير بينه وبين ربه كقوله ﷺ : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وقوله : « ومن يعصمها فإنه لا يضر إلا نفسه » وذلك ممتنع في حق غيره لقوله ﷺ للخطيب حين قال : « ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصمها فقد غوى : بشئ الخطيب أنت قل : « ومن يعص الله ورسوله » قالوا : إنما امتنع من غيره دونه لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاقه التسوية (بين الله ورسوله) بخلافه هو ﷺ فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك .

القسم الثامن

فيما اختص به من الكرامات والفضائل

(صلى الله عليه وآله وسلم)

اختص ﷺ بمنصب الصلاة ، وبأنه لا يورث ، وكذلك الأنبياء
فلهم أن يُوصوا بكل مالهم صدقه ، وكان إذا خرج للغزاة بنفسه
يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى : ﴿ ما كان لأهل
المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ . ولم
يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء .

وخص بتحريم رؤية أشخاص أزواجه وبناته في الأزر^(١) ،
وبتحريم كشف وجوههن وأكفهن لشهادة أو غيرها^(٢) ، وسؤالهن
مشافهة ، وصلاتهن على ظهور البيوت ، وأنهن أمهات
المؤمنين ، ووجوب جلوسهن بعده في البيوت ، وأباح لهن ولآله
الجلوس في المسجد مع الحيض والجنابة^(٣) .

(١) (٢) تحريم رؤية أشخاص بناته وأزواجه في الأزر لأن فرض الحجاب مما اختصن به بلا
خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز كشف ذلك في شهادة ولا غيرها بل يحرم عليهن إظهار
شخصهن وإن كن مستترات بالأزر ونحوها إلا ما دعت إليه ضرورة من خروجهن إلى قضاء حاجة
فلا حرمة ، ويستدل لذلك بأن زينب بنت جحش أمرت باتخاذ القبة فوق نعشها لتستر شخصها
وذلك بمحضر الصحابة وفيهم عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) الذي صلى عليها ولم ينكر ذلك
وفيه أنه يمنع رؤية أشخاصهن ولو بعد الموت .

(٣) سبق الكلام عن ذلك .

وكان تطوعه قاعداً كتطوعه قائماً بلا عذر^(١) ، وكان يجب على المصلى إجابته^(٢) ، وكذلك الأنبياء ، وكان جابر (رضى الله عنه) يقول : ليس على من ضحك في الصلاة وضوء ، إنما وجب على الصحابة لكونهم ضحكوا خلف رسول الله ﷺ ، ويحرم نداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد ، وخص بطهارة دمه وبوله وسائر فضلاته^(٣) ، بل شرب بوله شفاء^(٤) ومن سبّه قتل ، ومن استهان به كفر ، ومحبته فرض على الأمة ، وكذلك محبة أهل بيته وأصحابه ، ولم تبغ امرأة نبي قط ، وأولاد بناته ينسبون إليه . وفي حديث : « إن الله تعالى لم يبعث نبياً قط إلا جعل ذريته من صلبه ، غيرى فإن الله تعالى جعل ذريتي من صلب على »^(٥) . ولا يجوز التزوج على بناته^(٦) ومنع بعض العلماء التزوج على

(١) لما أخرجه الامام مسلم وأبو داود عن ابن عمر قال : حدثت أن النبي ﷺ قال : « صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة فأتيته فوجدته يصلى جالساً فقلت يا رسول الله حدثت أنك قلت صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة ، وأنت تصلى قاعداً قال : أجل ولكنى لست كأحد منكم » .
(٢) لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ الآية ، قال العلماء : استدل بها على وجوب إجابته ﷺ إذا نادى أحداً وهو فى الصلاة - وعن الشافعى أن هذا لا يطلها - ويؤيد القول بالوجوب ما أخرجه الترمذى والنسائى عن أبى هريرة مر النبى ﷺ على أبى ابن كعب وهو يصلى فدعاه فجعل فى صلاته ثم جاء فقال : ما منعك من إجابتي قال : كنت أصلى قال : ألم تخبر فيما أوحى : « استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » قال : بلى ولا أعود إن شاء الله ... الحديث .

(٣) (٤) يراجع الخصائص الكبرى للامام السيوطى فقد فصل القول فى كل ما يتعلق بذلك .

(٥) رواه الطبرانى عن جابر والخطيب عن ابن عباس .

(٦) عدم التزوج على بناته ﷺ لحديث البخارى وفيه : « إن بنى هاشم استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب ، فاستشاروا النبى ﷺ فقال : لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى ... الحديث .

ذرية بناته ، وإن سفلن إلى يوم القيامة ، ووجهه ظاهر ، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار ، ولا يجتهد في محراب صلى إليه لا في يمنة ولا في يسرة ، ويجل منصبه عن الدعاء له بلفظ الرحمة (١) .

وليس لأحد أن ينقش « محمد رسول الله » على خاتمه ، كما كان خاتمه ﷺ وكان لا يقول في الغضب والرضا إلا حقاً ، ورؤياه حق ، وكذلك الأنبياء .

ولا يجوز على الأنبياء الجنون ولا الإغماء الطويل الزمن ، على أن إغماءهم بخلاف إغماء غيرهم ، كما خالف نومهم نوم غيرهم ، وبالجملة فيجب تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل نقص ينفر النفوس وكان له ﷺ أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام ، كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين ، وكما رخص في

(١) قال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد إذا ذكر النبي ﷺ أن يقول : رحمه الله ، لأنه قال : من صلى على ، ولم يقل من ترحم على ولا من دعا لي وإن كان معنى الصلاة الرحمة ، ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيماً له ﷺ فلا يعدل عنه إلى غيره ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ قال ابن حجر في (شرح البخارى) وهو بحث حسن .

النياحة لخولة بنت حكيم ^(١) وفى ترك الإحداد لأسماء بنت
عميس ^(٢) ، وخص نساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن ،
لكونهن غرائب لا مأوى لهن .

(١) ترخيصه ﷺ فى النياحة لأُم عطية (نسية بنت الحارث الأنصارية) - أو لخولة بنت
حكيم - أخرج ذلك الامام البخارى فى كتاب التفسير عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية ،
قالت : بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا « أن لا يشركن بالله شيئاً » ونهانا عن النياحة فقبضت
امراً يدها وقالت : أسعدتنى فلانة (الاسعاد قيام المرأة مع الأخرى فى المناحة تراسلها ، أى
تساعدتها ، وهو خاص بهذا المعنى ولا يستعمل إلا فى المساعدة عليها) أريد أن أجزيها
فما قال لها النبى ﷺ شيئاً فانطلقت ورجعت فبايعها . وللنسائي : اذهبى فأسعديها وقال
الحافظ : التى قبضت يدها هى أم عطية .

قال النووى : هذا محمول على الترخيص لأُم عطية خاصة وللشارع أن يخص من العموم
من يشاء ، وقال الزرقانى (فى المواهب) : والظاهر أن النياحة كانت مباحة ثم كرهت
تنزيهاً ثم حرمت فيكون الإذن بذلك وقع لبيان الجواز مع الكراهة ثم لما تمت مبايعة النساء
وقع التحريم وورد الوعيد الشديد . ولا يفهم من هذا الترخيص لأُم عطية أنه ﷺ رخص لها
فى النياحة على إطلاقها ، فليس كل نياحة فيها ألفاظ السخط والاعتراض على المولى عز
وجل ولطم الخدود وشق الجيوب فهذا كفر ومحال أن يرخص فيه النبى ﷺ لأحد ويحتمل
أن يكون رخص لها أن تساعدهم لعلمهم أنهم لا يأتون مثل هذه الألفاظ أو الأفعال التى فيها
سخط واعتراض وإن كان هناك نوع من الكراهة التنزيهية كما لا يخفى وهذه قضية فى أمر
خاص لا يقاس عليها .

(٢) ترك الإحداد لأسماء بنت عميس الخثعمية التى تزوجها جعفر بن أبى طالب ثم أبو
بكر ثم على وولدت لهم وماتت بعد على وهى أخت ميمونة بنت الحارث (أم المؤمنين)
لأمها ، أخرج ابن سعد والنسائي : « لما أصيب جعفر قال لى رسول الله ﷺ : تسلبى أى
(أحدى) على زوجك ثلاثاً (والتسلب امتناع المرأة من الزينة والخضاب بعد موت زوجها)
ثم اصنمى ما شئت ، فأباح لها ترك الإحداد بعدها مع وجوبه على المرأة ما دامت فى
العدة .

وكان يرى من خلفه كما ينظر أمامه وعن يمينه وعن شماله ^(١) ، ويرى بالليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار ^(٢) وفي الضوء ريقه يعذب الماء المالح ، ويجزىء الرضيع ، ويبلغ صوته وسمعه مالا يبلغه غيره ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وما ثئاب قط ، ولا احتلم قط ، وكذلك الأنبياء في (الثلاثة) ، وعرقه أطيب من المسك .

وكان إذا مشى مع الطويل طاله ، وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين ، ولم يقع ظله على الأرض ^(٣) ، ولا رؤى له ظل في الشمس ولا القمر ^(٤) ، ولم يقع على ثيابه ذباب قط ولا آذاه القمل .

وكان إذا ركب دابة لا تروث ولا تبول وهو راكبها ، ولم تكن لقدمه خَمَصٌ ، وكان خنصر رجله متظافرة ، وكانت الأرض تطوى

(١) (٢) أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم ، إنى لأراكم من وراء ظهري » .

وأخرج ابن عدى والبيهقي وابن عساكر ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يرى في الظلماء كما يرى في الضوء : وقال العلماء : هذا الإبصار إدراك حقيقى خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة ، ثم يجوز أن يكون برؤية عينيه انخرقت له فيه العادة أيضاً ، فكان يرى بهما من غير مقابلة لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها المقابلة عقلاً ، ولذلك حكموا بجواز رؤية الله تعالى في الآخرة ، والله أعلم .

(٣) (٤) أخرج الحكيم الترمذى ، عن ذكوان أن رسول الله ﷺ لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر ، وقال ابن سبع : من خصائصه : أن ظله كان لا يقع على الأرض ، وقيل حتى لا يطؤه كافر بقدمه ، والله أعلم .

له إذا مشى ، وأوتى قوة أربعين فى الجماع ^(١) والبطش ، كل رجل قوته قوة مائة رجل .

وكان أقنع الناس فى الغذاء ، تقنعه اللعقة ، وكانت الأرض تبتلع ما يخرج منه ^(٢) ، ويشم من مكانه رائحة المسك ، وكذلك الأنبياء ، ولم يقع فى نسبه من لدن آدم سفاح قط ، وتقلب فى الساجدين حتى خرج نبياً ، ولم يلد أبواه غيره ، ونكست الأصنام لمولده ، وولد مختوناً ، ومقطوع السرة ونظيفاً ما به قدر ، ووقع إلى الأرض ساجداً ، رافعاً أصبعه كالمتضرع المبتهل ، ورأت أمه عند ولادته نوراً خرج منها أضواء له قصور الشام ، وكذلك أمهات النبيين يرين ، ولم ترضعه مرضعة إلا أسلمت ، وكان فى مهده يتحرك بتحريك الملائكة ، ويميل القمر إليه حيث أشار إليه ^(٣) ، وتكلم فى المهد ، وكان ما تكلم به أن قال : « الله أكبر

(١) أخرج البخارى من طريق قتادة ، عن أنس قال : كان النبى ﷺ يدور على نساؤه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهنَّ إحدى عشرة قلت لأنس : أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين « ... وغير ذلك من الأحاديث التى ساقها السيوطى فى الخصائص .

(٢) أخرج ابن سعد وأبو نعيم والبيهقى وغيرهم عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله تأتى الخلاء فلا يرى منك شيء من الأذى ؟ قال : « أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء » .

(٣) أخرج البيهقى والصابونى فى (المأثورات) والخطيب وابن عساكر عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت يا رسول الله دعانى إلى الدخول فى دينك أمانة لنبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال . قال : إني كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش .

كبيراً والحمد لله كثيراً» (١) وردت إليه الروح بعد ما قبض ، ثم خير بين البقاء فى الدنيا والرجوع إلى الله فاختر الرجوع إليه ، وكذلك الأنبياء .

وأرسل إليه ربه جبريل ثلاثة أيام فى مرضه ، يسأله عن حاله ، ولما نزل إليه ملك الموت نزل معه ملك يقال له « إسماعيل » يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء ولم يهبط إلى الأرض قبل ذلك اليوم قط (٢) ، وسمعوا صوت ملك الموت يبكى وينادى عليه : « وامحمداه . » (٣) .

وصلى عليه ربه والملائكة ، وصلى عليه الناس أفواجاً بغير إمام ، وقالوا : هو إمامكم حياً وميتاً ، وبغير دعاء الجنازة المعروف ، ودفن فى بيته حيث قبض ، وكذلك الأنبياء .

والأفضل فى حق غيرهم الدفن فى المقبرة ، وأظلمت الأرض بعد موته ، وهو حى فى قبره يصلى فيه بأذان وإقامة ، وكذلك

(١) قال ابن حجر فى شرح البخارى : أن النبى ﷺ تكلم أوائل ما ولد وذكر ابن سبع أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة وأن أول كلام تكلم به : « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً » .

(٢) (٣) رواه الشافعى والبيهقى والطبرانى بإسناد معضل وذكر السيوطى الحديث بطوله فى الخصائص باب : « ما وقع له عند احتضاره ﷺ من الآيات والخصائص .

أما حديث بكاء ملك الموت فقد أخرجه أبو نعيم عن على (رضى الله عنه) كما ذكر السيوطى فى الخصائص أيضاً .

الأنبياء ، وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها كقراءة القرآن (١) ،
ويستحب الغسل لقراءة حديثه والطيب ، ولا ترفع عنده الأصوات
كما هو في حياته ﷺ ويكره لقارئ حديثه أن يقوم لأحد ، وحملة
الحديث لا تزال وجوههم نضرة ، وأصحابه كلهم عدول .

ومن خصائصه ، أن الإمام بعده لا يكون إلا واحداً (٢) ولم تكن
الأنبياء قبله كذلك . وأن آله لا يكافئهم في النكاح أحد من
الخلق ، ويطلق عليهم الأشراف ، وهم ولد على وعقيل وجعفر و
العباس ، كذا مصطلح السلف (رضى الله عنهم) .

وإنما حدث تخصيص الشرف بولد الحسن والحسين في مصر
خاصة ، من عهد الخلفاء والفاطميين .

ومن خصائص ابنته فاطمة رضي الله عنها : أنها كانت لا
تحيض (٣) ، وكانت إذا ولدت طهرت من نفاسها بعد ساعة حتى
لا تفوتها صلاة ، ولذلك سميت الزهراء .

(١) لأنها راجعة الى الوحي في معناها ، وقوله : ﴿قراءة القرآن﴾ أى أنه يثاب على
تلاوتها كما يثاب على تلاوة القرآن إلا أنه يشترط فيها الفهم . أمّا القرآن فهو متعبد بتلاوته
بفهم وبغير فهم . وعلى هذا فليس المقصود أن أحاديثه ﷺ تساوى القرآن في الدرجة .

(٢) المقصود بالإمام هنا الإمامة العظمى وهي الخلافة الدينية ومن شروطها : يجب أن
يكون الإمام واحداً لئلا يختلفا فيؤدى ذلك إلى الفساد في أحوال الأمة .

(٣) في الفتاوى الظهيرية الحنفية . قالت المولدات : طهرت من نفاسها بعد ساعة لئلا
تفوتها صلاة ولذلك سميت الزهراء . وجزم بذلك من أصحاب الشافعية المحب الطبري
وأورد حديثين في كتابه « ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى » وقال ابن الجوزي عن
الحديثين إنهما موضوعان وأقره على ذلك السيوطي مع شدة عليه . =

ولما جاعت وضع ﷺ يده على صدرها ، فما جاعت بعد ، ولما احتضرت غسلت نفسها ، وأوصت أن لا يكشفها أحد ، فدفنها على (رضى الله تعالى عنه) بغسلها ذلك .

وكان ﷺ إذا مسح بيده رأس أقرع نبت الشعر فى وقته ، وغرس نخلاً فأثمرت من عامها ، وكان إذا تبسم فى الليل أضاء البيت ، وكان يسمع حفيف أجنحة جبريل وهو بعد فى سدرة المنتهى ، ويشم رائحة إذا توجه بالوحى إليه ، وكان له قراءة القرآن بالمعنى ^(١) ، واهتز العرش لموت أحد أصحابه فرحاً بقاء روحه ^(٢) .

ولم يكن يمر ﷺ فى طريق فيتبعه فيها أحد إلا عرف أنه سلكها

= وليس معنى هذا أننا ننكر إمكان أنها (رضى الله عنها) كانت لا تحيض ولا يرى لها دم فى طمث ولا فى ولادة ، بأن يطهرها الله سبحانه وتعالى من دم الحيض والنفاس خصوصية لها دون غيرها ، وإن كان الحديثان موضوعين - كما حكم ابن الجوزى ومن تبعه - فهذا من ناحية الإسناد ، وليس هو من المستحيل العقلى فى شيء .

(١) هذه العبارة تحتاج إلى تمحيص وإثبات لأن القرآن الكريم على مذهب الجمهور لفظاً ومعنى من عند الله تبارك وتعالى ، ولا يجوز فيما نعلم روايته بالمعنى ، ولذلك فلا يثبت تخصيص إلا بنص ونحن نطالب به .

(٢) هو سيدنا سعد بن معاذ (رضى الله عنه) فقد أخرج الشيخان عن جابر (رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ : اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ، قال ابن فورك فى مشكل الحديث وبيانه : والصحيح من التأويل فى ذلك أن يقال : الاهتزاز هو الاستبشار والسرور ، وذهب بعض أهل العلم إلى أن العرش تحرك واهتز حقيقة ولا منافاة بين الرأيين لأننا نشاهد فى الإنسان إذا زادت فرحته بشيء اهتز وتمایل من شدة الفرح .

من طيبه وحسن رائحته ، وبالجمله فأوصافه ﷺ الحسنه لا
تحصى ولا تحصر ، وفى هذا القدر كفاية وتنبيه على ماسواه .

قال الإمام الشعرانى (رضى الله عنه) : وقد كتبت هذه
الخصائص من خط سيدنا وشيخنا خاتمة الحفاظ الشيخ جلال
الدين السيوطى (رحمه الله ونفعنا بعلمه والمسلمين) وكان رضى
الله عنه يقول : تتبعت هذه الخصائص حتى أنهيتها إلى هذا الحد
مدة عشرين سنة ، ولم أعلم أحداً أنهاها إلى هذا الحد ، والله
أعلم .

العجز عن وصف المصطفى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال فى الهمزية :

إن من معجزاتك العجز عن وصـ

ـفك إذ لا يحده الإحصاء

كيف يستوعب الكلام سجيـ

ك وهل تنزح البحار الرّكـ

ليس من غاية لمدحك أبغـ

ـها وللقول غاية وانتهاء

إنما فضلك الزمان وآيا

تك فيما نعده الآنـ

وقال السبكى فى آخر تائيته :

وأقسم لو أن البحار جميعها

مدادى وأقلامى لها كل غوطة

لما جئت بالمعشار من آيك التى

تزيد على عد النجوم المنيرة

وقال غيره :

فبالغ وأكثر لن تحيط بوصفه

وأين الثريا من يد المتناول

ورؤى عمر بن الفارص في النوم ف قيل له : لِمَ لَمْ تمدح
النبي ﷺ صراحة ؟ فقال :

أرى كل مدح في النبي مقصّراً
مهما بالغ المثنى عليه وأكثره
إذ الله أثنى بالذي هو أهله
عليه فما مقدار ما تمدح النورى ؟
وقال غيره :

مدحتك آيات الكتاب فما عسى
يأتى على عليك نظم مديحي
وإذا كتاب الله جاءك مادحاً
كان القصور قصارى كل فصيح

أنا ابن العواتك (١)

« أنا ابن العواتك من سليم » رواه سعيد بن منصور ، والطبراني عن شهاب بن عاصم (رضى الله عنه) . قال رحمه الله تعالى : قال فى الصحاح : « العواتك من جداته ﷺ تسع ، وقال غيره : كان له ثلاث جدات من سليم ، كل تسمى عاتكة ، وهن : عاتكة بنت هلال بن فالح (بالجيم) ابن ذكوان ، أم عبد مناف ، وعاتكة بنت مرة بن هلال « أم هاشم » ، وعاتكة بنت الأوقصى بن مرة بن هلال « أم وهب أبى آمنه » وبقية التسع من غير بنى سليم .

قال الحلیمی : لم يرد ﷺ بذلك فخراً بل تعريف منازل المذكورات ، كما يقال كان أبى فقيهاً لا يريد به إلا التعريف ، ويمكن أنه ﷺ أراد به التحدث بنعمة الله تعالى فى نفسه وآبائه وأمهاته ، وبنو سليم تفخر بهذه الولادة .

وفى رواية لابن عساكر ، « أنا ابن الفواطم » وهذا قاله يوم حنين ، قال فى الروض : يقال : امرأة عاتكة ، وهى المصفرة بالزعفران والطيب ، وفى القاموس : العاتك : الكريم وقال ابن سعد : العاتكة فى اللغة : الطاهرة .

(١) وفى القاموس : عتكت المرأة شرفت ورأست .

أنا أولى بالمؤمنين

« أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعلى قضاؤه ، ومن ترك مالاً فهو لورثته ، رواه الإمام أحمد ، والبخارى ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) . وهو ﷺ أولى بالمؤمنين بنص رب العالمين ، قال الله تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ .

قال بعض الصوفية : وإنما كان ﷺ أولى بهم من أنفسهم لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك ، وهو ﷺ يدعوهم إلى النجاة ، ويترتب على كونه أولى ، أنه يجب عليهم إيثار طاعته على شهوات نفوسهم ، وإن شق عليهم ، وأن يحبوه بأكثر من محبتهم لأنفسهم ، ويدخل فيه النساء .

وقوله ﷺ : « من أنفسهم » أى أنا أولى بهم من أنفسهم فى كل شىء من أمر الدارين ، لأننى الخليفة الأكبر الممد لكل موجود فيجب عليهم أن أكون أحب إليهم من أنفسهم ، وحكمى أنفذ عليهم من حكمها ، وهذا قاله ﷺ لما نزلت الآية .

ومن محاسن أخلاقه السنية ﷺ « أنه لم يذكر ماله فى ذلك من الحقوق ، بل اقتصر على ما عليه ، حيث قال : فمن توفي من المؤمنين » الخ .

قال النووى : وحاصل معنى الحديث : أنا قائم بمصالحكم

فى حياة أأءكم وموته ، أنا ولىه فى الءالىن ، فإن كان علىه ءىن قضاىته إن لم ىءلف وفاء ، وإن كان له مال فلورثته ، لا آأء منه شىئاً ، وإن ءلف عىالاً مءءاآىن ، فعلى مؤنئهم : ﷺ ، ما أرافه وأشفقه على أمة . !

ءقلله ﷺ من ءلنا كان آءتیاراً

عن أبى أمانة (رضى الله تعالى عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « عرض على ربى لىءعل لى بطءاء مكة ذهاباً ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يوماً وأأوع يوماً ، فإذا آعتُ ءضرعت إلك وذكرك ، وإذا شبعء ءمءءك وشكرءك » رواه الإمام أءمء والءرمذى .

وآمع ﷺ بىن الصبر والشكر ، وهما صفءا المؤمن الكامل المءلص ، قال تعالى : « إن فى ذلك لآىاء لكل صبار شكور » . وءكمة هذا ءفصىل الاءئلءا ذ بالءطاب ، وإلا فالله تعالى عالم بالأشىاء آملة وءفصىلاً . وهذا ىعرفك بأن ما كان علىه ﷺ من ءقلل من ءلنا لم ىكن اضطراراً بل آءتیاراً مع إمكن ءلوسع والءبسء له صلى الله علىه وآله وسلم .

لطيفة

كان للأديب الأكبر الشيخ « عبد الجليل برادة المدني ، صديق حميم سافر إلى المغرب فأرسل إلى الشيخ عبد الجليل يقول له :

تعالى نجدد دارس الحب بيتنا

كلانا على طول البعاد ملوم

فأجابه :

تعالى نجدد دارس الحب بيتنا

بطيبة إذ فيها النعيم يدوم

يلام الذي عنها تناءى فلا تقل

كلانا على طول البعاد ملوم

اهـ/ إملاء شيخنا محمد نور سيف

أسماء النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قد تعرض جماعة لتعدادها ، وبلغوا بها عدداً مخصوصاً ، فمنهم من بلغ تسعة وتسعين ، موافقة لعدد أسماء الله الحسنى الواردة في الحديث .

وقال القاضي عياض : وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً .

وقال ابن دحية في كتابه « المستوفى » : إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفي الثلاثمائة .

قال في المواهب : ورأيت في كتاب أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي ، قال بعض الصوفية ، : لله تعالى ألف اسم وللنبي ﷺ ألف اسم ، والمراد من الأسماء « الأوصاف » فكل من الأسماء التي وردت أوصاف مدح وإذا كان ذلك فله ﷺ من كل وصف اسم ثم إن منها ما هو مختص به أو الغالب عليه . ومنها ما هو مشترك ، وكل ذلك بين بالمشاهدة لا يخفى ، وإذا جعلنا له كل وصف من أوصافه اسماً بلغت أوصافه ما ذكر ، بل وأكثر .

قال : والذي رأيته في كلام شيخنا « يعنى الحافظ السخاوى » في « القول البديع » والقاضي عياض في « الشفا » وابن العربي في « القبس » و« الأحكام » له ، وابن سيد الناس ، وغيرهم يزيد

على الأربعمئة ثم سردها مرتبة على الحروف ، وأكثرها جمع شيخه السخاوى فى القول البديع ، وما زاده لغيره قليل جداً ، وزاد عليهم نحو ضعفها الحافظ الشامى تلميذ الحافظ السيوطى ، كما نقله عنه الزرقانى فى شرح المواهب ، وقد جمع ذلك الشيخ النبهانى ، وزاد عليه فبلغ ثمانمئة ونيفاً وعشرين اسماً ، ونظمها فى مزدوجة سماها ، « أحسن الرسائل فى نظم أسماء النبى الكامل » .

من علامات محبته

(صلى الله عليه وآله وسلم)

روى البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنه ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

وروى البخارى عن عمر (رضى الله عنه) أنه قال للنبي ﷺ :
لأنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء إلا نفسى التى بين جنبي ، فقال النبي ﷺ : « لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » فقال عمر : « والذى أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلى من نفسى التى بين جنبي ، فقال له النبي ﷺ : الآن يا عمر » .

وقال على بن أبى طالب (رضى الله عنه) : كان رسول الله ﷺ

أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على
الظَّمأ .

وروى ابن اسحق : أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها
وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت بعد أن أخبروها بموتهم :
ما فعل رسول الله ﷺ قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين ،
فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رآته قالت : « كل مصيبة
بعدك جَلَل » أى صغيرة .

ولما أخرج مشركو مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه ، قال له
أبو سفيان بن حرب - وذلك قبل أن يسلم - : أنشدك بالله يا زيد
أتحب أن محمداً الآن عندنا نضرب عنقه وأنت في أهلِكَ ، فقال
زيد : والله ما أحب أن محمد الآن في مكانه الذى هو فيه تصيبه
شوكة وأنى جالس فى أهلى فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من
الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً .

ولمحبته ﷺ علامات : أعظمها الاقتداء به ، واستعمال سنته ،
وسلوك طريقته ، والاهتداء بهديه وسيرته ، والوقوف على ما حده
لنا من شريعته ﷺ قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحبكم الله ﴾ فجعل تعالى متابعة الرسول ﷺ آية محبة العبد ربه .

ومن علامات محبته ﷺ : أن يرضى المؤمن بما شرعه الله

تعالى على لسانه ﷺ حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى قال
الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً »
فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجاً من قضائه ولم
يسلم له ﷺ فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله ، كما قال
تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ وأكد ذلك بقوله :
« يد الله فوق أيديهم » .

قال سهل بن عبد الله : من لم ير ولاية رسول الله ﷺ في جميع
أحواله ويرى نفسه في ملكه ﷺ لم يذق حلاوة سنته . ومن
علامات محبته ﷺ نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته
والتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع
وغيرها ، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان ومن
وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشقات وأثر ذلك على أعراض
الدنيا الفانيات .

ومن علامات محبته ﷺ تعظيمه عند ذكره ، وإظهار الخشوع
والخضوع والانكسار مع سماع اسمه ، فكل من أحب شيئاً خضع
له ، كما كان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه ﷺ خشعوا
واقشعرت جلودهم وبكوا ، وكذلك كان كثير من التابعين فمن
بعدهم ، يفعلون ذلك محبة له وشوقاً إليه وتهيباً وتوقيراً .

ومن علامات محبته ﷺ كثرة الشوق إلى لقائه .

ومن علامات محبته ﷺ حب القرآن الذي أتى به ، وإذا أردت أن تعرف ما عندك من محبه الله ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك .

ومن علامات محبته ﷺ محبة سنته وقراءة حديثه .

ومن علامات محبته ﷺ إن يلتذ بحبه وبذكره ، وعند سماع اسمه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن علامات محبته ﷺ محبة دينه وآله وصحبه وبلده ، ومحبة كل شيء ينسب إليه ﷺ ، وإذا اشتدت محبة العبد للنبي ﷺ شغلته عن كل شيء ، واستغرقت قلبه وروحه وسمعه ، فتكثر رؤيته له في المنام ولا يذهب عن خاطره ، وقد يراه ﷺ يقظة فيكون من أكابر الأولياء وخيرة الأصفياء .

وهذه صورة من حرص الصحابة على آثار المصطفى ﷺ :

قال أبو نعيم في الدلائل : حدثنا سليمان بن أحمد . حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن منصور ، قال حدثنا هشيم ، قال حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن خالد بن الوليد ، أنه فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال : اطلبوها ، فلم يجدوها ، فقال : اطلبوها فوجدوها فإذا هي قلنسوة خَلَقَتْ ، فقال خالد : اعتمر رسول ﷺ فخلق رأسه ، فابتدر الناس جوانب

شعره ، قال فسبقتهم إلى ناصيته ، فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهى معى إلا رزقت النصر ، رواه أبو نعيم .

أبو لهب يخاف من دعوة النبى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الحافظ أبو نعيم : « عن هبّار بن الأسود ، قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام ، وتجهزتا معهما ، فقال ابنه « عتبة » والله لأنطلقن إليه فلاؤذينه فى ربه ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : « يا محمد هو يكفر بالذى دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى » فقال رسول الله ﷺ « اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك » ثم انصرف عنه فرجع إليه ، فقال : أى بُنى ما قلت له ؟ قال : كفرت بإلهه الذى يعبد ، قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال : اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك ، فقال : أى بنى والله ما آمن عليك دعوة محمد ، فسرنا حتى نزلنا الشراة (وهى مأسدة) فنزلنا صومعة راهب ، فقال : يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد ، وإنها مسرح الضيغم ؟ فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم حقى ، قلنا : أجل يا أبا لهب ، فقال : إن محمداً قد دعا على ابنى دعوة ، والله ما آمنها عليه ، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة ، ثم افرشوا حوله ففعلنا حتى جمعنا المتاع حتى ارتفع ، ثم فرشنا له عليه ، وفرشنا حوله ، فبينما نحن حوله ، وأبو لهب معنا

أسفل ، وبات هو فوق المتاع ، فجاء الأسد فشم وجوهنا ، فلما لم يجد ما يريد تقبض ، ثم وثب ، فإذا هو فوق المتاع ، فجاء الأسد ، فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففضح رأسه ، فقال : سيفى يا كلب : لم يقدر على غير ذلك ، ووثبنا فانطلق الأسد ، وقد فضح رأسه .

«رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة» .

من عجائب آثار معجزاته

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الحافظ أبو نعيم : « حدثنا أحمد بن إسحق وعبد الله بن محمد ، قال : حدثنا أبو بكر بن عاصم قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة : قال : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، : حدثني رجل من بني سلامان بن سعد ، عن أمه ، أن خالها حبيب بن أبي فديك ، حدثها ، أن أباه خرج به رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان ، لا يبصر بهما شيئاً ، فسأله : ما أصابه ؟ قال : إني كنت أمرنّ جملاً لى ، فوقعت رجلى على بيض حية ، فأصيب بصرى ، فنفت رسول الله ﷺ فى عينيه فأبصر ، قال : فرأيتَه يدخل الخيط فى الإبرة وإنه لابن ثمانين ، وإن عينيه لمبيضتان .

من عجائب المعجزات وتأثيرها فى القوى البدنية

قال الحافظ أبو نعيم :

وحدثنا فاروق الخطابى ، حدثنا أبو مسلم ، حدثنا المقدمى ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، : حدثنا حسين بن واقد ، : حدثني أبو نهيك الأزدي ، : حدثني عمرو بن أخطب قال : استسقى رسول الله ﷺ فأتيته بجمجمة وفيها ماء ، وفيه شعرة فناولته ، فنظر إلى فقال : اللهم جمّله ، قال : فرأيتَه وهو ابن

ثلاث وتسعين سنة ، وما فى رأسه ولحيته شعرة بيضاء » وقال :
حدثنا به القاضى أبو أحمد إملاء ، قال أحمد بن إسحق
الجوهري ، قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد الرقى ، :
حدثنا يعلى بن الأشدقى ، قال : سمعت النابغة بن الجعد ،
يقول : أنشدت رسول الله ﷺ هذا الشعر فأعجبه :

بلغنا السماء مجدنا وثرأنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً
فقال النبى ﷺ إلى أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : إلى الجنة ،
قال : أجل إن شاء الله تعالى :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادى تحمى صفوه أن يكدرأ
ولا خير فى جهل إذا لم يكن حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرأ
فقال النبى ﷺ : أجدت ، لا يفضض الله فاك » قال يعلى :
فلقد رأيته وقد أتى عليه نيف ومائة سنة ، وما ذهب له سن . اهـ

زيارة أبي الحسن الشاذلي « رضى الله تعالى عنه »

لما جاء الإمام أبو الحسن الشاذلي المدينة المنورة ، وقف أمام القبر الشريف من الروضة المباركة ، وقال : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله يا رسول الله أفضل وأزكى وأسنى وأعلى صلاة صلاحها على أحد من أنبيائه وأصفياه ، أشهد يارسول الله أنك بلغت ما أرسلت به ، ونصحت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، كنت كما نعتك الله في كتابه :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » . فصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه من أهل سمواته وأرضه عليك يارسول الله .

السلام عليكم يا صاحبي رسول الله ﷺ يا أبا بكر ويا عمر ، ورحمه الله وبركاته ، فجزا كما الله عن الإسلام وأهله أفضل ما جازى به وزيرى نبي فى حياته ، وعلى حسن خلافته فى أمته بعد وفاته ، فقد كنتما لمحمد ﷺ وزيرى صدق ، وخلفتماه بالعدل والإحسان فى أمته بعد وفاته فجزا كما الله عن ذلك مرافقته فى الجنة ، وإيانا معكما برحمته ، إنه أرحم الراحمين . اللهم إني أشهدك وأشهد أبا بكر وعمر ، وأشهد الملائكة النازلين بهذه الروضة الكريمة ، والعاكفين عليها ، أنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين

وإمام المرسلين . وأشهد أن كل ما جاء به من أمر ونهى ، وخبر
عن ما كان وما هو كائن ، فهو صدق لا شك فيه ولا امتراء ، وإنى
مقر لك بجنايتى ومعصيتى فى الخطرة والفكرة ، والارادة والفعله ،
وما استأثرت به على إذا شئت أخذت وإذا شئت عفوت عنه ، مما
هو متضمن للكفران ، والنفاق أو البدعة أو الضلالة أو المعصية
أو سوء الأدب معك ومع رسولك وأنبيائك وأوليائك من الملائكة
والإنس والجن ، وما خصصت به من شىء فى ملكك فقد ظلمت
نفسى بجميع ذلك ، فامن على بالذى مننت به على أوليائك ،
فإنك أنت الله الملك المنان الكريم الغفور الرحيم » .

(انظر درة الأسرار)

عمر رضى الله عنه لم يقطع شجرة الرضوان

جاء أن سيدنا عمر قطع الشجرة التى بايع عندها ﷺ أصحابه على الموت ، وتسمى بشجرة الرضوان ، ويستدل بعض الناس بهذا على عدم جواز التبرك بالآثار النبوية ، وعندى : أن هذا لا يدل على ذلك .

وقد ظهر لى دليل بحمد الله قوى ، وهو أن الشجرة التى قطعها عمر رضى الله عنه شجرة زعم الناس أنها شجرة الرضوان ، فصلوا عندها ، وقصدها بالتوجه . وهذا عمل باطل عند شىء لا تصح نسبته إلى صاحبه ، ولا تثبت إضافته إليه ، فهم نسبوا الشجرة إلى النبى ﷺ ، ومن هنا اشتدت غيرة الصحابى الجليل على هذه الإضافة المشكوك فيها .

ودليلى على ذلك : هو أن الشجرة غير معروفة ولأمر أراد الله ، أنسى الله الأمة محلها ، كما أنسى نبيه ﷺ تعيين ليلة القدر فى لحظة ، وهذا مصداق قول ابن عمر فى البخارى : أنه جاء فى العام التالى لعام بيعة الرضوان ، قال : فبحثنا عن الشجرة فلم يقع عليها رجلان .

وقول المسيب والد سعيد : لقد رأيت الشجرة ، ثم أنسيتها بعد فلم أعرفها .

وقول طارق بن عبد الرحمن : طلعت حاجاً فمررت بقوم يصلون ، فقلت ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب ، فأخبرته ، فقال : حدثني أبي : أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة ، قال : فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها ، وعلمتموها أنتم ، فأنتم أعلم ، وفي رواية أنه قال : فعميت علينا .

[انظر صحيح البخارى - كتاب المغازى - باب غزوة الحديبية]

أى لم يتفق رأى رجلين على شجرة بالتعيين ، فإذا كان هذا فى خلال سنة واحدة ، فى عهد واحد ، ومع توفر وجود أصحاب الرضوان الذى حضروا عندها وبايعوا تحتها ، فما بالك بحال شجرة ظهرت فى زمن عمر بعد سنوات عديدة . اختلف العهد ، ومات أكثر من حضر الموقف فعمر (رضى الله عنه) لم يقطعها لمنع التبرك بالآثار ، أو لأنه لا يرى ذلك ، ولم يقع ذلك المعنى فى قلبه أصلاً ، ولم يخطر على باله أبداً ، بدليل أنه (رضى الله عنه) ثبت عنه التبرك ، وطلب التبرك بالآثار ونحوها ، كطلبه من أبى بكر العنزة التى كانت عند رسول الله ﷺ . وكان رسول الله ﷺ قد استعارها من الزبير ، كما فى البخارى « باب شهود الملائكة بدرأ » من كتاب المغازى ، وفى نسخة القسطلانى ج ٦ ص ٢٦٤ .

رجل يطلب من النبي ﷺ الشفاعة

كان رجل يقال له : مازن بن الغضوب ، وكان يقوم بخدمة صنم فى قرية يقال لها : « سمايا » من عمان ، فشرح الله صدره للإسلام ، وقدم على رسول الله ﷺ يقول : يا رسول الله : إني امرؤ مولع بالطرب وبالهلوك من النساء وبشرب الخمر ، فألحت علينا السنون فأذهبن الأموال وأهزلن الذرارى والعيال ، وليس لى ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ، ويأتينا بالحيا ، ويهب لى ولدا . فقال النبي ﷺ : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالإثم وبالعهر عفة ، وأته بالحيا ، وهب له ولدا » .

قال : فأذهب الله عز وجل عني ما أجد ، واخصبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر ، وحفظت شطر القرآن ، ووهب الله عز وجل لى حيان بن مازن ، وأنشأت أقول :

إليك رسول الله خبت مطيتى

تجوب الفيافى من عمان إلى العرج

لتشفع لى يا خير من وطىء الحصا

فيغفر لى ربى فأرجع بنا الفلج

إلى معشر خالفت فى الله دينهم

فلا رأيهم رأى ولا شرحهم شرحى

وكنـت امرءاً بالعـهر والخـمر مولعاً
شبابى حتى آذن الجسم بالنـهج
فبدّلنى بالخـمر خوفاً وخشـية
وبالعـهر إحصاناً ، فـحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجـهاد ونيتى
فلله ما صومى ولله ما حـجى .
رواه أبو نعيم بسنده فى دلائل النبوة : ص ٧٧ ، ٧٨ .

من عجائب القدرة الإلهية

فى حماية الحضرة المحمدية

من عجائب القدرة ما حصل بالمستهزئين بالنبي ﷺ من قريش وهم سبعة : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، وفكيهة بن عمرو الفهري ، والحرث بن الطلائة ، والأسود بن الحرث ، وابن عيطلة . كانوا يكثرون به الاستهزاء ويواصلون عليه الإيذاء ، وهو ﷺ صابر محتسب ، خصوصاً بعد قول الله تعالى له ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ وقد أظهر الله تعالى فيهم جميعاً عجائب قدرته ، وتولى أمرهم .

فأما الوليد بن المغيرة فإنه ارتدى فعلق بردائه شوك ، فذهب يجلس عليه ، فقطع أكحله ^(١) ، فنزف فمات لوقته .
وأما العاص بن وائل ، فوطىء على شوك فتساقط لحمه من عظامه ، فمات من يومه .

وأما الأسود بن عبد يغوث ، فقد كان رسول الله ﷺ دعا عليه بالعمى ، وثكل ولده ، فأتى بغصن فيه شوك فأصاب عينه فسالت

(١) عرق فى الذراع يفصد .

حدقتاه على وجهه ، وقتل ولده زمعة يوم بدر ، فأعمى الله بصره ،
وأثكله ولده . وأما فكيهة بن عامر فخرج يريد الطائف ففقد ولم
يوجد .

وأما الحرث بن الطلائة ، فإنه خرج لبعض حوائجه ، فضربه
السَّمُومُ في الطريق ، فاسودَّ منه ومات ، وأما الأسود بن الحرث ،
فأكل حوتاً مملوحاً ، فأصابه عطش ، فلم يتمالك من شرب الماء
حتى انشق بطنه ومات .

وأما ابن عيطلة فاستسقى فمات .

من منهجه فى التربية والتعليم

صلى الله عليه وآله وسلم

من هديه ﷺ فى منهج تعليمه أن ينتقل بالحاضر من صورة واقعية محسوسة إلى صورة ذهنية بالإيمان أو الأخلاق أو السلوك .

وهذا أكبر سبيل لتثبيت النظرية ، وتجسيدها أمام الناظر .

ومثال ذلك : أنه رأى امرأة من السبى ، وقد اندفعت وراء طفلها ناسية حالتها ، فأخذته ووضعته على ثديها ، وكأنها ليس بها شىء ، فقال : أرايتم رحمة هذه الأم بولدها (أو فرحها بولدها) .

قالوا : نعم ، قال : فالله أرحم بعبده (أو أفرح بتوبه عبده من فرح هذه الأم بولدها) .

ومن هديه ﷺ فى منهج تعليمه : أن يوجه الهمم والعزائم إلى عوالى الأمور ، ومعالى المقاصد .

وأن يكون المؤمن عالى الرأس فى غير كبر ، وعزيز النفس فى غير عجب ، وأصيل الرأى فى غير أنفه .

يقول ﷺ فى هذا الميدان : إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها^(١) ، ويقول : «إذا سألت الله فاسأل الفردوس الأعلى ، فإنه أعلى الجنة وسقفه عرش الرحمن»^(٢) ، وكثيراً ما يغتنم ﷺ

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن الحسن بن على رضى الله عنه .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن العرباض بن سارية رضى الله عنه .

الفرصة فينتقل بالسامع من المعانى القريبة المحسوسة إلى معانٍ بعيدة ، ومقاصد شريفة ، مستخدماً للألفاظ المستعملة فى المعنى المصطلح عليه .

ومن ذلك قوله ﷺ فى حقيقة الرجل الشديد القوى ، إذ الظاهر أنه الذى يغلب الناس ، ويصرعهم ، ولكنه ﷺ يضع للشديد تعريفاً جديداً جيداً بقوله : « ليس الشديد بالصُّرْعَةِ ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

(رواه البخارى فى الأدب ، باب الحذر من الغضب فتح ١٠ / ٥١٨)

ومن ذلك قوله ﷺ : « أتدرون ما الرقوب ؟ قلنا : الذى لا يولد له ، قال : إن الرقوب الرجل الذى له الولد ، لم يقدم منهم شيئاً » .

رواه البيهقى (ترغيب ٢ / ١٥٢) .

ومن ذلك قوله ﷺ : أتدرون ما الصعلوك ؟ قال : قلنا : الذى لا مال له ، قال : « إن الصعلوك كل الصعلوك الذى له المال لم يقدّم منه شيئاً » رواه البيهقى (ترغيب ٢ / ١٥٢) .

ومن ذلك قوله ﷺ : أرايتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل منه فى اليوم خمس مرات : هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا ، قال : كذلك الصلوات الخمس . . . الحديث .

شهود فضله فى كل نعمة

صلى الله عليه وآله وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير : « شهود فضل النبى ﷺ فى كل نعمة يشهدها المسلم أمر واجب ، لأن دواعيها حاصلة ، إذ هو الذى فتح لنا طرق الخير ، وأظهر لنا سبل الفضل ، ولذلك فإنه فى كثير من مواطن النعمة الإلهية والتوفيق الربانى يأتى ذكره ﷺ ليلتفت العبد إلى سبب هذا التوفيق والفضل ، وواسطة هذا الخير العميم ، ألا وهو الرحمة المهداة سيدنا محمد ﷺ . فمثلاً فى الأذان يأتى ذكره ، وفى التشهد ، وعند مصافحة الأخ لأخيه ، تشريع الصلاة عليه . وعند دخول المسجد ، وعند الدعاء ، وعند ابتداء الخطيب ، وافتتاح الكلام .

حضور روحانية المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير :
روحانية المصطفى ﷺ حاضرة فى كل مكان ، فهى تشهد أماكن الخير ، ومجالس الفضل ، والدليل على ذلك أن الروح من حيث هى روح غير مقيدة فى البرزخ ، بل منطلقة تسبح فى ملكوت الله .

وهذا عام فى جميع أرواح المؤمنين ، مع ملاحظة أن إطلاقها وسياحتها تختلف باختلاف أهليتها ، - شأنها فى ذلك شأنها لما كانت فى الدنيا - فمنها القريب ، ومنها البعيد ومنها الحاضر مع حضرة الحق ، ومنها الغائب ، ومنها الشاهد ، ومنها المظلم ، ومنها المنور ، ومنها الخفيف ، ومنها الكثيف ، وهى هكذا فى البرزخ ، انطلاقها وسياحتها وحضورها واستجابتها بحسب مقامها ، والدليل على ذلك قول ﷺ فى الحديث الصحيح : « نسمة المؤمن على طائر تسبح حيث تشاء » .

أو كما قال ، (رواه مالك) .

وروحه ﷺ أكمل الأرواح ، فهى لذلك أكمل فى الحضور والشهود .

وقد جاء فى الحديث : « أنه ينبغي للعبد إذا دخل المسجد أن يسلم على رسول الله ﷺ ، وذلك لحضور روحانيته فى مثل هذا المشهد المبارك .

وجاء فى الحديث : « أنه اذا سلم عليه المسلم يرد الله عليه روحه فيرد عليه السلام » .

وهذا يدل على أمرين :

الأول : أن روحه منطلقه فى ملكوت الله .

الثانى : أن جسده باق متكامل وهو أهل لرجوع الروح إليه ،

ومعنى « رد الله على روحى » هنا أى حصول إمكان سماع الجواب
لمن أراد الله له ذلك ، وأنه لولا اختلاف الدائرتين بين المسلم
والمسلم عليه لأمكن سماع جوابه ورده ﷺ .

الفرح بالحبيب

صلى الله عليه وآله وسلم

وقلت فى مجلس من مجالس الخير : الفرح بسيدنا محمد ﷺ من المأمور به شرعاً ، وقد استظهرت ذلك من القرآن الكريم وهو من قوله تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (١) .

وهو ﷺ رحمة لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ (٢) ولقوله سبحانه وتعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ (٣) وقوله ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداة » وقد ورد ما يدل على أن الفرح والسرور برسول الله ﷺ من أجل الأعمال النافعة ، وقد انتفع به أبو لهب إذ جاء : أنه لما أخبرته ثوية بولادته ﷺ فرح وسر ، وأعتقها لذلك ، فهو يخفف عنه كل يوم اثنين ، فيشرب من نقرة إبهامه ، وفى ذلك يقول الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه	بثبت يده فى الجحيم مخلداً
أتى أنه فى يوم الاثنين دائماً	يخفف عنه للسرور بأحمداً
فما الظن بالعبد الذى طول عمره	بأحمد مسروراً ومات موحداً

(١) سورة يونس آية ٥٨ .

(٢) الأنبياء آية ١٠٧ .

(٣) التوبة آية ١٣٨ .

ومما يدل على الفرح بالنبي ﷺ ما حصل في يوم دخوله ﷺ إلى المدينة قادماً من مكة ، وقد خرجت المدينة عن بكرة أبيها ، رجالاً ونساءً وهم يرحبون به ﷺ .

ومما يدل على الفرح به ﷺ : أن امرأة نذرت أن تضرب بالدف على رأس الرسول ﷺ إن عاد سالماً من غزوة بدر ، فلما عاد وأخبرته ، قال لها : أوف بنذرك ، فقامت ففعلت .



اهتمام العلماء بمثال نعل النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

اهتم بذلك الأئمة الفحول ، وصنف فيها رسالة خاصة الشيخ المقرئ ، وذكر لها أمثلة ، وكتب عنها كلمات جليلة مهمة ، خلاصتها : اعلم أرشدني الله وإياك إلى سواء السبيل ، وأوردنا مع الرعيل الأول مناهل الرحيق والسلسبيل : أن جماعة من الأئمة المغاربة المقتدى بهم تعرضوا للمثال الطاهر ، وحسنه الباهر ، وأقروا بمشاهدته عين الناظر ، منهم الامام أبو بكر بن العربي ، والحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي ، والكاتب الحافظ أبو عبد الله بن الأتار ، والرحالة أبو عبد الله بن رُشيد الفهرى ، والراوي أبو عبد الله محمد بن جابر الواديشي ، وخطيب الخطباء أبو عبد الله بن مرزوق ، والمفتي الإمام أبو عبد الله محمد الرصاع التونسي والولي الصالح الشهير أبو إسحق إبراهيم بن الحاج السلمى الأندلسي ، وعنه أخذ ابن عساكر المثال ، وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم ، كأبي الحكم مالك بن المرحّل ، وابن أبي الخصال ، وهم القدوة ، ولنا بهم أسوة .

وتلاهم من أهل المشرق جماعة كالحافظ ابن عساكر ، وتلميذه البدر الفارقي ، والحافظ العراقي ، وابنه (أي الولي العراقي) والشيخ القسطلاني في مواهبه اللدنية وغيرهم .

قال الإمام المقرئ : وقد بلغنى عن بعض الأغمار ممن هو
كمثل الحمار ، أنه أنكر تصويرى الأمثلة الشريفة ذات الظلال
الوريفة ، قائلاً : كيف تنهون عن الصور وأنتم تفعلونها ! ؟ فقلت
لمن بلغنى عنه ذلك : قل له : وأنتم لم تتكلمون فى الأمور التى
تجهلونها ؟ وليس هذا من تلك الصور ، لا فى ورد ولا صدر ، ثم
قال : فلنشرع فيما أردته ، سائلاً من الله العون على ما أوردته ،
فأقول مستمداً من واهب العقول : إني ذاكر هنا مثالين عليهما
المعول ، ثم أعزتهما بأربعة : لا تقوى قوة الثانى ولا الأول .
منشداً من جحد ما يتعدد من الأمثلة ويتنوع :

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره

هو المسك ما كررته يتضوع

ومذكراً بقول الآخر كل لبيب :

أيا ساكنى أكناف طيبة كلكم

إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

ولا خفاء أن مثال النعل الشريف ، تصدر بإضافته إلى ذى
الصدر . وخص لذلك برفعة الشأن والقدر ، فعلا على البدر ،

قدم النبوة والرسالة والعلا :

يا من يذكرني حديث أحبة طاب الزمان بذكرهم ويطيب
أعد الحديث على من جناته إن الحديث عن الحبيب حبيب
وما المثل المكرم . إلا وسيلة للقدم - التي خص الله بأكمل
الأوصاف صاحبها ﷺ .

وما حبُّ النعالِ شَغَفَنَ قلبي

ولكن حب من لبس النعالا

فأكرم بها من نعال ، زكت بأطيب الفعال ، وشرفت بالمختار
وسمت . واتسمت من الفضائل بما اتسمت ، وحاكاها المثل
بمحاسنه التي ارتسمت ، فأنشدته بلسان الحال . مخاطبا ذلك
المثال :

حاكاك بدرُ الدجى

لم يذر من حاكى

شنان ما بين

مخكى ومن حاكى

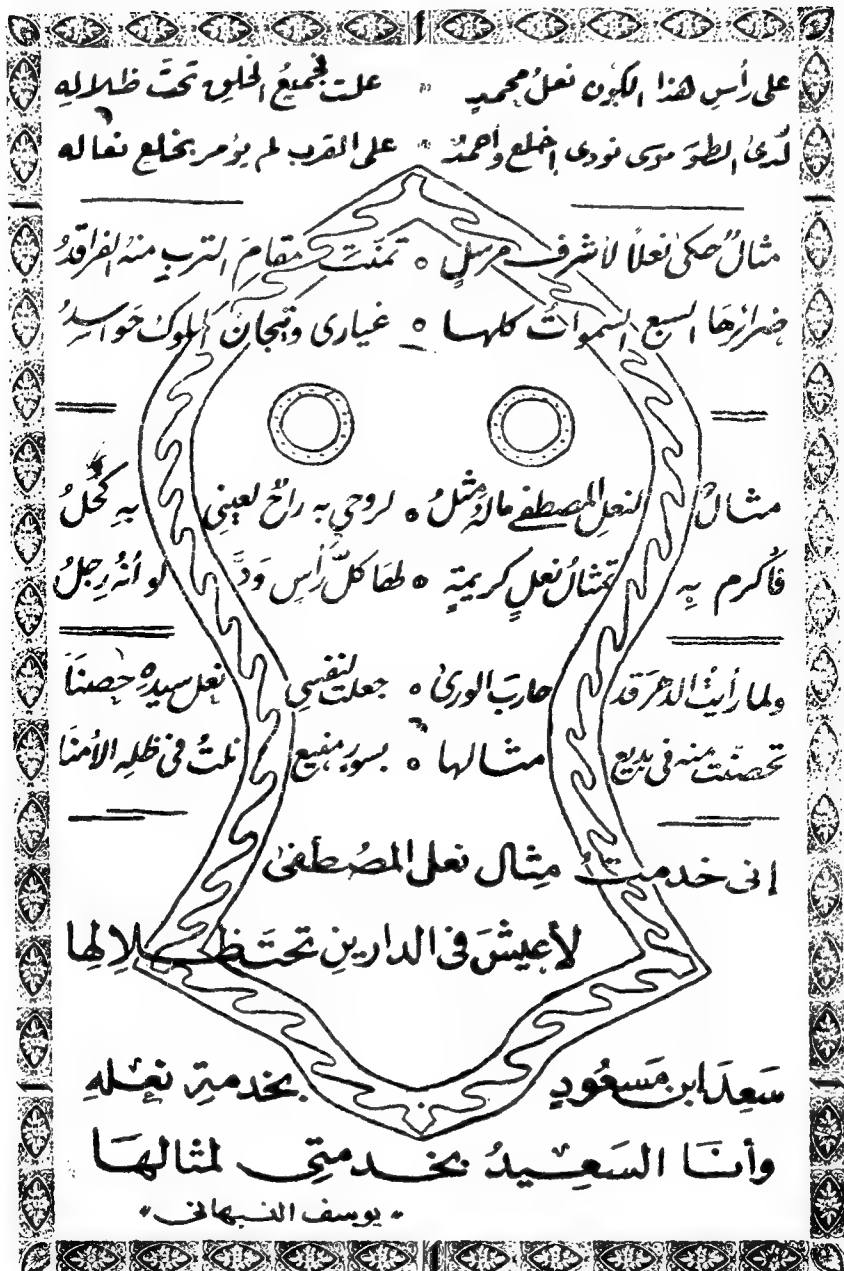
ولو لم يحصل للمثال المعظم من الشرف إلا محاكاة نعل
من ليس لمجده حد ولا طرف سيد ولد آدم . عمدة من تأخر أو

تقدم ، ﷺ وشرف وكرم - لكان ما حصل له من ذلك كافياً .
وبالمنى وإفياً فكيف وقد غدا للأوصاب شافياً - وللأسقام نافياً ؟ .
فخواصه ظاهرة ومنافعه باهرة ، وفضله بين . ووضعه على
المحاجر متعين .

ويرحم الله الشيخ العلامة الناصح الصالح ، الشيخ أبا حفص
عمر الفاكهاني الاسكندري المالكي ، إذ قال : حين أبصر المثال
الذي جر على المجرة ذيلاً ، متمثلاً بقول مجنون ليلي :

ولو قيل للمجنون : ليلي ووصلها تريد أم الدنيا وما في زواياها
لقال : غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

هذه صورة مثال النعل النبوي الشريف



الاحتفال بمولد النبي

صلى الله عليه وآله وسلم

وقلت في مجلس من مجالس الخير : عن حكم الاحتفال
بالمولد النبوى : أن ذلك جائز من وجوه :

الأول : أن الاحتفال بالمولد الشريف تعبير عن الفرح والسرور
بالمصطفى ﷺ ، وقد انتفع به الكافر ، فقد جاء في البخارى أنه
يخفف عن أبى لهب كل يوم اثنين بسبب عتقه لثوية جاريته لما
بشرته بولادة المصطفى ﷺ .

ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر
الدمشقى :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه بتبت يده فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائماً يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى طول عمره بأحمد مسروراً ومات موحداً

الثانى : أنه ﷺ كان يعظم يوم مولده ، ويشكر الله تعالى فيه
على نعمته الكبرى عليه ، وتفضله عليه بالوجود لهذا الوجود ، إذ
سعد به كل موجود ، وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام ، كما
جاء فى الحديث عن أبى قتادة : أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم

يوم الاثنين فقال : « فيه ولدت ، وفيه أنزل على » . رواه الإمام مسلم فى الصحيح فى كتاب الصيام .

وهذا فى معنى الاحتفال به إلا أن الصورة مختلفة ، ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام أو إطعام أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبى ﷺ أو سماع شمائله الشريفة .

الثالث : أن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ فالله تعالى أمرنا أن نفرح بالرحمة ، والنبى ﷺ أعظم الرحمة . قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ .

الرابع : أن النبى ﷺ كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التى مضت وانقضت ، فإذا جاء الزمان الذى وقعت فيه كان فرصة لتذكرها ، وتعظيم يومها ، لأجلها ، ولأنه ظرف لها :

وقد أصل ﷺ هذه القاعدة بنفسه ، كما صح فى الحديث أنه ﷺ : لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء ، سأل عن ذلك ، ف قيل له : إنهم يصومونه لأن الله نجى نبيهم وأغرق عدوهم فيه ، فهم يصومونه شكراً لله على هذه النعمة ، فقال ﷺ : نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه .

الخامس : أن الاحتفال بالمولد لم يكن فى عهده ﷺ ، فهو

بدعة ، ولكنها حسنة لاندراجها تحت الأدلة الشرعية ، والقواعد الكلية ، فهي بدعة باعتبار هيئتها الاجتماعية ، لا باعتبار أفرادها ، لوجود أفرادها فى العهد النبوى كما سنعلم ذلك تطبيقاً إن شاء الله تعالى .

السادس : أن المولد الشريف يبعث على الصلاة والسلام المطلوبين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴿ وما كان يبعث على المطلوب شرعاً فهو مطلوب شرعاً ، فكم للصلاة عليه من فوائد نبوية ، وإمدادات محمدية ، يسجد القلم فى محراب البيان عن تعداد آثارها ، ومظاهر أنوارها .

السابع : أن المولد الشريف يشتمل على ذكر مولده الشريف ومعجزاته وسيرته والتعريف به ، أو لسنا مأمورين بمعرفته ومطالبين بالاقتداء به ، والتأسى بأعماله ، والإيمان بمعجزاته ، والتصديق بآياته ، وكتب المولد تؤدى هذا المعنى تماماً .

الثامن : التعرض لمكافأته بأداء بعض ما يجب له علينا ، ببيان أوصافه الكاملة ، وأخلاقه الفاضلة ، وقد كان الشعراء يتقربون إليه ﷺ بالقصائد ، ويرضى عملهم ، ويجزيهم على ذلك بالطيبات والصلوات ، فإذا كان يرضى عن مدحه فكيف لا يرضى عن جمع شمائله الشريفة ؟ ، ففى ذلك التقرب له عليه الصلاة والسلام ، باستجلاب محبته ورضاه .

التاسع : أن معرفه شمائله ومعجزاته وإرهاصاته تستدعى كمال الإيمان به عليه الصلاة والسلام ، وزيادة المحبة إذ الإنسان مطبوع على حب الجميل ، خَلَقاً وَخُلُقاً عِلْماً وَعَمَلاً حَالاً وَاعْتِقَاداً ، ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله ﷺ وزيادة المحبة وكمال الإيمان مطلوبان شرعاً . فما كان يستدعيهما مطلوب كذلك .

العاشر : أن تعظيمه ﷺ مشروع ، والفرح بيوم ميلاده الشريف بإظهار السرور ووضع اللوائم والاجتماع للذكر ، وإكرام الفقراء من أظهر مظاهر التعظيم والابتهاج والفرح والشكر لله ، بما هدانا لدينه القويم ، وما من به علينا من بعثه عليه أفضل الصلاة والتسليم .

الحادى عشر : يؤخذ من قوله ﷺ فى فضل يوم الجمعة ، وعد مزاياه ، « وفيه خلق آدم » تشریف الزمان الذى ثبت أنه ميلاد لأى نبي كان من الأنبياء عليهم السلام ، فكيف باليوم الذى ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين .

ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه ، بل يكون له خصوصاً ولنوعه عموماً مهما تكرر ، كما هو الحال فى يوم الجمعة ، شكراً للنعمة ، وإظهاراً لمزية النبوة ، وإحياءً للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم فى تاريخ الإنسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود ، كما يؤخذ تعظيم المكان الذى ولد فيه

نبي من أمر جبريل عليه السلام النبي ﷺ بصلاة ركعتين بيت لحم ، ثم قال له : أتدرى أين صليت ؟ قال : لا ، قال : صليت بيت لحم ، حيث ولد عيسى .

الثاني عشر : أن المولد أمر استحسنه العلماء والمسلمون في جميع البلاد ، وما جرى به العمل في كل صقع ، فهو مطلوب شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح ^(١) » ، أخرجه أحمد .

الثالث عشر : أن المولد اجتماع ذكر وصدقة ، ومدح وتعظيم للجناب النبوي فهو سنة ، وهذه أمور مطلوبة شرعاً ، وممدوحة وجاءت الآثار الصحيحة بها ، وبالحث عليها .

الرابع عشر : أن الله تعالى قال : ﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء

(١) قال صاحب المقاصد الحسنة ما نصه : « حديث ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » رواه أحمد في كتاب السنة وهم من عزاه للمسند من حديث أبي وائل عن ابن مسعود قال : إن الله نظر في قلوب العباد فاختر محمد ﷺ فبعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد فاختر له أصحابه ، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح « وهو موقوف حسن وكذا أخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم في ترجمة ابن مسعود من الحلية بل هو عند البيهقي في الاعتقاد من وجه آخر عن ابن مسعود » .

وقال معلق حواشيه (الشيخ عبد الله الصديق الغماري) في الحاشية : « بل هو في المسند أيضاً » .

الرسول ما ثبت به فؤادك ﴿١﴾ يظهر منه أن الحكمة في قصص أنباء الرسل عليهم السلام تثبت الفؤاد الشريف بذلك ، ولا شك أننا اليوم محتاجون إلى تثبيت أفئدتنا بأنبيائه وأخباره أشد من احتياجه هو ﷺ .

الخامس عشر : ليس كل ما لم يفعله السلف ، ولم يكن في الصدر الأول بدعة منكرة سيئة يحرم فعلها ويجب الإنكار عليها ، بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلة الشرع ، فما اشتمل على مصلحة فهو واجب ، أو على محرم فهو محرم ، أو على مكروه فهو مكروه أو على مباح فهو مباح ، أو على مندوب فهو مندوب ، وللوسائل حكم المقاصد ، ثم قسم العلماء البدعة إلى خمسة أقسام :

واجبة : كالرد على أهل الزيغ ، وتعلم النحو .

ومندوبة : كإحداث الرُّبُط والمدارس ، والأذان على المنائر ، وصنع إحسان لم يعهد في الصدر الأول . ومكروهه : كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف .

ومباحة : كاستعمال المنخل ، والتوسع في المأكل والمشرب .

ومحرمة : وهي ما أحدث لمخالفة السنة ، ولم تشمله أدلة الشرع العامة ولم يحتو على مصلحة شرعية .

(٢) سورة هود آية ١٢٠ .

السادس عشر : كل ما لم يكن فى الصدر الأول بهيئته الاجتماعية ، لكن أفراده موجودة ، يكون مطلوباً شرعاً ، لأن ما تركب من المشروع فهو مشروع كما لا يخفى .

السابع عشر : ليست كل بدعة محرمة ولو كانت كذلك لحرم جمع أبى بكر وعمر وزيد رضى الله عنهم القرآن ، وكتابه فى المصاحف خوفاً على ضياعه بموت الصحابة القراء (رضى الله عنهم) ولحرم جمع عمر (رضى الله عنه) الناس على إمام واحد فى صلاة القيام مع قوله : « نعمت البدعة هذه » ولحرم التصنيف فى جميع العلوم النافعة ، ولوجب علينا حرب الكفار بالسهم والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطائرات والغواصات والأساطيل ، ولحرم الأذان على المنائر واتخاذ الربط والمدارس والمستشفيات والإسعاف ، ودار اليتامى والسجون ، ومن ثم قيد العلماء (رضى الله عنهم) حديث « كل بدعة ضلالة » بالبدعة السيئة ويصرح بهذا القيد ما وقع من أكابر الصحابة والتابعين من المحدثات التى لم تكن فى زمنه ﷺ .

الثامن عشر : قال الامام الشافعى (رضى الله عنه) : ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو المحمودة . اهـ
وجرى الإمام العز بن عبد السلام والنووى كذلك ، وابن الأثير

على تقسيم البدعة إلى ما أشرنا إليه سابقاً .

التاسع عشر : كل ما تشمله الأدلة الشرعية ، ولم يقصد بإحداثه مخالفة للشرعية ولم يشتمل على منكر فهو من الدين .
وقول المتعصب : إن هذا لم يفعله السلف ليس هو دليلاً له ، بل هو عدم دليل ، كما لا يخفى على من مارس علم الأصول ، فقد سمى الشارع بدعة الهدى سنة ، ووعد فاعلها أجراً فقال عليه الصلاة والسلام : « من سن في الإسلام سنة حسنة فَعَمِلَ بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا يُنْقَص من أجورهم شيء » (١) .

العشرون : إن الاحتفال بالمولد إحياءٌ لذكرى المصطفى ﷺ ، وذلك مشروع عندنا في الإسلام ، فأنت ترى أن أكثر أعمال الحج إنما هي إحياء لذكرىات مشهودة ، ومواقف محمودة ، فالسعى بين الصفا والمروة ، ورمى الجمار والذبح بمنى ، كلها حوادث ماضية سابقة ، يحيى المسلمون ذكراها بتجديد صورتها في الواقع .

الحادى والعشرون : كل ما ذكرنا سابقاً من الوجوه في مشروعية المولد إنما هو في المولد الذى خلا من المنكرات المذمومة التى يجب الإنكار عليها ، أما إذا اشتمل المولد على شيء مما يجب

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه بألفاظ مختلفة .

الإنكار عليه كاختلاط الرجال بالنساء وأرتكاب المحرمات ، وكثرة الإسراف مما لا يرضى به صاحب المولد الشريف ﷺ فهذا لا شك في تحريمه ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات ، لكن تحريمه حيثئذ يكون أمراً عرضياً لا ذاتياً ، كما لا يخفى على من تأمل ذلك .

توسل الناس بالنبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

فى عهد عمر (رضى الله تعالى عنه)

روى سيف عن مبشر بن الفضل ، عن جبير بن صخر ، عن عاصم بن عمر بن الخطاب ، أن رجلاً من مزينة - عام الرمادة - سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شىء فألحوا عليه فذبح شاة فإذا عظامها حمر ، فقال : يا محمداه ، فلما أمسى أُرى فى المنام أن رسول الله ﷺ يقول له : « أبشر بالحياة إيت عمر فأقرئه منى السلام وقل له : إن عهدى بك ، وفى العهد شديد العقد ، فالكيس الكيس يا عمر » فجاء حتى أتى باب عمر ، فقال لغلामه استأذن لرسول رسول الله ﷺ فأتى عمر فأخبره ، ففزع ثم صعد عمر المنبر ، فقال للناس : أنشدكم الله الذى هداكم للاسلام ، هل رأيتم منى شيئاً تكرهونه ؟

فقالوا : اللهم لا ، ومِمَّ ذاك ؟ فأخبرهم بقول المزنى (وهو بلال بن الحرث) ففطنوا ، ولم يفطن .

فقالوا : إنما استبطأك فى الاستسقاء فاستسق بنا . فنادى فى الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ، ثم قال : اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجزت عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم اسقنا وأحى البلاد والعباد .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي ، قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر ، حدثنا إبراهيم ابن علي الذهلي ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن مالك ، قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب ، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فاتاه رسول الله ﷺ في المنام ، فقال : إيت عمر فأقرئه مني السلام ، وأخبرهم أنهم مُسَقَّون ، وقل له : عليك بالكيس الكيس ، فأتى الرجل فأخبر عمر ، فقال : يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه . وهذا إسناد صحيح . كذا قال الحافظ ابن كثير في البداية ح ٧ ص ٩١ في حوادث سنة ثمانية عشر (١) .

(١) هذا الحديث رواه أيضاً ابن أبي شيبه بإسناده عن أبي صالح السمان عن مالك الدار (وكان خازن عمر) . وهو حديث صحيح ، صححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري [ج ٢ / ٣٩٧] والكوثر في المقالات [ص ٣٨١] والغماري في الرد المحكم المتين [ص ٥٢ ، ٥٣] . وقد طعن الألباني في الحديث بأن مالك الدار مجهول ، وعول في ذلك على سكوت ابن أبي حاتم عنه .

وهذه علة واهية لأن سكوت ابن أبي حاتم يعني أنه لم يجد جرحاً ولا تعديلاً ولا يلزم من ذلك جهالة الراوي . إذا تقرر هذا فاعلم أن مالك الدار ذكره الحافظ ابن حجر في المخضرمين من كتاب الإصابة [ج ٣ / ٤٨٤] ، وابن سعد في الطبقات (٥ / ٦) وقال : وكان معروفاً ، وثقه ابن حبان في الثقات [ج ٥ / ٣٨٤] .

وقال الخليلي في الإرشاد [ج ١ / ٣١٣] : تابعي قديم متفق عليه أثني عليه التابعون =

= ولو لم يكن في توثيقه من النقل إلا أنه خازن عمر مع رواية أربعة عنه كما في الإصابة لكفى . ولا تضرّ عنعنّة الأعمش إسناده الحديث رغم عدم تصرّحه بالسماع لأنّه يروي عن أبي صالح السمان . فحديثه هذا من جملة ما يقبل . قال الذهبي عند ترجمته للأعمش في الميزان [ج ٢ / ٢٢٤] : متى قال : «عن» تطرق إليه احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم كإبراهيم وابن أبي وائل وأبي صالح السمان فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال اهـ .

فالحديث حيثئذ صحيح ولو كان ما فعله الرجل منكرا وباطلا لما أقره عمر رضي الله عنه على ذلك لأنه شديد في الحق . وفي الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد بسند صحيح : إنّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

وقد علّق الشيخ زاهد الكوثري في المقالات [ص ٣٨٩] على حديث مالك الدار بقوله : وهذا نص على عمل الصحابة في الاستسقاء به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته حيث لم ينكر عليه أحد منهم مع بلوغ الخبر إليهم ، وما يُرفع إلى أمير المؤمنين يذيع ويشيع اهـ . والله أعلم .

[كتب هذا التعليق الأخ الفاضل محمد الهادي عبيد التونسي] .

فضائل أعمال الأمة في ميزان رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الامام العز بن عبد السلام في بداية السؤل : « إن الله يكتب لكل نبى من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمتة وأحوالها وأقوالها ، وأمتة ﷺ شطر أهل الجنة . وقد أخبر الله تعالى أنهم « خير أمة أخرجت للناس » ^(١) وإنما كانوا خير الأمم لما اتصفوا به من المعارف والأحوال والأقوال والأعمال ، فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شىء يتقرب به إلى الله عز وجل مما دل رسول الله ﷺ ، ودعا إليه ، إلا وله (ﷺ) مثل أجر من عمل به إلى يوم القيامة ، لقوله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة » ^(٢) ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة .

وقد جاء في الحديث : « الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله » فإذا كان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة ، وغيره من الأنبياء إنما نفع جزء الشطر ، كانت منزلته ﷺ في القرب على قدر منزلته في النفع ، فما من عارف من أمتة إلا وله ﷺ مثل أجر معرفته ،

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) رواه أحمد في مسنده والامام مسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه .

مضافاً إلى معارفه ، وما من ذى حال من أمته إلا وله مثل أجره على حاله مضموماً إلى أحواله ﷺ ، وما من ذى مقال يتقرب به إلى الله تعالى إلا وله ﷺ مثل أجر ذلك القول ، مضموماً إلى مقالته وتبليغ رسالته ، وما من عمل من الأعمال المقربة إلى الله عز وجل من صلاة وزكاة وعتق وجهاد وبر ومعروف وذكر وصبر وعفو وصفح إلا وله ﷺ مثل أجر عامله مضموماً إلى أجره على أعماله ، وما من درجة عالية ومرتبة سنية نالها أحد من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضموماً إلى درجته ﷺ ومرتبته ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمته إلى هدى ، أو سن سنة حسنة كان له أجر من عمل بذلك على عدد العالمين ، ثم يكون هذا المضاعف لبنينا ﷺ لأنه دل عليه وأرسل إليه ، ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبي ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر ممن يدخل من أمة موسى ، ولم يبك حسداً كما يتوهمه بعض الجهلة ، وإنما بكى أسفاً على ما فاتته من مثل مرتبته .

وا محمداه . وا محمداه

روى الحافظ ابن كثير عن الإمام أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) قصة موت رسول الله ﷺ بسنده إلى السيدة عائشة رضي الله عنها . وفيها أنه جاء أبو بكر (رضى الله عنه) فرفعت الحجاب فنظر إليه ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات رسول الله ﷺ : ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال : وانبياهُ ، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال : واصفياهُ ، ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال : واخليلاه ، مات رسول الله ﷺ (انظر البداية ج ٢ ص ٢٤٢) .

وروى الحافظ الدارمي في سنن قال : أخبرنا أبو النعمان ، ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك : أن فاطمة قالت : يا أنس كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ وقالت : يا أبتاه من ربه ما أدناه ، وا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، وا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، وا أبتاه أجاب رباً دعاه .

قال حماد : حين حدث به ثابت بكى ، وقال ثابت : حين حدث به أنس بكى ، (انظر سنن الدارمي ح : ١ ص ٤١ باب وفاة النبي ﷺ) .

وذكر الحافظ ابن كثير أن شعار المسلمين في موقعة اليمامة كان : « يا محمداه » وقال ما نصه : « وحمل خالد بن الوليد ، حتى جاوزهم وسار لجبال مسيلمة ، وجعل يترقب أن يصل إليه

فيقتله ، ثم رجع ، ثم وقف بين الصفيين ، ودعا إلى البرّاز^(١) ،
وقال أنا ابن الوليد العود^(٢) أنا ابن عامر وزيد ، ثم نادى بشعار
المسلمين ، وكان شعارهم يومئذ « وا محمداه » .

(انظر البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٤) .

(١) أى المبارزة .

(٢) العود : الرجاء ، والمعنى أنه كرار ليس بفرار .

النبي يعلم أحد الصحابة كيفية التوسل به

(صلى الله عليه وآله وسلم)

أخرج الحاكم فى مستدركه عن شبيب بن سعيد الحبطى ،
حدثنا أبى عن رَوْح بن القاسم عن أبى جعفر المدنى ، وهو
الخطمى عن أبى أمامة عن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن
حنيف (رضى الله عنه) قال : « سمعت رسول الله ﷺ وجاءه رجل
ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال : يا رسول الله ليس لى قائد ،
وقد شق على ، فقال رسول الله ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ ثم صل
ركعتين ثم قل : « اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ
نبي الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك فيجلى لى عن
بصرى ، اللهم شفعه فىّ وشفعنى فى نفسى ، قال عثمان : فوالله
ما تفرقنا ، ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل ، وكأنه لم يكن
به ضرر » هذا حديث صحيح ، على شرط البخارى ولم يخرجاه ،
وهو فى الجزء الأول من الترغيب والترهيب ص ١٩٠ .

عن عثمان بن حنيف - رضى الله عنه - « أن أعمى أتى إلى
النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ادع الله أن يكشف لى عن بصرى ،
قال : أو أدعك ؟ ، قال : يا رسول الله قد شق على ذهاب بصرى .
قال : فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم قل : اللهم إنى أسالك

وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه إلى ربي بك أن يكشف لي عن بصرى ، اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي ، فرجع وقد كشف الله عن بصره » .

رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، والنسائى واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وصححه والحاكم ، وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم ، وليس عند الترمذى « ثم صل ركعتين » إنما قال : وأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يدعو بهذا الدعاء ، فذكره بنحوه ، ورواه فى الدعوات ، وروى الطبرانى هذا الحديث وذكر فى أوله قصة وهى أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) فى حاجة له ، وكان عثمان (رضى الله عنه) لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته ، فلحق عثمان ابن حنيف ، فشكا ذلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضى حاجتى وتذكر حاجتك ، ورح إلىّ حتى أروح معك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ، ثم أتى باب عثمان ، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان ابن عفان ، فأجلسه معه على الطنفسة ، وقال : ما حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له .

ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة . ثم قال :

ما كانت لك حاجة فائتنا ، ثم إن الرجل لما خرج من عنده لقي عثمان بن حنيف ، وقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ ، فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ، ولكن شهدت رسول الله ﷺ ، وأتاه رجل ضير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبي ﷺ : أو تصبر ؟ فقال يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق عليّ فقال له النبي ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات ، فقال عثمان بن حنيف : فوالله ما تفرقنا - وطال بنا الحديث - ، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط « قال الطبراني بعد ذكر طرقة ، والحديث صحيح .

رأى الشيخ ابن تيمية في درجة الحديث (١):

وقد ذكر هذا الحديث بطوله شيخ الاسلام ابن تيمية ، وذكر كل طرقة وأسانيده وذكر قصة عثمان بن حنيف مع الرجل بكاملها ، وصحح كل ذلك وأيده من الناحية الإسنادية في كتابه « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » (ص ٩٥ و ٩٦) .

(١) بحث هام يتعلق بحديث الأعمى للأخ الفاضل محمد الهادي عبيد التونسي .
 لم ينفرد ابن تيمية رحمه الله بتصحيح حديث الأعمى بل صحّحه أيضاً جمع من الحفاظ - كما ذكره المؤلف أكرمه الله - منهم الترمذي والطبراني وابن خزيمة والحاكم والذهبي .
 وإتماماً للفائدة فسأذكر إن شاء الله تعالى بعض المباحث المتعلقة بمتن الحديث =

أبين فيها وجه الاستدلال به على مشروعية التوسّل وبعض ما يؤيد ذلك من الأثر والنظر والله ولي التوفيق .

يرى بعض أهل العلم أن التوسل بالنبي ﷺ لا يكون إلا بدعائه ويقولون : لو كان التوسل بالذات جائزا لما عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم إلى التوسل بالعبّاس رضي الله عنه .

وعلى هذا فقول الأعمى « أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد » فيه حذف عندهم والتقدير : بدعائه وشفاعته .

وهذا الذي قالوه غير مسلم بل هو احتمال ضعيف لا تنهض به الحجة لأن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما يكون بدعائه فإنه يكون بذاته التي شرفها الله تعالى ، ولا مانع من هذا الصّحّة الدليل عليه .

— أمّا دليل التوسل بالدعاء الذي اتفق أهل العلم على جوازه فهو ثابت في كتاب الاستسقاء من صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك فلا داعي لذكره .

— وأمّا الدليل على جواز التوسل بالذات صراحة فهو ما رواه البخاري في صحيحه [كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الامام الاستسقاء إذا قحطوا] عن عبد الرحمن بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ووجه الاستدلال بالحديث هو أن ابن عمر رضي الله عنهما قد تذكّر ذلك البيت من الشعر وتمثّل به جهاراً حتّى سمعه غيره فلم يُعترض عليه في ذلك وهذا يدلّ على أن معنى البيت ثابت ومقبول ، وتقديره : وأبيض يُستسقى الناس بوجهه . فهذا ظاهر في التوسل بالذات لأنّ الوجه جزء منها ولم يرّد في لسان العرب أنّ الوجه يكون بمعنى الدعاء بل قد ورد في القرآن استعمال لفظة الوجه بمعنى الذات وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [انظر تفسير ابن كثير ج ٣ صفحة ٤٠٣ ط التراث الاسلامي] . ولذلك فإنّ المعنى لا يستقيم هنا لمن أراد أن يقدر مضافا محذوفا لما في ذلك من التكلف المفضي إلى تحمیل اللفظ أكثر ممّا يتحمل مع أن الأصل في الكلام عدم الحذف . ويؤيده قول ابن عمر رضي الله عنهما في رواية أخرى للبخاري : وأنا أنظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه يدلّ على ترجيح حمل لفظة الوجه على حقيقة معناها وأن إحصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه مقام الاستسقاء رغم صغر سنه زمن عبد المطلب كان للتوسل بذاته فكان لسان حال أبي طالب يقول : اللهم اسقنا بوجود ذاته المباركة بيننا . =

= قال الامام العيني في عمدة القاري (ج ٦ صفحة ١٠) عند تعليقه على الترجمة ما نصّه : « . . . معنى قول أبي طالب هذا في الحقيقة توسل إلى الله عز وجل بنبيه لأنّه حضر استسقاء عبد المطلب والنبي صلى الله عليه وسلم معه . فيكون استسقاء الناس الغمام في ذلك الوقت ببركة وجهه الكريم وإن لم يكن في اللفظ أنّ أحدا سأله . . . الخ اهـ .
فالحاصل ممّا سبق أنّ حديث ابن عمر رضی الله عنهما يؤيد صحّة ما فهمه أكثر أهل العلم من حديث الأعمى .

وبيان ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بما وعدّه به الأعمى من الدّعاء له ، بل دلّه على ما يزيد في تحقيق التّدلّل والعبوديّة لله سبحانه وأمره بالطّهارة والصّلاة وعلمه أن يقول في أوّل دعائه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ . وَهَذَا هُوَ مَحَلُّ الشَّاهِدِ مِنَ الْحَدِيثِ إِذْ لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ تَدُلُّ صَرَاحَةً عَلَى التَّوَسُّلِ بِالذَّاتِ . وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ : هُنَاكَ مُضَافٌ مَحذُوفٌ وَالتَّقْدِيرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِدُعَاءِ نَبِيِّكَ ، فَهُوَ قَوْلٌ مَرْجُوحٌ وَتَأْوِيلُ وَاهٍ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي اللُّغَةِ عَدَمُ التَّقْدِيرِ وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ لِعَدَمِ وَجُودِ مَا يَقْتَضِي صَرَفَ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرٍ مَا دَلَّ عَلَيْهِ . وَمِنْ أَقْوَى الْقَرَائِنِ إِبْقَاءُ لِلْكَلامِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ قَوْلُ الْأَعْمَى بَعْدَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ . فَلَفْظَةُ مُحَمَّدٍ ، اسْمٌ عَلِمَ دَالٌّ عَلَى الذَّاتِ الْمُصْطَفَوِيَّةِ ، وَحِينَئِذٍ فَمَا مَحَلُّ ذَلِكَ الْقَوْلِ ؟ وَلِمَاذَا هَذَا الدُّعَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ اسْتَهْلَّ الْأَعْمَى دُعَاءَهُ بِدُعَاءِ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ : اللَّهُمَّ ؟ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَى مُسْتَشْعِرٌ لِحُرْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَحْضِرٌ لِدَاتِهِ مُتَوَسِّلٌ بِهَا . وَمَنْ تَرَكَ التَّكْلُفَ وَالتَّعَسُّفَ أَدْرَكَ أَنَّ حَدِيثَ الْأَعْمَى هَذَا يَدُلُّ بِطَرَفَيْهِ بِذَوْنِ تَعْطِيلٍ وَلَا تَنَاقُضٍ عَلَى أَمْرَيْنِ : فَأَوَّلُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى وَقُوعِ التَّوَسُّلِ بِذَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سَبَقَ مَا يُوَيِّدُ جَوَازَهُ ، وَآخِرُهُ يَدُلُّ عَلَى وَقُوعِ التَّوَسُّلِ بِدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَعَا فِعْلًا لِلْأَعْمَى وَهُوَ الرَّاجِحُ وَإِنْ لَمْ يَنْصُصْ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ مِنْ وَفَى بِمَا وَعَدَ ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَنَوَى الدُّعَاءَ أَثْنَاءَ تَلْقِيْنِهِ صِيغَةَ التَّوَسُّلِ لِلْأَعْمَى . =

= وحيثنذ فقوله : وَتُشَفِّعُنِي فِيهِ معناه : اقبل دعائي في أن تقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في : وأما قوله : وَتُشَفِّعُهُ فِيَّ فمعناه : اللهم اقبل شفاعته أي دعاءه في أن ترد علي بصري .

فإن قيل لقد وجد من العمى من دعا بدعاء الأعمى ولم يُشفَ قلنا لا يلزم من حصول الإبصار لهذا الأعمى أن يحصل ذلك لكل من فعل مثل فعله ، ولا يتوقف الإبصار على هذا التوسل وهذا الدعاء إذ إن الإجابة لها شروطٌ معينة لا بُدَّ من توفرها كأكل الحلال وصديق التوجه إلى الله عز وجل والإخلاص وغيرها مما يفقده كثير من الناس . بل لقد دعا بعضهم باسم الله العظيم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى - كما في رواية أبي داود والنسائي وغيرهما بسند صحيح - فلم يستجب له . وصفوة القول في هذا أن الله تعالى ضمن لنا الإجابة فيما يريده هو لا فيما نريده نحن وفي الوقت الذي يريده هو لا في الوقت الذي نريده نحن .

وقد أخرج الترمذي في السنن [كتاب الدعاء باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رجم .

أما قول ابن تيمية : لو كان أعمى توسل به صلى الله عليه وسلم ولم يدع له الرسول بمنزلة ذلك الأعمى لكان عريان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى ، فعدولهم عن هذا إلى هذا دليل على أن المشروع ما سأله دون ما تركوه . اهـ [قاعدة جلية ص ١٣٤] فليس بسديد لأنه مجرد احتمال لا دليل عليه إذ يجوز أنهم فعلوا ذلك أو أن بعضهم فعله ، خاصة ولم يرد ما ينص على تركهم . وعلى فرض أن بعضهم ترك ذلك فإنه لا يدل أبداً على المنع بل يجوز أنهم آثروا الصبر والفوز بالأجر .

وأما عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه فلا حجة فيه على المنع لانه لا ينفي وقوع التوسل بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً . لاسيما وقد كان الناس - كما في رواية البخاري - يرفعون أيديهم يدعون مع النبي صلى الله عليه وسلم وقت استسقائه لهم . وقد تقدّم الاستدلال بحديث الأعمى وأن ابن عمر رضي الله عنهما كان يتمثل بشعر أبي طالب : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه . الخ . =

= فإذا كانوا يتوسلون به إلى الله فيسقيهم فأحرى أن يقدموه للسؤال .

فقول عمر رضي الله عنه « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم » لا يفيد عند التحقيق سوى العدول عن التوسل بالدعاء إذ الغالب أن الصحابة (رضى الله عنهم) إذا استسقوا يتوسلون بمن كان من أهل الفضل والصلاح بأن يقدموه ويقيموه بينهم ليدعوا هو ويدعو الناس معه .

ولا يخفى أن هذا التقديم هو المتمتعز بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا سيما إذا اجتمع الناس ليصلي بهم الداعي صلاة الاستسقاء . إذا تقرّر هذا فعدول عمر رضي الله عنه لا يصلح دليلا على منع التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، وقد سبق بيان ذلك عند الكلام على جواز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم [ص ١٦٠ / ١٦١] .

هذا وإن القصة التي رواها الطبراني والبيهقي صحيحة خلافا لمن ضعفها وهي تنص على أن الصحابي الجليل عثمان بن حنيف رضي الله عنه وجّه رجلا إلى التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأفاد ذلك أن حديث الأعمى مشتمل على التوسل بالذات وهذا مترجح لأن فهم الصحابي أولى من فهم غيره إذا كان هو الراوى للحديث والمعاین لأسباب وروده وسائر ملابساته .

ولا يبعد أن يقال بأن التوسل بالدعاء مرتبط بالتوسل بالذات ارتباط الفرع بأصله إذ لولا الاعتقاد بأن المتوسّل به وجيه عند الله ذو صلاح وفضل لما تضافرت الدواعي في النفوس لتوسل بدعائه . ولو كان التوسل بالدعاء خاليا من ملاحظة التوسل بالذات لما كان للالتجاء إلى المتوسل به وجه من النظر .

ألا ترى أن طالب الدعاء يلاحظ بقلبه مكانة المتوسّل به وكرامته على الله بحيث يكون ذلك هو الباعث على رجاء الاجابة .

وهذا المعنى متأصل في التوسل بالذات ، فمن يقول : « اللهم إني أسألك بنبيك محمد » لا يريد بذلك سوى أن يستجيب الله له من باب إكرام نبيه وإظهار مزيته بحيث لا يُخيّب في أفراد أمته التي كان حريصا على نفعها فإن ما يؤلمها يؤلمه وما يسعدها يسعده صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم وأحكم .

من خصائص آل البيت رضى الله تعالى عنهم

قال الإمام الحافظ ابن القيم فى كتابه جلاء الأفهام ص ٢١٠ ،
ولما كان هذا البيت المبارك المطهر أشرف بيوت العالم على
الإطلاق ، خصهم الله سبحانه وتعالى بخصائص :

منها : أنه أمر عبادة بأن يصلوا على أهل هذا البيت ، كما صلى
على أهل بيتهم وسلفهم ، وهم إبراهيم وآله ، وهذه خاصية لهم .
ومنها : جعل أهل هذا البيت فرقاناً بين الناس ، فالسعداء
أتباعهم ، والنار لأعدائهم ومخالفهم .

ومنها أنه سبحانه وتعالى جعل خلاص خلقه من شقاء الدنيا
والآخرة على أيدي هذا البيت ، فلهم على الناس من النعم ما لا
يمكن إحصاؤه ، ولا جزاؤها ، ولهم المنن الجسام فى رقاب
الأولين والآخرين من أهل السعادة والأيدى العظام عندهم التى
يجازيهم الله عز وجل عليها .

ومنها : أن كل نفع وعمل صالح وطاعة لله فى العالم ، فلهم
من الأجر مثل أجور عامليها ، فسبحان من يختص بفضله من
يشاء من عباده .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى سد جميع الطرق بينه وبين
العالمين ، وأغلق دونهم الأبواب فلم يفتح لأحد قط إلا من

طريقهم وبابهم ، قال : وعزتي وجلالي لو أتوني من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك » (١) .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى خصهم من العلم بما لم يخص به أهل بيت سواهم من العالمين ، فلم يطرق العالم أهل بيت أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وثوابه وعقابه وشرعه ومواقع رضاه وغضبه وملائكته ومخلوقاته منهم ، فسبحان من جمع لهم علم الأولين والآخرين .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى خصهم من توحيده ومحبه بما لم يخص به أهل بيت سواهم .

ومنها : أنه سبحانه مكن لهم في الأرض واستخلفهم فيها ، وأطاع لهم أهل الأرض ما لم يحصل لغيرهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى محابهم من آثار الضلال والشرك ومن الآثار التي يبغضها ويمقتها ما لم يمح بسواهم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى جعل آثارهم في الأرض سبباً لبقاء العالم وحفظه ، فلا يزال العالم باقياً ما بقيت آثارهم ، فإذا ذهبت آثارهم من الأرض فذاك أول خراب العالم .

ومنها : أنه سبحانه وتعالى غرس لهم من المحبة والإجلال والتعظيم في قلوب العالمين ما لم يغرسه لغيرهم .

وهكذا الناس إنما قيامهم بقيام آثار نبيهم وشرائعه بينهم ، وقيام أمورهم وحصول مصالحهم واندفاع أنواع البلاء والشر عنهم

(١) أخرجه ابن حميد وابن عوانة .

بحسب ظهورها بينهم وقيامها ، وهلاكهم وعتتهم وحلول البلاء والشر بهم عند تعطلها والإعراض عنها والتحاكم إلى غيرها واتخاذ سواها .

ومن تأمل تسليط الله سبحانه وتعالى البلاد والعباد من الأعداء ، علم أن ذلك بسبب تعطيّلهم لدين نبيه وسنته وشرائعه ، فسلط الله عليهم من أهلّكهم وانتقم منهم ، وحتى أن البلاد التي لا ظهور فيها لآثار النبي وسنته وشرائعه ، يكون دفع البلاء عنها بحسب ظهور ذلك بينهم ، وهذه الخصائص وأضعاف أضعافها من آثار رحمة الله عز وجل وبركاته على أهل هذا البيت ، فلهذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نطلب له من الله أن يبارك عليه وعلى آله كما بارك على هذا البيت العظيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومن بركات أهل هذا البيت أنه سبحانه وتعالى أظهر على أيديهم من بركات الدنيا والآخرة ما لم يظهره على أيدي أهل بيت غيرهم .

ومن بركاتهم وخصائصهم : أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم من خصائصه ما لم يعط غيرهم ، فمنهم من اتخذه خليلاً .

ومن خصائصهم وبركاتهم على أهل الأرض : أن الله سبحانه وتعالى رفع العذاب العام عن أهل الأرض بهم وبيعتهم ، وكانت عادته سبحانه وتعالى في أمم الأنبياء قبلهم ، أنهم إذا كذبوا

أنبياءهم ورسلمهم أهلكهم بعذاب يعمهم ، كما فعل بقوم نوح
وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط ، فلما أنزل الله التوراة والإنجيل
والقرآن رفع بها العذاب العام عن أهل الأرض ، وأمر بجهاد من
كذبهم وخالفهم ، وكان ذلك نصرة لهم بأيديهم وشفاء لصدورهم
واتخاذ الشهداء منهم وإهلاك عدوهم بأيديهم لتحصيل عقابه
سبحانه على أيديهم .

بئر الخاتم

وتسمى بئر « أريس » نسبة إلى رجل اليهود ، كان يقال له : « أريس » وهى أمام مسجد قباء ، وسميت ببئر الخاتم لأنه سقط فيها خاتم النبي ﷺ من يد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) فى السنة السادسة من خلافته ، واجتهد ثلاثة أيام فى استخراجة بكل ما وجد إلى ذلك سبيلاً فلم يصل الى هذه الغاية ، وقيل : سقط من يد معيقب ، واستدلوا بسقوطه على حادث فى الإسلام عظيم .

قالوا : ومنذ ذلك اليوم حصل فى خلافته من اختلاف الأمر لفوات بركة الخاتم .

وقد كان قبله فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر رضى الله عنهما ثم بقى فى يد عثمان (رضى الله عنه) ست سنين جاء فى صحيح الإمام مسلم من حديث سعيد بن المسيب قال : أخبرنى أبو موسى الأشعرى (رضى الله عنه) أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقال : لألزم من رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومى هذا فجاء إلى المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا : خرج وجهه ها هنا . قال : فخرجت على إثره أسأل عنه ﷺ فقالوا : حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب ، « وبابها من جريد » ، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته ، وتوضأ ، فقامت إليه ، فإذا هو قد جلس على بئر أريس .

(كذا فى المغنم المطابه فى معالم طبابة للفير وزبادى ص ٢٦)

زمزم المدينة

زمزم : بئر بالمدينة ، على يمين السالك إلى بئر على رضى الله عنه ، بعيدة عن الجادة قليلاً فى سند من الحرة وحُوط حولها ببناء مجصص ، وكان على شفيرها حوض من حجارة تكسر ، لم يزل أهل المدينة ينزلون بها ، وينقل ماؤها إلى الآفاق ، كما ينقل زمزم مكة ، ولا يعرف فيها أثر (١) ، وهى بالقرب من البئر التى تعرف بسقيا سعد .

قال الشيخ جمال الدين المطرى : ولا تعرف أهى السقيا الأولى لقربها من الطريق ، أم هذه لتواتر التبرك بها ؟ قال : ولعلها البئر التى احتفرتها فاطمة بنت الحسين بن على ، زوج الحسن بن الحسن بن على ، حين خرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى فى أيام الوليد ، لما أمر بإدخال الحجرات وبيت فاطمة فى المسجد فإنها بنت دارها بالحرة ، وأمرت بحفر بئر فيها ، فطلع لهم جبل وأكديّة ، فذكروا لها ، فتوضأت وصلت ودعت ، ورشت موضع البئر بفضل وضوئها وأمرتهم فحفروا فبلغوا الماء بسرعة ، فالظاهر أنها هذه السقيا الأولى ، والله أعلم .

(١) قال السمهودى عن بئر زمزم : اسم للبئر التى على يمين الذهاب للعقيق ، بعيدة عن الجادة ، وذكر فى بئر « إهاب » : الظاهر أنها المعروفة اليوم « بزمزم » وهى فى طرف الحرة الغربية .

(انظر المغانم فى معالم طبابة) ص ١٧٢ اهـ مالكى . (المؤلف) .

العقيق

وعن جابر بن عبد الله (رضى الله تعالى عنهما) قال : كان سلمة بن الأكوع الأسلمي (رضى الله عنه) يصيد الطباء فيهدى لحومها لرسول الله ﷺ جفيفاً وطرياً ففقدته رسول الله ﷺ فقال : يا سلمة مالك لا تأتيني بما كنت تأتى به ؟ فقال : يا رسول الله : تباعد عنا الصيد فإنما نصيد بتيب وصدور قناة ، فقال ﷺ : « أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت ، ولقيتك إذا رجعت ، فإني أحب العقيق » .

وعن زكريا بن إبراهيم قال : بات رجلان بالعقيق ، ثم أتيا رسول الله ﷺ قال : أين بتما ؟ قالوا : بالعقيق ، قال ﷺ : « لقد بتما بواد مبارك » .

وعن عامر بن سعيد « رضى الله عنهما » قال : ركب رسول الله ﷺ إلى العقيق ، ثم رجع فقال : يا عائشة : جئنا من هذا العقيق ، فما ألين موطئه ، وأعذب ماءه ! قالت : قلت يا رسول الله ، أفلا ننتقل إليه ؟ فقال ﷺ : وكيف وقد ابتنى الناس ؟ ، وعن عامر بن سعيد رضى الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ نام بالعقيق ، فقام رجل من أصحابه يوقظه ، فحال بينه وبينه رجل من أصحابه وقال : لا توقظه ، فإن الصلاة لم تفته ، فتجاذبا

حتى أصاب بعض أحدهما رسول الله ﷺ فأيقظه ، فقال ﷺ :
ما لكما ؟ فأخبراه ، فقال : لقد أيقظتmani ، وإنني لأراني بالوادي
المبارك .

(انظر المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز أبادي ص ٢٦٦) .

أم معبد تتحدث عن المصطفى

(صلى الله عليه وآله وسلم)

جاء فى الحديث أن النبى ﷺ أثناء هجرته مر بأم معبد ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الديلى ، فسألوها : هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً . وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ، وكانوا ممحليين فنظر إلى شاة فى كسر خيمتها . فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : خلفها الجهد ، فقال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ فقالت : إن كان بها حلب فاحلبها ، فدعا بالشاة فمسحها ، وذكر اسم الله ، فذكر الحديث فى حلبه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها إناءها ملأى ، وكان يربض الرهط ، فلما جاء بعلها استنكر اللبن ، وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ولا حلوبة فى البيت ، والشاة عازب ؟ فقالت : لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، فقال : صفيه لى فوالله إنى لأراه صاحب قريس الذى يطلب ، فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضأة ، حسن الخلق مليح الوجه ، لم تعب ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، قسيم وسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، أحور أكحل ، أزج ، أقرن ، فى عنقه سطع ، وفى لحيته كثائة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، كأن منطق خرزات

نظم ينحدرن ، أبهى الناس وأجملهم من بعيد ، وأحلامهم
وأحسنهم من قريب ، ربعة لاتشنؤه عين من طول ، ولا تقتحمه
عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ،
وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن
أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند .

فقال بعلها : هذا والله صاحب قریش الذى تطلب ، ولو
صدفته لا لتمست أن أصحبه ، ولأجتهدن إن وجدت إلى ذلك
سبيلاً .

قال : وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه
ولا يرون من يقوله وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به	فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم	به من فعال لا تجازى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها	فإنكمو إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهناً لديها لحالب	يدر لها فى مصدر ثم مورد

ثم إن الحافظ البيهقى أتبع هذا الحديث بذكر غريبه . . .
ونحن نذكر ههنا نكتاً من ذلك : فقولنا : ظاهر الوضاعة : أى
ظاهر الجمال . أبلج الوجه : أى مشرق الوجه مضيئه ، «لم تعب
ثجله» ، قال أبو عبيد : هو كبر البطن ، وقال غيره : هو كبر

الرأس ، « ولم تزر به صعلة » : وهو صغر الرأس ، وأما « الوسيم » فهو حسن الخلق ، وكذا « القسيم » أيضاً ، « والدعج » : شدة سواد الحدة ، والوطف : طول أشفار العينين ، وفي صوته « صحل » وهو بحّة يسيرة ، وهى أحلى فى الصوت ، قال أبو عبيد : وبالصّحل يوصف الظباء ، وأما قولها : « أحور » فمستغرب فى صفة النبى ﷺ وهو فى العين يزينا لا يشينها كالحول ، وقولها : « أزج » . قال أبو عبيد : هو المتقوس الحاجبين ، قال : وأما قولها : « أقرن » فهو التقاء الحاجبين بين العينين ، قال : ولا يعرف هذا فى صفة النبى ﷺ إلا فى هذا الحديث .

قال : والمعروف فى صفته عليه السلام أنه أبلج الحاجبين ، فى عنقه سطع ، قال أبو عبيد : أى طول ، وقال غيره : نور ، قلت : والجمع ممكن بل متعين ، وقولها : « إذا صمت فعليه الوقار » أى الهيبة عليه فى حال صمته وسكونه « وإذ تكلم سما » أى علا على الناس ، « وعلاه البهاء » أى فى حال كلامه حلو المنطق ، « فصل » أى فصيح بليغ ، يفصل الكلام ويبينه ، « لا نزر ولا هذر » أى لا قليل ولا كثير ، « كأن منطق خرزات نظمن » من حسنه وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه ، « أبهى الناس وأجملهم من بعيد وأحلامهم وأحسنهم من قريب » أى هو مليح من بعيد ومن قريب ، وذكر أنه : « لا طويل ولا قصير » بل هو

أحسن من هذا ومن هذا ، وذكرت أن أصحابه يعظمونه ويخدمونه
ويبادرون إلى طاعته وما ذلك إلا لجلالته عندهم وعظمته في
نفوسهم ومحبتهم له ، وأنه ليس بعابس ، أى ليس يعبس ، « ولا
يفند أحداً » ، أى يهجنه ويستقل عقله ، بل جميل المعاشرة ،
حسن الصحبة ، صاحبه كريم عليه ، وهو جيب إليه صلى الله
عليه وآله وسلم .

(انظر البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١) .

مشاركته أصحابه فى العمل

(صلى الله عليه وآله وسلم)

جاء فى الأثر أن رسول الله ﷺ فى غزوة الخندق اشترك مع المهاجرين والأنصار فى حفر الخندق وعمل فيه ، فكان أحياناً يحمل معهم التراب ، وأحياناً ينشد نشيداً يُنشط به العاملين ، وهم يجيئون به بآخر . روى البخارى : أن الصحابة كانوا يحفرون وينقلون التراب على ظهورهم ورسول الله ﷺ ينشدهم قول عبد الله ابن رواحة :

اللهم إن العيش عيش الآخرة	فاغفر للأنصار والمهاجرة
والله لولا أنت ما اهدتينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الذين قد بغوا علينا	إذا أرادوا فتنة أبينا

وكان الصحابة يجيئون بعد كل بيت ينشده بقولهم :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
وقد سن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام فى العالم الإنسانى
اشترك الرؤساء والعظماء فى العمل مع من يعمل تحت سلطانهم
ونفوذهم ، ثم خفف عن العاملين التعب والنصب ، بما كان
ينشده من الرجز ليردّوا فيسهل العمل ويجمل ، فيذهب الضجر
والممل ، فهل نص التاريخ على أن عظيماً من عظماء أى دولة

فيما مضى أو في هذا العصر الذي يسمونه : (عصر العمل والعمال) فعل كما فعل رسول الله ﷺ مع شعبه وقومه ؟ اللهم : لا ، فالإسلام هو مهد الحضارة الحقّة والحرية الكاملة ، والعدالة الشاملة وهو دين الإخاء والمساواة ، وليس له في ذلك شريك .

صورة من صبره

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد اتصف النبي الكريم ﷺ بالصبر ، وشدة الاحتمال ، والعفو عند المقدرة ، كان لا يزداد مع كثرة الأذى إلا صبراً ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا ، لقي في سبيل الله الشدائد ، وتعرض للمكاره ، وهو لا يزداد إلا ثباتاً ومضاء وإقداماً ، ويقول :

« والله لو وضعوا (يريد قريشاً) الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ولما أصابه من قريش ما أصابه يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه وقالوا : لو دعوت عليهم . فقال ﷺ : « إني لم أبعث لعناً ، ولكني بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » (١) .

(١) رواه الطبراني في الكبير والبخاري في الأدب ومسلم في الصحيح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والبيهقي في شعب الإيمان بهذا اللفظ الذي كتبه المؤلف .

ثلاثة من أعظم قريش يقرون بصدق وأمانة النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لقى رجل أبا جهل - وكان من ألد أعداء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد رسالته - فقال له : يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا ، فخبرني عن محمد صادق أم كاذب ؟ فقال أبو جهل : والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ومع ذلك لم يؤمن به عناداً واستكباراً .

وسأل (هرقل) عنه (أبا سفيان) قبل أن يسلم أبو سفيان ، فقال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا .

وقال : (النضر بن أبي الحرث) لقريش المكذبين لمحمد : قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، فهذه شهادة ثلاثة من أعظم قريش ، اتفقوا على صدقه وأمانته ﷺ .

«والفضل ما شهدت به الأعداء»

كمال وجهه

(صلى الله عليه وآله وسلم)

أجمعت كلمة الصحابة الذين وصفوا رسول الله ﷺ على أنه كان منير الوجه ، مشرق المحيا ، يتلألأ بالنور الباهر والضياء الزاهر والبهاء الظاهر ، فمن الصحابة من ضرب المثل لبهاء نوره ﷺ بالشمس ، ومنهم من شبه ذلك بالقمر ، ومنهم من شبه لمعة إشراقات وجهه بلمعة القمر ، وقد تقدم قول كعب فى الحديث الصحيح ، « وكان إذا سر ﷺ استنار وجهه كأنه قطعة قمر » .

وجاء فى حديث الحسن بن على عن خاله هند بن أبى هالة ، قال : « كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر » رواه الترمذى .

ونظر إليه جابر بن سمرة فى ليلة مقمرة فقال « فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو عندى أحسن من القمر » رواه الترمذى وهو صحيح .

وسأل رجل البراء بن عازب : أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف ؟ ، فقال : « لا بل مثل القمر » رواه البخارى والترمذى .

وقال جابر : « مثل الشمس والقمر ، وكان مستديراً » رواه مسلم وتقول السيدة عائشة : « كان ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم لوناً لم يصفه واصف إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر ، وكان عرقه

فى وجهه مثل اللؤلؤ ، وأطيب من المسك الأذفر » رواه أبو نعيم .
وقيل للربيع بنت معوذ : « صفى لنا رسول الله ﷺ ! فقالت :
يا بنى لو رأيته لرأيت الشمس طالعة » رواه الترمذى والبيهقى .

وقال أبو هريرة : « كأن الشمس تجرى فى وجهه » رواه
الترمذى ، ووصفته أم معبد فقالت : « رأيت رجلاً ظاهر الوضأة ،
حسن الخلق ، مليح الوجه ، قسيماً وسيماً » الحديث رواه
البيهقى والحاكم وصححه ، وهو من الشهرة بمكان .

سيد ولد آدم

قال الحافظ الدارمى فى سننه المعروفة :

أخبرنا عبيد الله بن عبد المجيد ، حدثنا زمعة عن سلمة عن
عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « جلس ناس من أصحاب النبى
ﷺ ينتظرونه ، فخرج ، حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فتسمع حديثهم ، فإذا بعضهم يقول : عجباً : إن الله اتخذ من
خلقه خليلاً ، فإبراهيم خليله ، وقال آخر : ماذا بأعجب من
موسى : « وكلم الله موسى تكليماً » ، وقال آخر : فعيسى كلمة الله
وروحه . وقال آخر : وآدم اصطفاه الله ، فخرج صلى الله عليه وآله
وسلم عليهم وسلم ، وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم : إن
إبراهيم خليل الله ، وهو كذلك ، وموسى نبيه وهو كذلك ،
وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ،

ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة
تحتة آدم فمن دونه ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة
ولا فخر ، وأنا أول من يحرك بحلق الجنة ولا فخر ، فيفتح الله لى
فيدخلينها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين
والآخرين على الله ولا فخر» . سنن الدارمى ج ١ ص ٣٠

استرجاع النبى ﷺ لصفية من دحية

جاء فى الحديث أن النبى ﷺ استرجع صفية بنت حى من
دحية الكلبي ، وقال له : خذ غيرها من السبي ، وذلك فى غزوة
خيبر ، ورواه البخارى فى مواضع ، منها فى « باب ما يذكر فى
حكم الفخذ » من كتاب الصلاة .

قال القسطلانى : « وارتجعها منه ، لأنه إنما كان أذن له فى
جارية من حشو السبي ، لا من أفضلهن ، فلما رآه أخذ أنفسهن
نسباً وشرفاً وجمالاً ، استرجعها لئلا يتميز دحية بها على سائر
الجيش ، مع أن فيهم من هو أفضل منه ، وأيضاً لما فيه من
انتهاكها مع مرتبتها ، وربما ترتب على ذلك شقاق أو غيره ، مما
لا يخفى ، فكان اصطفاؤه ﷺ لها قاطعاً لهذه المفاسد .

وفى فتح البارى ، نقلاً عن الشافعى فى « الأم » عن سيرة

الواقدي ، أنه (عليه الصلاة والسلام) أعطى دحية أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية ، (أى تطبيقاً لخاطره) .

وفى سيرة ابن سيد الناس أنه أعطاه ابنتى عم صفية ، اهـ / ارشاد السارى ١ / ٣٩٩ .

قلت : وبهذا ظهر أنه ﷺ لم يعطه صفية ابتداءً بالتعيين ، وإنما أذن له فى أن يأخذ جارية من السبى فاختر هو صفية .

قاعدة طبية نبوية فى المركبات من الأدوية

جاء فى الحديث : أن النبى ﷺ « كان يأكل القشاء بالرطب » وهو صحيح .

وفى الترمذى : « أنه جمع بين البطيخ والرطب » وقال : يكسر حر هذا برد هذا .

قال القرطبى : يؤخذ من هذا جواز مراعاة صفات الأطعمة وطبائعها واستعمالها على الوجه اللائق بها ، على قاعدة الطب ، لأن فى الرطب حرارة ، وفى القشاء برودة ، فإذا أكلوا معاً اعتدلا ، وهذا أصل كبير فى المركبات من الأدوية ، انتهى .

من « نفثات صدر المكمّد بشرح ثلاثيات مسند أحمد » للسفارينى ٢ / ٥٥٤ .

حنين الجذع للنبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الإمام الحافظ الدارمي في سننه : أخبرنا محمد بن حميد ، حدثنا تميم بن عبد المؤمن ، حدثنا صالح بن حيان ، حدثني ابن بريدة ، عن أبيه ، قال : كان النبي ﷺ إذا خطب قام فأطال القيام فكان يشق عليه قيامه ، فأتى بجذع نخلة فحفر له ، وأقيم إلى جنبه قائماً للنبي ﷺ فكان النبي ﷺ إذا خطب فطال القيام عليه ، استند إليه فاتكأ عليه ، فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائماً إلى جنب ذلك الجذع ، فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن محمداً يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : اتنوني به ، فأتوه ، فأمر أن يصنع له هذه المراقى الثلاث أو الأربع [هي الآن في منبر المدينة] فوجد النبي ﷺ في ذلك راحة ، فلما فارق النبي ﷺ الجذع ، وعمد إلى هذه التي صنعت له ، جزع الجذع فحن كما تحن الناقة ، حين فارقه النبي ﷺ ، فزعم بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه ، وقال : اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت ، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها : فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرتك

ونخلك ، فزعم أنه سمع من النبي ﷺ وهو يقول له : نعم ، قد فعلت (مرتين) فسأل النبي ﷺ فقال : اختار أن أغرسه في الجنة .

وفى رواية : « حن ذلك الجذع حتى سمعنا حنينه ، فوضع رسول الله ﷺ يده عليه فسكن » وفى رواية أخرى « أنه لما حن احتضنه ﷺ وقال : لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة » .
(روى ذلك الدارمى فى سننه ج ١ ص ٢٣) .

تفضيل النبي على الكونين

(صلى الله عليه وآله وسلم)

قال الإمام الحافظ الدارمى فى سننه المعروفة :

أخبرنا إسحق بن إبراهيم ، أخبرنا بن أبى حكيم ، حدثنى الحكيم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء ، فقالوا : يا ابن عباس بم فضله على أهل السماء ، قال : إن الله قال لأهل السماء : ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ الآية .

وقال الله لمحمد ﷺ : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال

قال الله عز وجل : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ الآية وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴾ فأرسله إلى الجن والإنس .

(انظر سنن الدارمي ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠) .

معجزة باهرة

قال الإمام الحافظ الدارمي في سننه المعروفة :

أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا أبان (وهو العطار) حدثنا قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي عبيد ، أنه طَبَخَ للنبي ﷺ قدراً فقال له : ناولني الذراع ، (وكان يعجبه الذراع) فناوله الذراع ، ثم قال : ناولني الذراع ، فناولة ذراعاً ، ثم قال : ناولني الذراع ، فقلت يا نبي الله : وكم للشاة من ذراع ؟ فقال : والذي نفسي بيده لو سكت لأعطيت أذرعاً ما دعوت به .

(انظر سنن الدارمي ج ١ ص ٢٧) .

أشياء ما كان يردها

(صلى الله عليه وآله وسلم)

جاء في حديث الترمذي : « ثلاث لا ترد : اللبن ، والوساد ، والدهن » .

وأنشد بعضهم :

قد كان من سيرة خير الوري صلى الله عليه طول الزمن
أن لا يرد الطيب والتمكا والتمر واللحم معاً واللبن

وأوصلها الحافظ السيوطى إلى سبع
عن المصطفى سبع يسن قبولها
إذا ما بها قد أتحت المرء خلان
فحلو ، وألبان ودهن وسادة
ورزق لمحتاج وطيب وريحان
وفى طبقات الشعرانى عن سفيان بن عيينه : « ماء زمزم بمنزلة
الطيب ، لا يرد » .

محبة ﷺ لماء زمزم وطلبه له من المدينة المنورة

كان ﷺ يرسل فى طلب ماء زمزم ، ويحرص على ذلك فكان
يحمل إليه مخصوصاً من مكة إلى المدينة المنورة ، وقد ترجم فى
الإصابة لأثيلة الخزاعى ، عن أبى قرة (موسى بن طارق) : أن
النبي ﷺ كتب إلى سهيل بن عمرو : (وإن جاءك كتابى ليلاً فلا
تصبحن ، أو نهراً فلا تمسين حتى تبعث إلىّ من ماء زمزم ،
قال : فاستعان سهيل بأثيلة الخزاعى ، حتى جعل مزادتين ملاهما
سهيل من ماء زمزم ، وبعث بهما على بعيره ، ورواه المفضل بن
محمد الجنوى ثم ترجم فى الإصابة أيضاً : أزيهر مولى سهيل بن
عمر له صحبة أرسله موله سهيل إلى النبي صلى الله عليه وآله
وسلم بماء زمزم .

وروى الفاكهى من طريق محمد بن سليمان ، عن حرام بن

هشام عن أبيه عن أم معبد ، قال : مرَّ بخيمتي غلام سهيل أزيهر
ومعه قربتا ماء ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : إن النبي ﷺ كتب إلى
مولاه سهيل يستهديه ماء زمزم فإني أعجل السير لكيلا تنشف
القرب .

تنقله ﷺ من عهد آدم في أصلاب الأنبياء

روى الحافظ عبد الرحمن بن الديق الشيباني مؤلف « جامع الأصول » قال : قال ﷺ « كنت نوراً^(١) بين يدي الله عز وجل قبل أن يُخلق آدم بألفى عام ، يسبح الله ذلك النور ، وتسبح الملائكة بتسبيحه ، فلما خلق الله آدم أودع ذلك النور في طينته » .

قال ﷺ : « فأهبطني الله عز وجل إلى الأرض في ظهر آدم ، وحملني في السفينة في صلب نوح ، وجعلني في صلب الخليل إبراهيم حين قذف به في النار ، ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة ، حتى أخرجني الله من بين أبوي ، وهما لم يلتقيا على سفاح قط » .

وقد مدح العباس (رضى الله عنه) رسول الله ﷺ في قوله :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر أنـ ست ولا مضعة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرأ وأهله الفرق
تنقل من صلب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
ووردت نار الخليل مسترأ في صلبه أنت : كيف يحترق ؟
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف^(٢) غلياء تحتها النطق^(٣)

(١) قوله كنت نوراً ، رواه محمد بن عمر المعدني شيخ مسلم في مسنده ، وابن الجوزي في « الوفا » ٢٥ / ١ وفي الموضوعات له ، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ٣٤٥ / ١ والقاضي عياض في الشفا ، وقال : يشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدحه ﷺ ٨٣ / ١ . هـ مالكي . (المؤلف) .

(٢) الخندفة : أن يمشى مفاجأ ويقلب قدميه كأنه يغرف بهما ، وهو من التبخر . اهـ قاموس .

(٣) النطق : أعراض وجبال بعضها فوق بعض ، شبهت بالنطق التي تشد بها الأوساط

والمتنطق : العزيز .

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر هذه الأبيات فى ترجمة « خريم بن أوس » قال : « هاجرت إلى رسول الله ﷺ فقدمت عليه منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس عمه يقول : يا رسول الله إني أريد أن أمدحك ! فقال له النبي ﷺ : قل لا يفضض الله فاك . فأنشأ يقول : وساق الأبيات ، ثم قال : وقد روى هذه الأبيات جرير بن أوس أخو خريم بن أوس كما رواه خريم .

(كذا فى الاستيعاب ٣ / ٣٤٠)

قال مقيده عفا الله عنه : وجرير هذا قدم مع أخية خريم على النبي ﷺ . قال ابن عبد البر : جرير بن أوس الطائى : هاجر إلى رسول الله ﷺ فورد عليه منصرفه من تبوك فأسلم . وروى شعر العباس بن عبد المطلب الذى مدح به النبي ﷺ ثم قال : خريم وجرير قدما مع على إلى النبي ﷺ ورويا شعر العباس .

(الاستيعاب ٣ / ٣٤٠) .

قال مقيده عفا الله عنه : وذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة خريم ، وقال : رواها ابن خيثمة ، والبزار وابن شاهين ١ / ٤٣٣ .

قال مقيده عفا الله عنه : ثم ظفرت بفائدة نفيسة ، وهى أن الحاكم روى أيضاً فى كتابه « المستدرک » هذه الأبيات عن خريم

، وأقره الذهبي ، وهو معروف بتشده وتعتته ، فقال : رواية الأعراب عن آبائهم ، ومثلهم لا يضعون . (كذا فى المستدرك وتلخيصه ٣/ ٣٣٧)

وقد ذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن كثير فى السيرة ١ / ١٩٥ عن أبى السكّن زكريا الطائى ، عن زخر بن حصين ، عن جده حميد بن منهب ، قال : قال جدى خريم بن أوس : هاجرت إلى رسول الله ﷺ ، فسمعت العباس عمه يقول : يا رسول الله إنى أريد أن امتدحك ! فقال له النبى ﷺ : « قل لايفضض الله فاك » فأنشأ يقول ... وقال : قد روى هذا الشعر لحسان بن ثابت ، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس .

وجاء عن ابن عباس ما يؤيد هذا التنقل النبوى فى تفسير قوله تعالى من سورة الشعراء : « وتقلبك فى الساجدين » قال ابن عباس : يتقلب فى أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه (أخرجه ابن أبى حاتم) وابن مردويه ، وأبو نعيم فى الدلائل .

(كذا فى الدر المنثور، ٥ / ٩٨) .

ونقل هذا أيضاً ابن كثير فى تفسيره وابن أبى حاتم وابن الجوزى كلهم فى سورة الشعراء ، عند قوله تعالى : ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾ وجاء مثل هذا عن مجاهد أخرجه سفيان بن عيينة والقربابى ، والحميدى ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ،

وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ،
والبيهقي في الدلائل ، ونحوه عند البزار ، والطبراني عن مجاهد
قال : « من نبى إلى نبى حتى أخرجت نبياً » .

(كذا فى الدر المثور) .

وبهذا ظهر أن مسألة تنقله ﷺ أمر ثابت من طريق أبيات
العباس التى قالها أمام النبى ﷺ ، وأقره عليها ، ويؤيد هذا ما
جاء عن ابن عباس فى تفسير آية : ﴿ وتقلبك فى الساجدين ﴾
فهذا أمر ثابت نقلاً ، وقد يظن بعض من ساء فهمه وضاق عقله أن
هذا التنقل ذاتى وأنه خاص بالذات المحمدية فتنقل من صلب
إلى صلب ومن بطن إلى بطن ، وهذا لا يقول به إلا جاهل أو
مجنون والذى أراه وهو الحق إن شاء الله : أن هذا التنقل ليس تنقلاً
بالذات ، وعليه فليس هو خاصاً به ﷺ ، بل هو عام فى جميع
الذرية التى كانت فى أصلاب هؤلاء النبين المذكورين عليهم
الصلاة والسلام ولكن لرسول الله ﷺ وجود أتم وأكمل ، ولعل
ذلك كان يعلم منه وشعور بقى فى تلك الحالة ، حين ظهوره فى
العالم الدنيوى ، وهذا التنقل أيضاً معناه ، إعلام كل نبى من
أجداده بأن محمداً ﷺ فى ضمن ذريته ، وهذا وجه تميزه ﷺ عن
غيره ، وهى خصوصية خصه الله بها ، وأما غيره من الذرية
فيحتمل أنهم كان لهم شعور ما فى تلك الأحوال ، سيما عند أخذ
الميثاق ، ولكنه لم يبق لهم ذلك لا علماً ولا شعوراً ، كما بقى له
ﷺ كما أن غيره من الذرية لم يحصل إعلام لأجدادهم بهم ، أو

إخبار عنهم لهم ، والذي يؤيد هذا المعنى الذي فتح الله به على :
هو أن الذرية من ظهر آدم لا محالة - حتى في الجنة - كما جاء في
الحديث : « وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم »؟ وفي
محاجة موسى لآدم : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة
بخطيئتك !

وورد في الحديث : « إن الله تعالى لما استخرج الذرية من ظهر
آدم عليه السلام فرأتهم الملائكة ... » الحديث وورد أيضا « أنه
استخرج الذرية من ظهر آدم فرأى منهم واحدا ... »^(١) الحديث
وما أحسن قول الحافظ المحدث السلفي شمس الدين بن ناصر
الدمشقي :

تنقل أحمد نورا عظيماً تلالاً في جباه الساجدين
تقلب فيهم قرناً قرناً إلى أن جاء خير المرسلينا

(كذا في مسالك الحنفيا للسيوطي)

(١) حديث : لما استخرج الله الذرية من ظهر آدم ... الخ
رواه الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : لما خلق الله
آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمه هو خالقها [من ذريته] إلى يوم القيامة وجعل بين عيني
كل رجل منهم وبيضا من نور ثم عرضهم على آدم فقال : يارب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك
فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيضا ما بين عيني فقال : أي رب من هذا قال : هذا رجل من آخر الأمم
من ذريتك يقال له : داود فقال : يارب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أي رب زده من
عمرى أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم عليه السلام جاءه ملك الموت ، فقال : أو لم يبق من
عمرى أربعين سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسى آدم
فنسيت ذريته ، وفي غير الترمذي : فحيثذ أمر بالكتاب والشهود .

النور المحمدي

عن جابر بن عبد الله قال : قلت يارسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني ، عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء .

قال : يا جابر إن الله تعالى : خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ... (الحديث رواه عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن جابر (١) .

(كذا في المواهب اللدنية ١ / ٩)

(١) تعليق على حديث أولية النور المحمدي

حديث جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ... » الخ ذكره جمع من العلماء وعزوه إلى مصنف عبد الرزاق ، منهم الإمام القسطلاني في المواهب وابن حجر في شرح الهمزية والعجلوني في كشف الخفا وغيرهم ، إلا أنَّ من يطالع مصنف عبد الرزاق - المطبوع والمتداول الآن - لا يجد هذا الحديث ومن هنا ارتاب البعض في شأن هذا الحديث ومنهم من حكم بوضعه وقد جانبه الصواب في ذلك وكان الأولى أن يترى وأن يراعى لهؤلاء العلماء والحفاظ قدرهم حيث استدلوا بالحديث وأوردوه في مصنفاتهم من غير استدراك ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، وذكر الحديث الشيخ رشيد الراشد التاذفي في ج ١ ص ١٤ من كتابه « السيرة المرضية » وعلق عليه بقوله : رواه عبد الرزاق في مصنفه واللفظ له والبيهقي عن جابر وصححه ابن القطان . اهـ وكيف يسوغ أن يُحكم بوضع الحديث دون معرفة إسناده؟ وكل من حكم على متنه بالوضع متوهماً أنه يدل على أن الله نور بمعنى الضوء وأن النبي ﷺ جزء من الله لأنه جزء من نوره ، فهو حكم غير سديد لأن للحديث معنى مستقيماً يمكن أن يحمل عليه ، وذلك بأن تكون الإضافة للتشريف والتعظيم وليست « من » للتبعض ، ومثاله قوله تعالى : « فإذا نفخت فيه من روحي » وقوله : « أن طهر بيتي » وقوله : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » ويؤيد هذا ما ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾ حيث قال =

= أضافه إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنه خلق عجيب وأن له مناسبة إلى حضرة الربوبية اهـ [كشف الخفا ج ١ ص ٣١٢].

هذا وما عليه عقيدة أشياخنا وأئمتنا من العلماء العاملين وأهل المعرفة المحققين : أن أول المخلوقات على الإطلاق نور نبينا ﷺ فهو أول مخلوق للذات العلية وبواسطته وسببه وجدت جميع الكائنات العلوية والسفلية وإلى هذا يشير حديث جابر رضى الله عنه عندما سأل النبي ﷺ عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال : يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا إنس ولا جان فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث بقية الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الحديث اهـ [انظر كتاب استحالة المعية بالذات للشنقيطي ص ٣٥٣].

هذا وقد وردت أحاديث أخرى تؤيد هذا الحديث منها : ما جاء في أحكام ابن القطان مما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام . اهـ [استحالة المعية بالذات ص ٣٥٣] وحديث : « أول ما خلق الله نوري » ذكره العلامة الفاسي في شرح دلائل الخيرات ، وقال عنه السيوطي في تخريج أحاديث شرح المواقف (ص ١٢٣) : لا يحضرني بهذا اللفظ لكن في مسند ابن عمر العدني عن ابن عباس : إن قریشا كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم أبقى ذلك في صلبه ، قال رسول الله ﷺ فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذفه في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أسوي لم يلتقيا على سفاح قط اهـ [ط دار المعرفة ١٤٠٦] هذا ولا يخفى أن المراد من هذه الأحاديث هو بيان حقيقته النورانية ﷺ لا حقيقته الطينية فهو أول الخلق في الأنوار وإن تأخر في الظهور والإرسال . =

= وكون حديث جابر ليس موجوداً في النسخة المطبوعة من مصنف عبد الرزاق لا ينفي صحة ما ذكره بعض الحفاظ كابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية والقسطلاني وغيرهما، ويبان ذلك أن المحدث حبيب الرحمن الأعظمي الذي حقق المصنف به في أوله على أن جميع النسخ المخطوطة والمصورة ناقصة وأن أتمها نسخة [مراد ملا] ثم طلب ممن يعثر عليها أن يضيفها إليه . وعليه فلا يصح القول بعدم وجود الحديث في المصنف حتى يظهر الناقص منه .

ولا يعارض حديث أولية النور المحمدي ما ورد من أحاديث أخرى في أن أول شيء خلقه الله القلم [رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت] وكذلك حديث الماء والعرش فقد قال العلامة الشنقيطي : إن أولية ذلك بالنسبة إلى ما عدا النور المحمدي أو أن الأولية فيما عدا النور المحمدي في كل بالإضافة إلى جنسه فأولية ما عدا النور المحمدي أولية نسبية أما حديث «أول ما خلق الله العقل» فلم يثبت اهـ . [راجع لمزيد الفائدة كتاب استحالة المعية بالذات للعلامة الشنقيطي طبعة صبيح] .

وقال الزرقانى : رواه البيهقى أيضاً ببعض المخالفة ، ولا يعارضه حديث الترمذى : « أول ما خلق الله القلم » إذ يمكن الجمع بينهما بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور المحمدى ، وقيل الأولية فى كل شىء بالإضافة إلى جنسه ، أى أول ما خلق الله من الأنوار نورى .

ومما يثبت هذه النورانية المحمدية ما رواه على بن الحسين عن أبيه عن جده : أن النبى ﷺ قال : « كنت نوراً بين يدي ربى » .

(المواهب اللدنية ١ / ١٠)

وهذا الحديث ذكره الحافظ أبو الحسين على بن محمد بن القطان فى أحكامه وابن القطان من نقاد الحديث المعروفين بصناعته ، ومن أشد العلماء عناية بالرواية والحفظ والإتقان .

ومما يثبت هذه النورانية قوله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ فقد قال كثير من العلماء : إن المراد بالنور هو محمد ﷺ كذا فى تفسير الطبرى ، وابن حاتم والقرطبى .

وقال قتادة : يعنى بالنور محمداً (كذا فى تفسير ابن الجوزى ٣ / ٣١٧) .

ومما يدل على هذه النورانية أيضاً ما ثبت بالطرق المستفيضة

من أنه ﷺ لما ولد « رأت أمه نوراً » وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام . قال ابن حجر : وصحح ذلك ابن حبان والحاكم .

(كذا في المواهب ١ / ٣٣) .

ومما يثبت هذه النورانية ما جاء في حديث الطبراني : « ورأينا كأن النور يخرج من فيه » .

وما جاء عن ابن عباس قال : إذا تكلم رثي كالنور يخرج من بين ثناياه (غزاه الزرقاني للترمذي والدارمي) وما جاء عن ابن أبي هالة (عند الترمذي في الشمائل) في وصفه ﷺ إذ قال : « له نور يعلوه وما جاء عن السيدة عائشة قالت : « كنت قاعدة والنبي ﷺ يخفض نعله ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نوراً فبهت . فقال : مالك بُهت ؟ قلت : جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقه يتولد نوراً ، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أولى بشعره حيث يقول :

ومبرأ من كل غبر حيضةٍ وفساد مرضعة وداء مغيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت بروق العارض المتهلل

ومما يدل على أوليته ﷺ ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على

الماء ومن جملة ما كتب في الذكر - وهو أم الكتاب - إن محمداً خاتم النبيين « أخرجه مسلم وفي رواية « إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طيته ، رواه أحمد والبيهقي والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

وفي رواية أنه قيل له : متى وجبت لك النبوة ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد « رواه الترمذي وحسنه .

وفي رواية : « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » قال السخاوي : رواه أبو نعيم في الدلائل ، وابن أبي حاتم في تفسيره . وابن لال من طريقه عن أبي هريرة مرفوعاً « وله شاهد صححه الحاكم ، وآخر في صحيح ابن حبان والحاكم ، وثالث عند الترمذي ، وقال عنه : حسن صحيح ، وأما الذي يجري على الألسنة « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » فلم نقف عليه بهذا اللفظ ، فضلاً عن زيادة « كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » . وقال الحافظ ابن حجر ، في بعض أجوبته عن الزيادة : إنها ضعيفة والتي قبلها أقوى .

(المقاصد الحسنة ، وكشف الخفاء والإلباس : حرف الكاف)

قال مقيده عفا الله عنه : لكن الشيخ العلقمي في شرح الجامع الصغير ، قال عن هذا الحديث : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » إنه حديث صحيح (كذا في شرح الجامع) .

ومما يدل على نورانيته ﷺ أنه مجاب الدعوة ، وقد دعا وطلب أن يكون نوراً ، فقال : اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى بصرى نوراً وفى شعرى نوراً ثم قال : واجعلنى نوراً وهو حديث صحيح .

أفضلية النبى على الملائكة

(صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد فضله الله على أنبيائه ورسله من البشر ، وكذلك فضله على من اصطفاه من رسله من أهل السماء وملائكته ، لأن أفاضل البشر أفضل من الملائكة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ والملائكة من جملة البرية ، لأن البرية الخليفة مأخوذ من برأ الله الخلق ، أى اخترعه وأوجده . ولا تدخل الملائكة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ مع أنهم قد آمنوا وعملوا الصالحات ، لأن هذا اللفظ مختص بعرف اللغة - فيمن آمن من البشر ، بدليل أنه هو المتبادر إلى الأفهام عند الإطلاق .

فإن قيل : البرية مأخوذة من البرا وهو التراب ، فكأنه قال : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البشر ، فالجواب من وجهين : أحدهما أن أئمة اللغة قد عدوا البرية من جملة ما تركت العرب همزه ، والوجه الثانى : وهو الأظهر : أن نافعاً قرأ بالهمز ، وكلا القراءتين كلام الله ، فإن كانت إحداهما فضلت

الذين آمنوا وعملوا الصالحات على سائر البشر ، فقد فضلتهم
القراءة الأخرى على سائر الخلق .

وإذا ثبت أن أفاضل البشر أفضل من الملائكة . فالأنبياء
صلوات الله عليهم وسلامه أفضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ،
بدليل قوله تعالى بعد ذكر جماعة من الأنبياء : ﴿ وكلاً فضلنا
على العالمين ﴾ فدلّت الآية على أنهم أفضل البشر ، وأفضل من
الملائكة ، لأن الملائكة من العالمين ، سواء كان مشتقاً من
العالم أو العلامة .

وإذا كان الأنبياء أفضل من الملائكة ورسول الله ﷺ أفضل من
الأنبياء ، فقد ساد سادات الملائكة ، فصار أفضل من الملائكة
بدرجتين ، وأعلى منهم برتبتين ، لا يعلم قدر تنيك الرتبتين وشرف
تنيك الدرجتين إلا من فضّل خاتم الأنبياء وسيد المرسلين على
جميع العالمين .

(انظر بداية السؤل للعز بن عبد السلام) .

قبول الصلاة والسلام عليه ﷺ بلا قيد أو شرط

قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقى
السرهندي فى مكتوباته : قال العلماء : إن الصلاة على النبي ﷺ
مقبولة ولو صدرت رياء وسمعة ، وهي واصلة للنبي ﷺ ، وإن لم
يحصل منها ثواب إلى المصلى ، فإن حصول الثواب من الأعمال
مربوط بتصحيح النية ، وأما وصولها إلى النبي ﷺ الذى هو
محبوب رب العالمين ، وكونها مقبولة فى حقه - ﷺ - فتكفيه أدنى
علة .

قال أبو العباس التجانى - رضى الله عنه - كما نقله عنه فى
جواهر المعانى : ولا وسيلة عند الله أعظم نفعاً وأرجى فى
استجلاب رضا الرب عن العبد فى حق العامة أكبر من الصلاة
على النبي ﷺ ، وإن تدافعت العلماء فى القطع بقبولها ، فمن
قائل بأن قبولها قطعى ، ومن قائل بعدم القطع بقبولها ، كسائر
الأعمال ، والذى نقول به : إنها مقبولة قطعاً ، والحجة لنا فى
ذلك : أن الله يقول للنبي ﷺ : « من صلى عليك صليت عليه ومن
سلم عليك سلمت عليه » (١) .

وهذا الوعد صادق لا يخلف وهو لا من حيثية العبد ، بل من

(١) وفى حديث الامام مسلم وأحمد وأبى داود والترمذى والنسائى الذى رواه أبو هريرة)
رضى الله عنه (« من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشراً » .

حيثية شدة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلى عليه - ﷺ - لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء ، وهو معنى قبول الصلاة من العبد .

قال ﷺ : « كل الأعمال منها المقبول والمردود إلا الصلاة على فإنها مقبولة غير مردودة » (١) .

قال في الإبريز : ولهذا نرى الرجلين كل منهما يصلى على النبي ﷺ فيخرج لهذا أجر ضعيف ويخرج لهذا أجر لا يكيف ولا

(١) قال الشوكاني في الفوائد المجموعة : قال ابن حجر : ضعيف جداً / اهـ . هذا وقد أحسن القائل :
أدم الصلاة على الحبيب محمد فقبولها حتم بدون تردد
أعمالنا بين القبول وردها إلا الصلاة على النبي محمد

هذا آخر ما يسره الله تعالى من التعليقات . نسأل الله عز وجل أن يتقبلها وأن يجعل فيها قبساً من نور يبدد ظلمة الخلاف من الصدور ، وأن يجازي المؤلف خير الجزاء بما جمعه من بعض كمالات سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه التي تشر قلب المؤمن الحاذق وتشرح صدر المحب الصادق .

ولله در ابن الوردي حيث يقول :

فالناس لم يصنّفوا في العلم * لكي يصبروا هدفاً للذم
ما صنّفوا إلا رجاء الأجر * والدعوات وجميل الذكر

وهناك مباحث يسيرة اكتفينا فيها بما أورده المؤلف فلم نعلق عليها خشية الإطالة لاسيما وقد أفردنا كثير من أهل العلم بجزء مستقل وذلك كمسألة الاحتفال بالمولد وقضية البدعة وللشيخ المحدث عبد الله الغماري [رحمه الله] جزء لطيف أجاد فيه وأفاد سماه : إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة وله أيضاً : حسن التفهم والدرك لمسألة الترك فليرجع إلى ذلك وإلى غيره من أراد استزادة البحث والفائدة .

[وكان الفراغ منه يوم الخميس ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٤١٤ هـ] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

يحصى ، وسببه أن الرجل الأول خرجت منه الصلاة على النبي ﷺ مع الغفلة وعمارة القلب بالشواغل والقواطع ، وكأنه ذكرها على سبيل الألفة والعادة فأعطى أجراً ضعيفاً .

والثاني : خرجت منه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المحبة والتعظيم ، لأن حبه وتعظيمه ﷺ فرض واجب على كل أحد لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) .

سعة حوض النبي ﷺ وكثرة آنيته وحلاوة مائه وبياض لونه

روى الإمام مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال ﷺ : « حوضى مشيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الوراق - أى الفضة - وريحه أطيب من المسك ، وكيّزانه - أى كؤوسه - كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً » .

روى مسلم أيضاً عن أبى ذر - رضى الله عنه قال : قلت :

(١) سورة التوبة آية ٢٤ .

يارسول الله ما آنية الحوض؟ فقال ﷺ والذي نفس محمد بيده
لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة
المظلمة المصحية، آنية الجنة، من شرب منها لم يظماً آخر ما
عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظماً، عرضه
مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن
وأحلى من العسل».

وروى الإمام مسلم عن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ -
قال: (قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من
الأباريق كعدد نجوم السماء).

وفي الصحيحين وسنن الترمذي عن أنس - رضى الله عنه - أن
رسول الله ﷺ قال: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء
والمدينة».

وفي رواية: مثل ما بين المدينة وعمان، وفي رواية أخرى: «تري
فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء» زاد في رواية:
«آنيته أكثر من عدد نجوم السماء».

وفي رواية: إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء اليمن، وأن فيه
الأباريق كعدد نجوم السماء واختلاف هذه المسافات التي
ضربها رسول الله ﷺ أمثلة لعرض حوضه الشريف، هذا الاختلاف

جاء لإعلام المخاطبين بسعة الحوض ، فإن منهم من يعرف ما بين أيلة وصنعاء ، ومنهم من يعرف مسافات أخرى غير تلك فضرب رسول الله ﷺ أمثله لسعة الحوض ، جاء في بقية روايات أحاديث الحوض ، والقليل من هذه المسافات داخل تحت الكثير ، والكثير باق على ظاهره . كما قال الإمام النووي : وليس في القليل من هذه منع الكثير والكثير ثابت على ظاهر الحديث ، ولا معارضة ، والله أعلم . اهـ .

قال القاضي عياض (رحمه الله تعالى) : وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض : ليس موجباً للاضطراب أى في أحاديث الحوض ، فإنه أى الاختلاف لم يأت في حديث واحد ، بل في أحاديث مختلفة الرواية عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضرب لها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً ، لبعد أقطار الحوض وسعته ، وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة ، لا على التقدير الموضوع للتحديد ، بل للإعلام بعظم هذه المسافة ، فهذا تجمع الروايات .

شفاعته ﷺ فى رفعة الدرجات فى الجنة

ورد فى الأحاديث النبوية : أن هناك شفاعاة خاصة معلقة على أسباب خاصة ، فمن جاء بذلك السبب نال تلك الشفاعاة ، فإن كانت له ذنوب ومعاصى لم يتب منها غفر الله تعالى له بتلك الشفاعاة - حسب مشيئة الله تعالى وحكمته - وإن لم تكن له ذنوب ومعاصى رفعت درجاته فى الجنة بسبب تلك الشفاعاة ومن هذه الأسباب : سؤال الدعاء بالوسيلة والمقام المحمود عقب الأذان .

روى مسلم وأصحاب السنن عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه سمع النبي ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم سلوا الله لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له الشفاعاة» .

وروى البخاري وأصحاب السنن عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من قال حين يسمع النداء ، اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة» .

وزاد البيهقي فى روايته : «إنك لا تخلف الميعاد» .

وعن أبي الدرداء (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا سمع المؤذن : «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل

على محمد وأعطه سؤله يوم القيامة» وكان يسمعها من حوله ،
ويحب ﷺ أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا المؤذن . قال : ومن قال
مثل ذلك إذا سمع المؤذن وجبت له شفاعته محمد ﷺ يوم
القيامة .

ومن أسباب شفاعته الخاصة زيارته الكريمة ﷺ ، فعن حاطب
(رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «من زارنى بعد موتى
فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من
الأمين يوم القيامة» وعن عمر - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول
الله ﷺ يقول : «من زار قبرى أو قال : من زارنى كنت له شفيعاً أو
شهيداً يوم القيامة» وروى البيهقى عن أنس (رضى الله عنه) قال :
قال رسول الله ﷺ : «من مات فى أحد الحرمين بعث من الأمين
يوم القيامة ، ومن زارنى محتسباً إلى المدينة كان فى جوارى يوم
القيامة) .

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : «من
زار قبرى وجبت له شفاعتى» أى يخصه رسول الله ﷺ بشفاعة
ليست لغيره ، إما بزيادة نعيم أو تخفيف هول ذلك اليوم عنه ، أو
دخول الجنة بغير حساب ، أو رفع درجاته فى الجنة ، أو بزيادة
شهود الحق تعالى والنظر إليه ، أو بغير ذلك من أنواع الإنعام
والإكرام ، وفى المعجم الكبير للطبرانى عن ابن عمر أن النبي ﷺ

قال : «من جاءني زائراً لا عمله (أى لا تحمله على العمل حاجة) إلا زيارتى كان حقاً على أن أكون له شافعاً يوم القيامة» .

ويكفى بهذه الأحاديث التى ذكرناها ، وتنوع رواياتها وكثرة طرقها دليلاً صريحاً فى مشروعية زيارة سيدنا رسول الله ﷺ وحثه عليها ، وترغيبه فيها وبياناه لفضل زيارته الكريمة : نسأل الله العظيم قبولها واستمرارها بجاه رسول الله ﷺ عند الله تعالى .

ومن أسباب شفاعته الخاصة ﷺ الموت فى مدينته الطيبة ، والصبر على لأوائها ، زادها الله تعالى شرفاً ورفعة ، ونفحنا الله تعالى بنفحاتها الطيبة .

روى الترمذى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال : «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها» .

ورواه ابن ماجه بلفظ : «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل فإنى أشهد لمن مات بها» .

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن امرأة يتيمة كانت عند رسول الله ﷺ من ثقيف : أن رسول الله ﷺ قال : «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإن من مات بالمدينة كنت له شهيداً (أو شافعاً) يوم القيامة» .

وعن عبد الله بن عباد قال سمعت النبي ﷺ يقول : «أول من

أشفع له أهل المدينة ، ثم أهل مكة ، ثم أهل الطائف .

ومن أسباب شفاعته الخاصة كثرة الصلاة على النبي ﷺ :

روى الترمذي وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود (رضى الله عنه) : قال رسول الله ﷺ : «إن أولى الناس بى يوم القيامة - أى أحقهم بشفاعتى وإكرامى - أكثرهم علىّ صلاة» .

وعن رويغ بن ثابت الأنصارى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «من قال اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى» .

والمراد هنا بالمقعد المقرب : أعلى منازل الجنة وهو مقام الوسيلة ، فإنها أعلى منزلة فى الجنة .

وروى الإمام أحمد عن أبى بن كعب رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك ؟ (أى جعلت دعائى كله صلاة عليك) فقال ﷺ : «إذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك» . وأخرج الطبرانى بسند جيد عن أبى الدرداء (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى علىّ حين يصبح عشراً ، وحين يمسى عشراً : أدركته شفاعتى يوم القيامة» .

وأخرج البيهقي في الشعب عن أنس (رضى الله عنه) قال : قال
رسول الله ﷺ : « أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَلَيْلَةِ
الْجُمُعَةِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كُنْتَ لَهُ شَهِيداً (أو شافعاً) يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

الوصايا النبوية قبل الموت

أخرج أحمد وابن ماجه بسند قوى «مات رسول الله ﷺ ولم يوص» .

المقصود بهذه الوصاية الخلافة . فعن عمر رضى الله عنه مات رسول الله ﷺ ولم يستخلف [رواه البخاري] أما الوصايا بغير الخلافة فوردت فى عدة أحاديث يجتمع منها أشياء .

١ - منها عن عائشة أن النبي ﷺ قال فى وجعه الذى مات فيه : ما فعلت الذهبية ؟ قلت عندى قال : أنفقيها» أخرجه أحمد وغيره وفى رواية «ابعثى بها لعلى يتصدق بها» .

٢ - أوصى بمائة وسق من خيبر للداريين والرهاويين والأشعرين .

٣ - أن لا يترك بجزيرة العرب دينان .

٤ - أن ينفذ بعث أسامة

(الثلاثة هذه رواها ابن إسحق فى المغازى) .

٥ - أن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزه (مسلم) .

٦ - أوصى بكتاب الله (البخارى) .

٧ - أوصى بالصلاة (النسائى وأحمد) .

٨ - أوصى بما ملكت أيماهم (النسائى وأحمد) .

٩ - أوصى بالزكاة (أبو داود وابن ماجه).

١٠ - أوصى بالتحذير من الفتن (سيف بن عمر فى الفتوح).

١١ - أوصى بلزوم الجماعة (سيف بن عمر فى الفتوح).

١٢ - أوصى بالطاعة (سيف بن عمر فى الفتوح).

١٣ - أوصى السيدة فاطمة أن تقول عند وفاته : «إنا لله وإنا إليه راجعون»
للواقدي.

١٤ - أوصيكم بالسابقين الأولين من المهاجرين وأبنائهم من بعدهم.

(الطبراني فى الأوسط) وفيه من لا يعرف حاله.

١٥ - أوصى بأنه إذا مات أن يغسل بسبع قرب من بئر غرس.

(لابن ماجه وانظر البخارى).

١٦ - أوصى أن يصلى عليه أرسالاً بغير إمام.

(البيزار والحاكم بسند ضعيف).

اهـ، باختصار من الفتوح ج ٥ ص ٣٦٣ كتاب الوصايا

إلى الرفيق الأعلى

ذكر الحافظ القسطلاني في المواهب : عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر، فقال : «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده» فبكى أبو بكر (رضى الله عنه) وقال : يا رسول الله فدينك بآبائنا وأمهاتنا، قال : فعجبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عنده وهو يقول : فدينك بآبائنا وأمهاتنا ، قال : فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به» رواه الشيخان .

وما زال ﷺ يعرض باقتراب أجله في آخر عمره ، وذكر من ذلك في المواهب عدة أحاديث ، إلى أن قال : ذكر الواحدى بسند وصله بعبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) قال : نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة . فقال : حياكم الله بالسلام ، رحمكم الله ، جبركم الله ، رزقكم الله ، نصركم الله ، رفعكم الله ، آواكم الله ، أوصيكم بتقوى الله وأستخلفه عليكم ، وأحذركم الله : إني لكم منه نذير مبين ، أن لاتعلوا على الله في بلاده وعباده ، فإنه قال لى ولكم : «تلك الدار الآخرة

نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين». وقال تعالى: «أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين»، قلنا يارسول الله متى أجلك؟ قال: دنا الفراق والمنقلب إلى الله تعالى، وإلى جنة المأوى، قلنا يارسول الله: من يغسلك؟ قال: رجال أهل بيتى الأدنى فالأدنى، قلنا يارسول الله فقيم نكفئك؟ قال: فى ثيابي هذه، وإن شئت فى ثياب بياض مصرية، أو حلة يمنية، قلنا يارسول الله: من يصلى عليك؟ قال: إذا غسلتمونى وكفتمونى، فضعونى على سريري هذا على شفير قبرى، ثم اخرجوا عنى ساعة، فإن أول من يصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت، ومعه جنود من الملائكة، ثم ادخلوا على فوجاً فوجاً، فصلوا على وسلموا تسليماً، وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتى، ثم نساؤهم، ثم أنتم، ثم اقرأوا السلام على من غاب من أصحابى، ومن تبعنى على دينى من يومى هذا إلى يوم القيامة، قلنا: يارسول الله ومن يُدْخِلُكَ قبرك؟ قال أهلى مع ملائكة ربى، وكذا رواه الطبرانى.

وروى البخاري عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير، فلما اشتكى ﷺ وحضره القبض ورأسه على فخذى غشى عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت،

ثم قال : اللهم فى الرفيق الأعلى ، فقلت : إذن لا يختارنا ، فعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح ، ولما تغشاه الكرب ﷺ قالت فاطمة (رضى الله عنها) : واكرب أبتاه ، فقال ﷺ لها : لا كرب على أبىك بعد اليوم [رواه البخارى] .

قال العلماء : إن ذلك الألم والوجع زيادة فى رفعة منزلته ﷺ ، وأخرج الطبرانى من حديث ابن عباس قال : «جاء ملك الموت إلى النبى ﷺ فى مرضه ورأسه فى حجر على ، فاستأذن فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقال له على : ارجع فإننا مشاغل عنك ، فقال ﷺ : هذا ملك الموت ، ادخل راشداً ، فلما دخل ، قال : إن ربك يقرئك السلام ، فبلغنى أن ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : لما بقى من أجل رسول الله ﷺ ثلاث ، نزل عليه جبريل ، فقال : يا محمد إن الله قد أرسلنى إليك إكراماً لك ، وتفضيلاً لك ، وخاصة لك ، ليسألك عما هو أعلم به منك ، يقول : كيف تجدك؟ فقال : أجدنى يا جبريل مغموماً وأجدنى مكروباً ، ثم أتاه فى اليوم الثانى ، فقال له مثل ذلك ، ثم جاءه فى اليوم الثالث ، فقال له مثل ذلك ، ثم استأذن عليه ﷺ ملك الموت ، فقال جبريل : يا محمد هذا ملك الموت ، يستأذن عليك . ولم يستأذن على آدمى قبلك ، ولا

يستأذن على آدمى بعدك، قال: ائذن له، فدخل ملك الموت فوقف بين يديه، فقال: يا رسول الله: إن الله عز وجل أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمر، إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، فقال جبريل: يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال ﷺ فامض يا ملك الموت لما أمرت به، فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطنى من الأرض إنما كنت حاجتى من الدنيا فقبض روحه ﷺ، فلما توفى ﷺ سمعوا صوتاً من ناحية البيت، يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة» إن فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال على: أتدرون من هذا؟ هذا هو الخضر عليه السلام، رواه البيهقى، فى كتاب دلائل النبوة.

وروى الحاكم من حديث أنس، قال: آخر ما تكلم به ﷺ: (جلال ربى رفيع) وعن سالم بن عبد الله الأشجعى، قال: لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فأخذ بقائم سيفه، وقال: لا أسمع أحداً يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفى هذا، قال: فقالت الناس: يا سالم اطلب لنا صاحب رسول الله ﷺ قال: فخرجت إلى المسجد، فإذا

أنا بأبي بكر، فلما رأيته أجهشت بالبكاء (أى تهيأت) فقال :
 ياسالم : أ مات رسول الله ﷺ؟ فقلت : إن هذا عمر بن الخطاب
 يقول : لا أسمع أحداً يقول : مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفى
 هذا، قال : فأقبل أبو بكر حتى دخل على النبى ﷺ وهو مسجى ،
 فرفع البرد عن وجهه ، ووضع فاه على فيه ، واستنشى الريح ثم
 سجّاه والتفت إلينا فقال : «وما محمد إلا رسول الله قد خلت من
 قبله الرسل» الآية «وقال تعالى : «إنك ميت وإنهم ميتون» يا أيها
 الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد
 الله فإن الله حى لا يموت ، قال عمر : فوالله لكأنى لم أتل هذه
 الآيات قط» رواه الترمذي . ومعنى استنشى الريح : شمها .

وقال ابن المنير: لما مات رسول الله ﷺ : طاشت العقول :
 فمنهم من خبل ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من
 أخرس ، فلم يطق الكلام ومنهم من أضنى ، وكان عمر ممن
 خبل ، وكان عثمان ممن أخرس ، يذهب ويجىء ولا يستطيع
 كلاماً ، وكان على ممن أقعد ، فلم يستطع حراكاً ، وأضنى عبد الله
 ابن أنيس فمات كمدأ .

وكان أبو بكر الصديق (رضى الله عنه وعنهم) جاء وعيناه
 تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبى
 ﷺ فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه ، وقال : طبت حياً وميتاً

يا رسول الله ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء ،
فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ، ولو أن موتك كان
اختيارياً لجئنا لموتك بالنفوس ، اذكرنا يا محمد عند ربك ،
ولنكن من بالك .

وفى رواية عن عائشة (رضى الله عنها) عند الإمام أحمد : أن
أبا بكر (رضى الله عنه) أتى النبي ﷺ من قبل رأسه ، فحدر فاه
وقبل جبهته الشريفة ، ثم قال : وانبياه ، ثم رفع رأسه فحدر فاه ،
وقبل جبهته ﷺ ثم قال : واصفياه ، ثم رفع رأسه فحدر فاه ، وقبل
جبهته وقال : واخيلاه .

ولما توفى عليه الصلاة والسلام ، قالت فاطمة (رضى الله
عنها) : يا أبتاه ، أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه فى جنة الفردوس مأواه ،
يا أبتاه إلى جبريل ننعاه . (رواه البخاري) .

وأخرج أبو نعيم عن على (رضى الله عنه) قال : لما قبض رسول
الله ﷺ صعد ملك الموت باكياً إلى السماء ، والذي بعثه بالحق
نبياً ، لقد سمعت صوتاً من السماء ينادى : وامحمداه ، كل
المصائب تهون عند هذه المصيبة .

وفى سنن ابن ماجه أنه ﷺ قال فى مرضه : أيها الناس : إن أحد
من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بى عن المصيبة التى
تصيبه بغيرى ، فإن أحداً من أمتى لن يصاب بمصيبة بعد أشد
عليه من مصيبتى .

وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف، ودفن يوم الأربعاء للاختلاف الذى وقع فى موته، وفى محل دفنه ﷺ.

وأخرج ابن عساكر عن أبى ذؤيب الهذلى قال: قد بلغنا أن النبي ﷺ عليل، فأوجس أهل الحى خيفة، وبت ليلة طويلة، حتى إذا كان قرب السحر، نمت فهتف بى هاتف، وهو يقول:

خَطْبُ أَجَلِ أَنَاخَ بِالْإِسْلَامِ بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَعْقَدِ الْأَطَامِ
قَبْضُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَعِیُونَنَا تَبْدَى الدَّمُوعُ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

فوثبت من نومى فزعاً، فنظرت إلى السماء فلم أر الأسعد الذابح (اسم نجم) فعملت أن النبي ﷺ قبض وهو ميت، فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء، كضجيج الحجيج، إذا أهلوا بالإحرام، فقلت: مه؟ فقيل: قبض رسول الله ﷺ.

ولقد أحسن حسان بقوله يرثيه عليه الصلاة والسلام:

كُنْتُ السَّوَادَ لِنَازِرِي فَعَمِيَ عَلَيْكَ النَّازِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلِيْمْتَ فَعَلَيْكَ كُنْتَ أَحَادِرُ

وأخرج أبو داود وصححه والحاكم عن على (رضى الله عنه) قال: غسلته ﷺ: فذهبت أنظر ما يكون من الميت ولم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى رواية ابن سعد : «وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط» .

وروى ابن ماجه عن ابن عباس (رضى الله عنهما) : أنهم لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء ، وضع على سريريه فى بيته ، ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالاً ، يصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء ، حتى إذا فرغن دخل الصبيان ، ولم يؤم الناس أحدٌ .

وفى رواية : إن أول من صلى عليه ﷺ : الملائكة أفواجاً ، ثم أهل بيته ، ثم الناس فوجاً فوجاً ، ثم نساؤه آخرأ .

ولما دفن ﷺ فى موضع فراشه فى حجرة عائشة (رضى الله عنها) جاءت فاطمة (رضى الله عنها) فقالت : كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب ؟ وأخذت من تراب القبر الشريف ، ووضعتها على عينيها ، وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غوالياً
صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

وروى الدرামী عن أنس (رضى الله عنه) قال : مارأيت يوماً كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ المدينة ، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ .

وفى رواية الترمذى عنه أيضاً : «لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضواء منها كل شىء ، فلما كان اليوم الذى

مات فيه ﷺ أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا أيدينا من التراب ،
وإننا لفقى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا» .

اللهم ألحقنا به غير خزايا ولا نادمين ، ولا مغيرين ولا مبدلين ،
يارب العالمين ، واختم لنا منك بخير أجمعين .

والحمد لله رب العالمين ، وكتبه محمد بن علوى بن عباس
المالكي المكي الحسنى : خادم السنة النبوية بالبلد الحرام ، غفر
الله له ولوالديه ولمشايعه وللمسلمين كافة . آمين .

يقول مؤلفه : «لقد ختمت بحمد الله تعالى هذه النسخة .

مساء يوم الجمعة بتاريخ ١٩ / ٧ / ١٣٩٩ هـ .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة الناشر
١٠	مقدمة المؤلف
١٣	مقدمة المؤلف وأول كتاب الذخائر المحمدية
١٥	نسبه الشريف ﷺ
١٦	[اتفاق علماء الأنساب إلى عدنان واضطراب النسابين بعد ذلك وكراهة الإمام مالك
١٧	رفع النسب إلى آدم عليه السلام] (١)
١٨	ولادته ﷺ
١٨	القول في مسألة ختانه ﷺ
٢٠	حواضنه ومرضعاه ﷺ
٢١	نشأته ﷺ
٢٢	أحواله ﷺ قبل البعثة
٢٢	أسماءه ﷺ
٢٣	أول علامات النبوة شق صدره الشريف ﷺ
٢٤	[الرد على المستشرقين والذين ينكرون شق صدره ﷺ]
٢٥	خاتم النبوة
٢٥	الرؤيا الصالحة
٢٥	أولاده ﷺ
٢٦	زوجاته ﷺ
٢٩	إخوته من الرضاع ﷺ
٣٠	أخواله ﷺ
٣٠	مواليه ﷺ وذكر من أعتق منهم
٣١	خدمه ﷺ وبعض أصحاب الوظائف
٣٣	حرسه ﷺ قبل نزول آية العصمة
٣٤	رسله ﷺ إلى الملوك
٣٦	كتابه ﷺ

(١) كل ما بين القوسين فهو في الهامش

الموضوع	الصفحة
من عجائب مولده ﷺ	٣٧
من عجائب نشأته ﷺ	٣٨
من عجائب المولد الشريف	٣٩
ليلة المولد وليلة القدر	٤٠
من لطائف الميلاد النبوى	٤٢
قصة الغرائق وبيان بطلانها	٤٣-٤٧
إظهار حقيقة فى حق أبوى النبى ﷺ	٤٨
تبرئه الإمام الأعظم أبى حنيفة (رضى الله عنه) مما نسب إليه فى شأن الأبوين الكريمين	٤٩
رجوع ملا على القارى عن القول بعدم نجاة الأبوين الكريمين	٥٣
[خلاصة الكلام فيما يتعلق بوالدى المصطفى عليه السلام]	٥٧-٦٢
قصيدة السيد محمد أمين كتبت فى الأبوين الكريمين	٦٣
حياة النبى ﷺ وحفظ جسمه من الآفات الأرضية ونحوها	٦٦
قصيدة الفقيه المحدث ابن حجر الهيتمى	٦٦
شرح القصيدة للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى	٦٨
[الكلام على الحياة البرزخية وحياة الأنبياء فى قبورهم]	٦٩-٧١
[حديث عرض الأعمال على النبى ﷺ]	٧٢
فضل البقعة التى ضمت أعضاءه ﷺ على جميع الأرض حتى الكعبة .	٧٤
مش الشباك النبوى والتمسح به	٧٨
وضع الإمام السبكى وجهه على بساط دار الحديث التى درس فيها الإمام النووى	٨٠
مس منبره المنيف وقبره الشريف ﷺ	٨١
زيارة النبى ﷺ من أفضل الأعمال عند ابن القيم	٨٣
من آداب الزيارة النبوية	٨٤
تخصيص الزائرين بشفاعة خاصة	٨٦
خصائص المدينة المنور ومزاياها	٨٨
فضل الصلاة فى مسجده ﷺ	٨٩
طلب الموت فى بلد الشريف ﷺ	٩٠
المدينة المنور لا يدخلها الدجال	٩١
المدينة المنورة لا يدخلها الطاعون	٩٢
المدينة المنورة تأكل القرى	٩٢

٩٢	المدينة المنورة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد
٩٢	المدينة المنورة لا يدعها أحد رغبة عنها إلا حل بها من هو خير منه
٩٣	المدينة المنورة لا يريد لها أحد بسوء إلا أهلكه الله
٩٣	استحباب الصيام والصدقة بالمدينة
٩٤	لا يجتهد في محراب صلى فيه رسول الله ﷺ
٩٤	استحباب الغسل لدخول المدينة المنورة
٩٤	بركة تمر المدينة ووقايته من السحر والسم
٩٥	استحباب صلاة العيد في مسجد المدينة المنورة
٩٥	افتتحت المدينة بالإيمان لا بالسيف
٩٦	تقديم إجماع أهل المدينة على خبر الواحد
٩٦	يجب الوفاء بنذر زيارة قبره ﷺ
٩٦	ينبغي للزائر الغريب أن يسلم عليه ﷺ
٩٧	«من أحدث بالمدينة حدثاً...»
٩٧	ينبغي قصد المدينة للتعليم أو التعلم
٩٨	تضوع العطر والبخور فيها أضعافها في غيرها
٩٩	فضل المنبر الشريف
٩٩	استحباب زيارة قبره ﷺ عند الحنابلة
١٠١	فضل الركائب التي تحمل الزائرين
١٠٢	كرامات لزائر قبره ﷺ
١٠٣	هيئة الروضة وتحديدها
١٠٦	معنى كون الروضة من الجنة
١٠٨	المسجد النبوي الشريف هو المدرسة الأولى في الإسلام
١١٤	المدينة المنورة تحتفل بمقدم النبي ﷺ
١١٧	من آداب الزيارة النبوية
١١٩	نونية ابن القيم في فضل الزيارة النبوية
١٢١	المدينة المنورة دار الإيمان والتوحيد
١٢٦	رأى ابن الجوزي في الاحتفال بمولده ﷺ
١٢٧	من أحسن الصيغ للصلاة على النبي ﷺ
١٣١	فضائل نبوية قرآنية

١٣٢	كيف كانت عبادة رسول الله ﷺ قبل البعثة
١٣٦	صلوات مأثورة لرؤية الحبيب ﷺ
١٣٨	مقام العبودية أشرف مقاماته ﷺ
١٤٠	شرح صلاة الفاتح الخاتم
١٤١	[ذكر فوائد تتعلق بهذه الصلاة]
١٤٢	« يا أيها الرسول بلغ ... »
١٤٤	رؤيا النبي ﷺ
١٤٨	حفظ الله لنبيه ﷺ من مؤمرات اليهود
١٥٢	عرض الأعمال على النبي ﷺ
١٥٣	محافظة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ميزاب العباس رضي الله عنه لأنه وضعه النبي ﷺ
١٥٣	تعظيم الصحابة لرحل وناقة رسول الله ﷺ
١٥٥	قصيدة بانث سعاد
١٥٧	صانع المنبر النبوي
١٥٨	جواز طلب الشفاعة من النبي ﷺ
١٥٩	سواد بن قارب يطلب الشفاعة من النبي ﷺ
١٥٩	[توسل الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بالنبي ﷺ]
١٦٠	جواز التوسل بغير النبي ﷺ
١٦٠ - ١٦١	[تعليق حول هذا الموضوع للأخ الفاضل محمد الهادي عبيد القونسي]
١٦٢	إن الله عودك خيراً
١٦٣	ليس لنا إليك فرارنا
١٦٥	معنى قوله ﷺ رد الله على روحى
١٦٧	رسول الله ﷺ على حوضه ينتظر الواردين عليه من أمته
١٧٠	لواء الحمد
١٧٣	والعفو عند رسول الله مأمول
١٧٧	فوائد الصلاة والسلام على خير الأنام
١٨٧	تمنى رؤية النبي ﷺ
١٨٧	القناعة بالقليل فى سبيل الجوار
١٨٧	غيرة البوصيرى (رضى الله عنه)
١٨٨	بين النهاني وابن عبيد الله

١٩٠	فأنت «باب الله» للقطب الكبير البكرى المصرى
١٩٣-١٩١	[التعليق على ما يثار من اعتراض حول أبيات القصيدة]
١٩٤	تقبيل اليد احتراماً وتقديراً
١٩٥	فضل القبر الشريف على الكون
١٩٥	السرور بالمولد النبوى
١٩٦	رثاء صفية بنت عبد المطلب (رضى الله عنها) لرسول الله ﷺ
١٩٦	فدو العرش محمود وهذا محمد
١٩٧	النبي ﷺ هو ركننا وملاذنا وعصمتنا
١٩٨	تسبيح الطعام فى كفه ﷺ
١٩٩	قد أتينا إلى حماك ﴿توسل﴾
٢٠٠	على أى شيء كانوا يؤذنون فى العهد النبوى
٢٠١	التبرك بعصا النبى ﷺ
٢٠٢	حكم وفوائد من شق صدره ﷺ
٢٠٦	الحكمة فى غسل صدره ﷺ بماء الثلج والبرد
٢٠٨	خطبة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لما سمع بوفاة الحبيب ﷺ
٢١١	معنى قوله ﷺ: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»
٢١٤	عدد الذين بالوا فى حجره ﷺ
٢١٤	كم سجد النبى ﷺ للسهو، وهل يسهو النبى ؟
٢١٥	أفضل المياه
٢١٦	ادخلوها من حيث قال حسان
٢١٧	عدد الجن الذين استمعوا القرآن من النبى ﷺ
٢١٧	الخمس الذين نقضوا الصحيفة
٢١٩	خلاصة مفيدة فى الصلاة على النبى ﷺ
٢٢١	حول عتاب الله لنبيه ﷺ
٢٢٢-٢٢٦	[تعليق حول آيات العتاب]
٢٢٧	حقية معجزة النبى ﷺ
٢٢٨	تنوع مشاهدات النبى ﷺ
٢٣١	أبيت عند ربى يطعمنى ويسقنى
٢٣٣	خلاصة مفيدة فى الخصائص النبوية

الصفحة

الموضوع

٢٣٥	القسم الأول فيما اختص به في ذاته في الدنيا
٢٣٦-٢٣٥	[اعتراض على المؤلف وجوابه]
٢٤٣-٢٤١	[اطرح الله لنبيه ﷺ على الأمور الغيبية]
٢٤٦	القسم الثاني فيما اختص به في شرعه وأمته في الدنيا
٢٥٨-٢٥٥	[مبحث في الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال]
٢٦١	القسم الثالث فيما اختص به في ذاته في الآخرة
٢٦٥	القسم الرابع فيما اختص به في أمته في الآخرة
٢٦٧	القسم الخامس فيما اختص به من الواجبات
٢٦٩	القسم السادس فيما اختص به من المحرمات تشريعاً له ﷺ
٢٧١	القسم السابع فيما اختص به من المباحات
٢٧٤	القسم الثامن فيما اختص به من الكرامات
٢٨٤	العجز عن وصف المصطفى ﷺ
٢٨٦	«أنا ابن العواتك»
٢٨٧	«أنا أولى بالمؤمنين»
٢٨٨	تقلله ﷺ من الدنيا كان اختياراً
٢٨٩	لطيفة للأديب عبد الجليل برادة
٢٩٠	أسماء النبي ﷺ
٢٩١	من علامات محبته ﷺ
٢٩١	أبو لهب يخاف من دعوة النبي ﷺ
٢٩٥	من عجائب آثار معجزاته ﷺ
٢٩٧	من عجائب المعجزات وتأثيرها في القوى البدنية
٢٩٧	زيارة أبي الحسن الشاذلي (رضى الله عنه) للنبي ﷺ
٢٩٩	عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لم يقطع شجرة الرضوان
٣٠١	رجل يطلب الشفاعة من النبي ﷺ
٣٠٣	من عجائب القدرة الإلهية في حماية الحضرة المحمدية
٣٠٥	من منهجه ﷺ في التربية والتعليم
٣٠٧	شهود فضله ﷺ في كل نعمة
٣٠٩	حضور روحانية المصطفى ﷺ
٣١٢	الفرح بالحبيب ﷺ

الصفحة	الموضوع
٣١٤	اهتمام العلماء بمثال نعال النبي ﷺ
٣١٩	الاحتفال بمولد النبي ﷺ
٣٢٨	توسل الناس بالنبي ﷺ في عهد عمر (رضى الله عنه)
٣٣٠ - ٣٢٩	[تعليق على حديث مالك الدارويان صحته]
٣٣١	فضائل أعمال الأمة في ميزان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
٣٣٣	وامحمداه
٣٣٥	النبي ﷺ يعلم أحد أصحابه كيفية التوسل به
٣٤١ - ٣٣٧	[بحث هام يتعلق بحديث الأعمى]
٣٤٢	من خصائص آل البيت (رضى الله عنهم)
٣٤٦	بئر الخاتم
٣٤٧	زمزم المدينة
٣٤٨	العقيق
٣٥٠	أم معبد تتحدث عن المصطفى ﷺ
٣٥٤	مشاركته ﷺ أصحابه في العمل
٣٥٥	صورة من صبره ﷺ
٣٥٦	ثلاثة من أعظم قريش يقرون بصدق وأمانة النبي ﷺ
٣٥٧	كمال وجهه ﷺ
٣٥٨	سيد ولد آدم ﷺ
٣٥٩	استرجاع النبي ﷺ لصفية من دحية
٣٦٠	قاعدة نبوية في المركبات من الأدوية
٣٦١	حنين الجذع للنبي ﷺ
٣٦٢	تفضيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الكونين
٣٦٣	معجزة باهرة
٣٦٣	أشياء ما كان ﷺ يردّها
٣٦٤	محبة ﷺ لماء زمزم وطلبه له من المدينة المنورة
٣٦٦	تنقله ﷺ من عهد آدم في أصلاب الأنبياء
٣٧١	النور المحمدي
٣٧٣ - ٣٧١	[تعليق على حديث جابر: «أول ما خلق الله نور نبيك»]
٣٧٧	أفضلية النبي ﷺ على الملائكة

الصفحة

الموضوع

٣٧٩

قبول الصلاة والسلام عليه ﷺ بلا قيد ولا شرط

٣٨١

سعة حوض النبي ﷺ وكثرة آنيته وحلاوة مائه

٣٨٤

شفاعته ﷺ في رفع الدرجات في الجنة

٣٨٩

الوصايا النبوية قبل الموت

٣٩١

إلى الرفيق الأعلى

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٩٩٣/١٠٢٢٠

الترقيم الدولى

I. S. B. N

977 - 5259 - 15 - 0

مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع

الخطا المحذرة

للعالم الفاضل
السيد محمد بن علوي المالكي الحسنی
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر: دار جوامع الكلم ١٧ ش الشيخ صالح الجعفری
الدراسة - القاهرة - ت: ٥٨٩٨٠٢٩